سيدي أحمد زروق

شرح
عقيدة الإمام الغزالي

قدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور

جودة محمد أبو اليزيد المهدي

نائب رئيس جامعة الأزهر

عضو مجمع البحوث الإسلامية

تحقيق دكتور

محمد عبد القادر نصار

الطبعة الأولى ٢٠٠٧



شرح عقيدة الإمام الغزالي

الكتاب: شرح عقيدة الإمام الغزالي

المؤلف: سيدي أحمد زروق

المحقق: محمد عبد القادر نصار

الناشر: دارة الكرز

عدد الصفحات: ١٧٦

سنة الطباعة: ٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ

بلد الطباعة: القاهرة، مصر

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢١٧١٨

الترقيم الدولي: 977-6156-65-7



دارة الكرز
للنشر والتوزيع

دارة الكرز
للنشر والتوزيع

١٧ ش منشية البكري – مصر الجديدة

Darat al-Karaz,
17 Manshiyyat Al-Bakri St, Cairo

تليفون: ٠٢/٢٤٥٥١٣٠٤

Email: darkaraz@yahoo.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهو على كل شيء قدير، وقطع حجة كل مشبه معاند بمحكم قوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، وأزال شبهة كل معطل معارض بمحكم قوله:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (الإنسان: ٣٠) وهو بذلك حقيق جدير، ومنَّ على الوجود بتعلق صفاته بمخلوقاته مع كمال غناه فكل ما سواه إليه فقير، وجعل كمالات أنبيائه وعصمتهم دلائل أصحاب البصيرة على كماله الإلهي وتعاليه عن كل نقص وتغيير.

والصلاة والسلام على سيد الأنام، ورحمة الله للخاص والعام، الذي بلغ كل غاية وأدرك كل مرام، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها على التمام. ولله در الإمام البوصيري إن يقول:

لم يمتحنا بما تعيا العقول به حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

فأهل الحق هو بهم قائم وعلى نصرتهم دائم، فهم أهل المعارف السنية والكرامات الاصطفائية والبُشْرَيَاتِ الدنيوية والأخروية، وكفى بها أمارة تتقاصر وتخسأ أمامها شبهة كل نفس أمارة، وصلاة وسلاماً مثل ذلك على آله ذوي الإمداد بالإشارة والعبارة وأصحابه الذين هدى الله بهم الضالين والحيارى.

وبعد

تقف أمة الإسلام في عصرنا هذا وسط متاهات من البدع المظلمة ونزعات زائغة ونزغات ذائعة من تجسيم تارة وتعطيل تارة وعلمانية تتداعي على ثوابت الدين وفرق إسلامية ضلت عن الطريق القويم، هذا الطريق الذي شاده أئمة أعلام أعملوا عقولهم وأفئدتهم ليصوغوا عقائد الإسلام مهتدين بهدي سيد الورى وسلفنا الصالح

مبتعدين عن انحراف الغالين وتحريف المبطلين، وعلى رأس هؤلاء السادة الأشاعرة أتباع إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري المنتهي نسبه إلى سيدنا أبي موسى الأشعري الذي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرض اليمن فكان من قدر الله تعالى أن يكون حكم المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن «الإيمان يمان والحكمة يمانية»، كما رواه الشيخان وغيرهما، وأن يكون حكمه صلى الله عليه وسلم في معانديهم أن الفتنة من قِبَلهم، فجمع أهل السنة بين بَرَد الإيمان وصلابة الحكمة، فكانت هذه العقيدة الناصعة التي صاغها حجة الإسلام وقدوة الأنام مولانا الإمام أبو حامد الغزالي وجعلها في أوائل كتبه العظيم ((إحياء علوم الدين)) كي لا ينقطع عنها نظر مسلم في دروب سلوكه وعباداته ومعاملاته.

وكانت هذه العقيدة جديرة بأن يتولاها بالشرح أساطين العلم والولاية تفصيلاً لمجملها وتفسيراً لمبهمها وإتماماً لما اختصر منها، فكان أن اضطلع بهذا العمل الجليل شيخ جمع بين العلم والعمل، وضرب بسهم وافر في التصنيف، ألا وهو العلامة العارف سيدي أحمد زروق الفاسي الشاذلي ﷺ، فهو الذي شرح رسالة أبي زيد القيرواني في فقه الإمام مالك بل واضطلع بكتابة شرح على صحيح البخاري كذلك، وناهيك بتصوفه الذي نال به مكان بين العارفين المحققين، فصار علماً يشار إليه بالبنان في طريق الشاذلية الأكابر.

فعمل كهذا – فضلاً عما فيه من بيان عقيدة أهل السنة والجماعة الصافية من كل زيع وتحريف– وبما اشتمل عليه من ملح من معارف الإحسان وفوائد علمية ولغوية، لتَحُفُّهُ البركة حيث وجُد. وقد أبلى فيه محققه الدكتور محمد نصار بلاء حسناً بإخراجه لينتفع به الناس، وهو عمل يغبط عليه. وقد رأيت من اجتهاده في العمل فيه ما سرني وأثار اهتمامي.

ولا يخلو عمل من هنات فكم رأينا العلماء يستدركون على أقرانهم من العلماء دون أن يقلل ذلك من شأن هذا أو ذاك، وها هي تلك المخطوطات تمتلئ بالتصحيفات والأخطاء النحوية والإملائية، فلا يقال لمن رامه بانتقاص إلا:

وإن تجد عيباً فَسُدَّ الخللا جَلَّ من لا عيبَ فيه وعلا

فجدير بشباب الأمة وشيوخها أن يوجهوا همتهم إلى نشر تراث أمتهم والدفاع عن عقيدتها السمحة الصافية وإن هذه لغاية يرخص في سبيلها كل غال ويهون في جانبها كل صعب.

وجدير بأهل التصوف أن يكونوا هم الحاملين لهذا العلم الذي ينفي غلو الغالين وتحريف المبطلين ولا يتركوه نهباً مستباحاً لكل أفاك وبطال وأن يعتنوا بهذه العقيدة وهذا الشرح اللذين يحملان اسمي اثنين من أكابر أئمة التصوف الذي نشرف جميعاً بالانتساب إليه.

الأستاذ الدكتور

جودة محمد أبو اليزيد المهدي

نائب رئيس جامعة الأزهر

عضو مجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، المنزهِ عن كل نقص وشين، المقدس عن المتى والأين، المتعالي عن كل ظلم ومين، سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى والفِعال المثلى والمنن العظمى، سبحانه لا نحصي ثناء عليه، هو تعالى كما أثنى على نفسه، عز جاره وجل ثناؤه ولا يهزم جنده ولا إله غيره.

وصلاة وسلاماً عبودية ودعاءً على خير من أثنى على ربه الجليل الجميل، المختص من معرفة ربه بما لا يدرك شأوه نبيٌ مرسل ولا ملَكٌ نبيل، المشَرَّفِ بقوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل: ٦) والمخصوص بحَمل أمانة ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ (المزمل: ٥)، ترجمان الوصف القديم ولسان العرفان المبين، سيدنا ومولانا محمد، أحمد العالمين، وعلى آله وصحبه الذين استودعهم أسرار الحق اليقين، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين ما قامت صفات الحق تعالى بذاته القديم.

أما بعد:

للتصدي للعمل في كتب التوحيد التي دبجتها أقلام العارفين مزية خاصة، إذ تحمل تقرير عقائد أهل السنة مؤيدة بحال هؤلاء الأكابر في ولايتهم وعرفانهم. وقد اشتهرت عن الإمام أبي حامد الغزالي عقائد سنية ضمنها غير كتاب كالاقتصاد في الاعتقاد وإلجام العوام عن علم الكلام وهذه العقيدة التي تضمنها كتابه الفذ إحياء علوم الدين.

نسبة الكتاب إلى الإمام الغزالي

هذه النسبة ثابتة إذ أورد الإمام الغزالي هذه العقيدة في الإحياء ثم قام بشرحها في الرسالة القدسية وضمن كلا المتن والشرح كتابه الإحياء. فالكتاب بهذا ثابت النسبة للإمام الغزالي دون حاجة للإشارة إلى إثبات المتأخرين من المستشرقين أو الدارسين لها.

واسم الكتاب، أي ((قواعد العقائد)) يطلق ويقصد به المتن الذي وضع عليه الشيخ زروق شرحه، كما يطلق ويراد به قسم العقائد الوارد في ربع العبادات بعد كتاب العلم في ((إحياء علوم الدين))، حيث قال:

كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: في ترجمة عقيدة أهل السنة

الفصل الثاني: في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد

الفصل الثالث: في لوامع الأدلة للعقيدة التي ترجمناه بالقدس المراد به ((الرسالة القدسية في قواعد العقائد))

الفصل الرابع: في الإيمان الإسلام.

فيظهر من هذا ما يلي:

أولاً: أن للمتن اسمين، الشائع هو ((قواعد العقائد)) والثاني ما عنونه به الإمام الغزالي في الإحياء بقوله ((في ترجمة عقيدة أهل السنة)) والثالث ((الرسالة القدسية في قواعد العقائد)) وهي شرح للمتن

ثانياً: أن الرسالة القدسية هي في الحقيقة فصل من فصول كتاب قواعد العقائد الذي يقصد به مجموع الفصول الأربعة، ويقصد به كذلك ترجمة عقيدة أهل السنة.

وقد شرح سيدي زروق العقيدة ثم ألحق بشرحه تعليقاً على الفصل الثاني من كتاب قواعد العقائد المتضمن بالإحياء وهو في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد.

والخلاصة أن المقصود بقواعد العقائد هنا هو المتن المسمى في الإحياء ترجمة عقيدة أهل السنة، وأن ما استحسن سيدي زروق إلحاقه إنما هو تعليق على الفصل الثاني من قواعد العقائد المذكور.[1]

---

(١) لزيادة التفصيل انظر ما كتبه السيد محمد عقيل بن علي المهدلي في مقدمته لكتاب ((قواعد العقائد في التوحيد للإمام حجة الإسلام الغزالي: دراسة نصية)) دار الحديث، الطبعة الثانية ١٩٩٦.

شروح الكتاب

شرح قواعد العقائد العلامة ركن الدين الاسترابادي (٧١٥هـ) والعلامة محمد أمين بن صدر الدين الشرواني (١٠٣٦هـ)، أوردهما عمر رياض كحالة في ((معجم المؤلفين))، فضلاً عن شرح الإمام محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) له في شرحه على الإحياء المسمى ((اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين)).

نسبة الشرح لسيدي أحمد زروق:

ذكرت الكتب التي ترجمت للشيخ زروق هذا الكتاب بين مؤلفاته وهي تذكره غالباً بصفته أي شرح قواعد العقائد أو شرح الرسالة القدسية للغزالي. وممن أثبت نسبته لمؤلفه صاحب شجرة النور الزكية حيث أثبته باسم ((شرح العقيدة القدسية))، والتنبكتي في نيل الابتهاج، والدكتور علي فهمي خشيم في ((أحمد زروق والزروقية)).

كشف علمي فريد

قد اشتهر عن سيدي زروق شروحه على الحكم العطائية حتى ذكر أنها نافت على الثلاثين. ويبدو أن هذا المسلك التأليفي لم يقتصر على حكم ابن عطاء الله، وأن عقيدة حجة الإسلام الإمام الغزالي قد نالت من الشيخ زروق اهتماماً خاصاً.

وقد وقع بعض الباحثين في وهم اعتقاد أن شرح الشيخ على عقيدة الحجة الغزالي له اسم آخر وهو ((**اغتنام الفوائد بشرح قواعد العقائد**)). وقد أثبت هذا الاسم الدكتور علي فهمي خشيم في كتابه عن سيدي زروق. وقد وجدنا الكتاب محفوظاً بالأزهرية تحت هذا العنوان وموقوفاً على طلبة العلم بالأزهر من قبل العلامة شيخ الإسلام أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري رحمه الله (١١٩٢هـ)، وهو بالمكتبة الأزهرية محفوظ بهذا العنوان. ولما رأيناه أخذتنا الدهشة لوجود اختلاف بين الكتابين، فعكفنا عليه نفحصه فتبين لنا أنه تعليق آخر مختصر لسيدي أحمد زروق على عقيدة الإمام الغزالي، وهو شرح قولات، على طريقة قال ... قلت.

وعلى عكس كتابنا هذا فالشارح لا يتتبع لفظ الماتن بل يستخلص منه ما يريد، ويمتاز ذلك الشرح الآخر بحسن تفريعه واختصاره بحيث إنه يكاد يكون متناً آخر من حيث تأسيسه لعقائد أهل السنة والجماعة ولكن بصورة تزيد على ما في قواعد العقائد بطبيعة الحال. كما أنه يخلو غالباً من الدليل ومن التوسع في إيراد الأقوال والملح الكلامية والصوفية عن السلف الصالح مما نجده في كتابنا هذا، وإن كان يكثر من إيراد أقوال الفرق الكلامية ذاكراً إياها في إيجاز.

فالشيخ زروق له بهذا شرحان متمايزان على عقيدة سيدنا الإمام الغزالي رضي الله عنه. وتاريخ الشرح الثاني مدون بآخر المخطوط وهو أوائل شهر رجب الفرد سنة ٨٩٧ هجرية، فهو يلي التاريخ الذي ذكره الدكتور خشيم لكتابنا هذا بعشر سنوات وهو أمر طبيعي إذا لوحظ اختصاره وتقعيده لقواعد أهل السنة في إيجاز.

ولما كان المخطوط المذكور قد ختمه مصنفه بقوله:«كمل كتاب اغتنام الفوائد بشرح قواعد العقائد وكتبه مؤلفه أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى، عرف بزروق لطف الله به» فقد تعين أن هذا العنوان ليس عنوان شرحه الكبير الذي هو موضوع هذا التحقيق، وترجح أنه لا يعرف إلا بوصفه وأن وصفه قد يكون هو عنوانه الأصيل. وعليه فقد استقررنا على تسمية كتابنا هذا به وهو ((شرح عقيدة الإمام الغزالي)).

وهذا التحقيق لم نسبق إليه فيما نعلم والفضل في ذلك علينا لله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الحديد: ٢١).

مضمون الكتاب

تقدم أن شرح سيدي زروق لا يتناول المتن المسمى قواعد العقائد أو ترجمة عقيدة أهل السنة كما هو في الإحياء فحسب بل يتناول الفصل التالي لهذا في الإحياء كذلك وهو المسمى «في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد».

تاريخ تأليف الكتاب

ذكر الدكتور علي فهمي خشيم تاريخ تأليف الشيخ زروق لهذه الشرح بسنة ٨٨٧ هـ، أي قبل وفاته باثني عشر عاماً، وهو تاريخ متأخر نسبياً ، إذ من بين أربعة وعشرين مؤلفاً استطاع الباحث تحديد تواريخ تصنفيها، يأتي كتابنا هذا سابع عشرها. وبحسب ما ذكره الباحث يكون الشيخ ألف هذا الكتاب في مصراتة حيث كان رحل إليها مستقراً بها سنة ٨٨٦. وعليه فتأليف الكتاب يأتي بعد أن أتم الشيخ زروق تربيته الصوفية على يد العارف الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي رحمه الله.

أما التعليق الآخر الذي ذكرناه أعلاه والمسمى ((اغتنام الفوائد بشرح قواعد العقائد)) فقد وجدنا تاريخ تأليفه مثبتاً في آخره وهو سنة ٨٩٧ هجرية أي قبل انتقال مؤلفه بسنتين. ومن هذا يتضح مدى عناية سيدي أحمد زروق بهذه العقيدة الشريفة إذا ظل يدرسها ويعمل قلمه في شرحها إلى ما قبيل انتقاله بمدة وجيزة. بل ذكر الشيخ هذه العقيدة من ضمن ما ينبغي للصوفي الاعتناء به وتدارسه خاصة في كتابه ((عدة المريد الصادق)). وإذا أخذنا في الاعتبار أن العلامة سيدي أحمد زروق جعل من التأليف سبيلاً لتنشئة مريديه علمياً وصوفياً وأنه كان يسعى في تشكيلهم تشكيلاً علمياً روحياً جامعاً أدركنا أنه اختار هذا المتن ثم هذا الشرخ ليكونا سبيله لتعليم مريديه عقيدتهم الصحيحة الخالية من الانحراف المبرأة عن وسوسات النفوس الأمارة والعقول المريضة.

أصول التحقيق

اعتمدنا ثلاثة مخطوطات كلها موجودة بدار الكتب المصرية، وهي كالتالي:

- المخطوط الأول ورمزنا له بالرمز (أ) في التحقيق، واعتمدناه أصلاً تدور عليه بقية النسخ إذا هو أجودها وأوضحها وأقلها تصحيفاً. وهو محفوظ برقم ٢٥ مجاميع

حليم بالدار، ووقطعه ٢١ سم × ١٥،٥ سم، وعدد أوراقه ٤٣ ورقة، وتاريخ نسخه سنة ١٢٣٢ هجرية، مكتوب بخط نسخي جميل، والناسخ عبده محمد خضر بن حسن رحمه الله. وعنوان الكتاب فيه (شرح عقيدة حجة الإسلام الغزالي) ، ويليه بالمجموعة كتاب (التعرف في الأصلين والتصوف لابن حجر). وعلى غلافه بعض الفوائد.

- الثاني ورمزنا له بحرف (ب) وكان اعتمدناه أصلاً ثم عدلنا عليه إلى المخطوط السابق لما تقدم من الأسباب ولوجود تصحيفات به. وهو محفوظ بالدار برقم ٨٧٦ علم الكلام وتاريخ نسخه ١٠٥٩ فهو أقدم من سابقه وعدد أوراقه ٣٦ وقطعه ٢٢سم×١٦، بقلم نسخي والمداد فيه باهت بعض الشيء ، وناسخه عمر بن سعيد بن عمر بِلَّسَدْ. والعنوان فيه (شرح عقيدة الإمام العلامة حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي. وما في بطاقة المخطوط من أنه نسخ سنة ١٠٥٤ مخالف لما خطه الناسخ بيده في آخر المخطوط.

- الثالث، ويكاد يخلو من التصحيفات فضلاً عن أنه أقرب لزمن المؤلف إذ إنه نُسِخَ سنة ٩٩١ أي بعد أقل من قرن وفاة سيدي زروق، إلا أن به نقصاً من الورقة ٢٠ إلى ما قبل نهايته. وعدد أوراقه ٢٢ فاعتمدنا عليه للترجيح حيث احتجنا ذلك ورمزنا له بالحرف (ج) وبياناته ناقصة نظراً لنقصانه بنحو النصف. وعلى غلافه جاء العنوان كما يلي:((هذا شرح العلامة الشهير بزروق على عقيدة إمام أهل السنة محمد بن محمد الغزالي الطوسي)).

منهج التحقيق:

في وقتنا هذا حيث الانقطاع بين الناس ولغة تراثهم ومفاهيمه، وما جناه التعليم المدني على الناس من تجهليهم بدينهم وتركهم فرصة لعقائد زائغة لا سيما عقائد

الوهابية والروافض، وشيوع التعليم الأجنبي في بلادنا بين أواسط الناس الذين هم – كما يذهب علماء الاجتماع – حاملو الثقافة والقيم وآلة دورانها بحث صارت مثل هذه الكتب كالطلاسم لا عند النشء فحسب بل عند الكهول والشيوخ كذلك، فضلاً عما أصاب لغتنا من وهن على ألسنة أهلها وفي أفئدتهم من جراء هذا التعليم ، لابد للمحقق أن يدرك أنه صاحب رسالة تربوية تعليمية لا تقل عن رسالته العلمية ، لذا يأتي تحقيق كتابنا هذا متميزاً بما يلي:

- ضبط العديد من مواضعه بالشكل إما إزالة للبس، وإما مساعدة للقارئ على نطق الألفاظ نطقاً سليماً، وتعويد لسانه على النطق المنضبط بقواعد النحوية تربية للسلوك اللغوي السليم.
- تضمين الحواشي شروحاً لبعض عبارة الكتاب ومفاهيمه بلفظ ميسر يراعي ما يدور في ذهن القارئ العادي من أسئلة وارتباك أمام ما في علم التوحيد من تجريد وتعقيد.
- جهد متواضع لزيادة فائدة الكتاب بتفصيل بعض ما أجمل وزيادة بيان لما فصل.
- نثبت نصاً سليماً مستساغاً للقارئ على اختلاف النسخ ومواضع التباين فيها، ونؤخر الاختلاف للحواشي– بناء على ما ترجح لدينا – لمن أراد النظر فيها.

هذا فضلاً عما يلزم محقق التراث الإسلامي من عمل معتاد كما يلي:

- خرجنا ما في الكتاب من آي الذكر الحكيم والحديث الشريف وغير ذلك من النقول والأخبار، واجتهدنا في عزو بعض الأقوال لمصادرها والتعليق عليها بما يزيل غموضها أو إبهامها.
- ترجمنا لأعلامه وكذا بعض الكتب المذكورة في النص قد الطاقة.
- وضعنا بعض العناوين التوضيحية محاطة بمعقوفين.

قد تقدم أن الإمام الغزالي شرح هذه العقيدة بالرسالة القدسية المتضمنة بالإحياء، فما الذي يدفع مؤلفاً آخر لكتابة شرح آخر وصاحب المتن أدرى به، ولعل من يأتي بعده لا يدرك مقاصده كما أدركها الماتن؟

وقد نظرنا في الشرحين فوجدنا شرح الإمام الغزالي مختصراً ويرمي إلى تقرير أدلة عقيدته إجمالاً وبالقدر الذي يفيد المسلم في سلوك طريق الآخرة دون تعريج على قضايا هي من صميم البحث الكلامي بل هي من صميم العقيدة أحياناً، مثل مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة التي لم يتعرض لها الإمام الغزالي في الشرح. كما أن الإمام الغزالي لما شرح عقيدته في الرسالة القدسية لم يتتبع لفظها وإنما جاء شرحه تعليقاً عاماً لا يتتبع هذه الألفاظ ومراميها وما يتفرع عليها.

أما شرح العلامة زروق فجاء مفصلاً – إذا قيس بشرح الإمام الغزالي- تتبع فيه الشارح لفظ المتن وأبان عنه وعما يتعلق به لفظاً لفظاً، وأفاد من تطور علم الكلام بعد الغزالي على يد الإمام الرازي والسعد التفتازاني وغيرهما من كبار المتكلمين وزاده من فوائده ما زاده نفعاً، فمن ذلك مثلاً نزعته لتعريف ألفاظ المتن والتفرقة بين الألفاظ المترادفة وأجناسها: فقال مثلاً معلقاً على كل لفظ من قول الماتن: ((فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان)):

فله الفضل في إيجادنا واختراعنا من العدم وإمدادنا بالنعم وتخصيصنا بالكرم، إذ لا نستحق شيئاً من ذلك عليه.

والإحسان، أي الإنعام الذي لا سببَ له ولا علة،

والنعمة بجميع أنواعها إيجاداً وإمداداً ودفعاً ونفعاً،

والامتنان وهو البداية بالنوال قبل السؤال.

ومن ذلك قوله:

تنبيه: مما يجري النظر به في هذا الباب خمسة ألفاظ: المثلين والغيرين والخلافين والضدين والنقيضين:

فالنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالحركة والسكون، لأن من عقل جسماً لا متحركاً ولا ساكناً كان لمتن الجهل راكباً، وعن نهج الحق ناكباً.

والضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالسواد والبياض[1].

والخلافان كُلُّ موجودَيْن غيرُ متفقَيْنِ في جميع صفات النفس.

والغيران نحو منهما.

والمثلان ضد لهما.

فانظر ذلك، فإنه مهم على من أراد الكلام، وبالله التوفيق.

كما حرص العلامة زروق على تحلية شرحه بكلام كثير من الأئمة والعارفين ومزجه بملح التصوف الرائقة ليخرج الشرح من قواعد العقول إلى فضاء الأرواح فيكون الاعتقاد سلوكاً وعرفاناً لا مجرد تصديق وإيقان. وعليه فقد جاء هذا الشرح سياحة روحية كما هو مباحثة عقلية، واعتمد في هذا اعتماداً كبيراً على ما أورده الإمام القشيري في الرسالة عند كلامه على اعتقاد أئمة الصوفية.

ولعل اهتمام السيد أحمد زروق بهذا العقيدة يعود إلى ذلك الاحترام والتبجيل الذي أبداه إمام طريقته سيدي أبو الحسن الشاذلي ومن بعده خليفته الأجل سيدي أبو العباس المرسي ﷺ للإمام الغزالي، فقد اشتهر عن الإمام الشاذلي كما نقله عنه غير واحد قوله: من كانت به إلى الله حاجة فليتوسل إليه بالإمام الغزالي، واشتهر عن سيدي أبي العباس المرسي قوله: إنا لنشهد له بالصديقية العظمى، إنه القطب الغوث

---

(١) وكثيرا ما يراد بالضد مطلق المنافي.

الفرد الجامع، فلا جرم كان اهتمام سيدي زروق بهذه الشرح امتداداً لهذا التقدير الشاذلي لحجة الإسلام الغزالي إذا الشيخ زروق علم من أعلام الشاذلية ينتهي إليه كثير من أسانيدها.

فصول في ترجمة الشيخ زروق

ليس من فائدة كبيرة في تكرار جهود السابقين في ترجمة مثل العلامة زروق، خاصة وقد ألف الدكتور علي فهمي خشيم كتاباً جامعاً عنه، كما كتب عنه باستفاضة الدكتور إدريس عزوزي في تحقيقه لكتاب ((عدة المريد الصادق)).

وقد ترجم رضي الله لنفسه في كناشه فقال:

ولدت يوم الخميس عند طلوع الشمس ٢٨ من شهر محرم ٨٤٦ هجري وتوفيت أمي يوم السبت بعده وأبي يوم الثلاثاء بعده، كلاهما في سابعي، فبقيت بعون الله بين جدتي الفقيهة أم البنين فكفلتني نفعنا الله بها والفقيرة إلى رحمة الله، فكفلتني أم البنين حتى بلغت العشر فقرأت القرآن، فأدخلتني الصنعة، فتعلمت صناعة الخرز.

ثم نقلني الله تعالى بعد بلوغي السادس عشر إلى القراءة فقرات الرسالة على الشيخ علي السطي والشيخ عبد الله الفخار قراءة بحث وتحقيق، ثم قرأت القرآن على جماعة منهم القوري والزرهوني وكان رجلا صالحا، والمجاصي والأستاذ الصغير كل ذلك بقراءة نافع، ثم اشتغلت بالتصوف والتوحيد، فأخذت الرسالة القدسية وعقائد الطوسي وعقائد السنوسي على الشيخ عبد الرحمن المجدولي وهو من تلاميذ الأبي، وأخذت بعض التنوير على أبي عبد الله القوري وسمعت عليه البخاري كثيرا وتفقهت عليه في كل من أحكام عبد الحق الصغرى وجامع الترمذي "وأخذت ذلك تفقها" وصحبت من السالكين جماعة لا تحصى بين فقيه وفقير. ولفظ "زروق" إنما جاءني من جهة الجد، كان أزرق العينين واكتسبه من أمه. أهـ

أما عن تسميته بالبرنسي فلأن أصله من قبيلـة الـبرانس البربريـة التـي تعـيش في منطقة جبل البرانس ما بين فاس وتازة، وكان مولده في قرية تليوان بتلك المنطقة، وكان والده من أهل الولاية والصلاح، حيث شيد على مدفنه في القرية بناية أنيقة تشتمل على مسجد جامع ومكان لسكن الإمـام وتعـرف بزاويـة سـيد أحمـد زروق ولهـا أوقـاف، ويحظى ضريح والده بتعظيم واحترام أهل القبيلة.

انتظم وهو ابن ستة عشر في سلك طلبة جامع القـرويين والمدرسـة العنانيـه معـاً، وصار يتردد عليهما لدراسة أمهات كتب المذهب المالكي والحديث والأصول وقواعـد العربية، كما درس بعضاً من كتب التصوف، وتتلمذ على أشـهر علـماء فـاس وفقهائهـا آنذاك، وعددهم يزيد على ثلاثين فقيهاً ومحدثاً وفقيراً، كما درس أمهات الكتب، ومنهـا كتاب التنوير لابن عطاء الله السكندري، وبدأ صلته بمشايخ الطريقة الشاذلية وهـو في العشرينات من عمره، فلزم مريدا للشيخ محمد الزيتوني بزاوية الشاذلية في فاس، وكتب تعليقه الأول على حكم ابن عطاء الله وهو في الرابعة والعشرين من عمـره (عـام ٨٧٠ هـ) وفي هذه السنة انطلق أحمد في سياحة أربعين يوماً كاملة بأمر شـيخه، زار خلالهـا ضريح الشيخ شعيب أبو مـدين بـن الحسين (المتـوفى عـام ٥٩٦ هـ/ ١١٩٨ م) في تلمسان، وعاد إلى فاس بعد مخاطر عديدة قابلته في رحلته، وعناءً شديداً تكبده، ومكث في فاس بعدها ثلاث سنين مشتغلاً بالدرس والتأليف .

واتصل بشيوخ من الـبلاد المغاربيـة، كالـشيخ الإمـام عبـد الـرحمن الثعـالبي والشيخ إبراهيم التازي والمشدالي والشيخ حلواو والسراج الصغير وأحمد بن سعيد بـن الحباك وابن الرصّاع والحافظ التنسي والإمام السنوسي صـاحب العقيـدة وابـن زكريـا وأبو مهدي عيسى المواسي .

وفي عام ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م. عزم سـيدي أحمـد زروق عـلى أداء فريـضة الحـج، واستشار شيخه أحمد بن الحسن الغماري فأشار عليـه بـأن يفعـل وأذن لـه، فتحـرك إلى القاهرة ومكث فيها فترة قصيرة، ثم غادرها إلى مكة والمدينة، وبعد أداء مناسـك الحـج

لبث في المدينة مجاوراً مدة عام، حيث التقى ببعض مشايخ التصوف، ثم عاد من الحج إلى القاهرة واستقر فيها عام ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م ، اتصل فيه بشيوخ التصوف وطرقه، وحضر الدروس في الأزهر، وكان من أهم من اتصل بهم من العلماء والمشايخ: محمد السخاوي، وأحمد بن حجر، وأبو اسحق التنوخي، ونور الدين السنهوري، والولي شهاب الدين الأفشيطي والقطب أحمد بن عقبة الحضرمي والذي أصبح مريدا في زاويته، وقرأ خلال تلك السنة من أمهات الكتاب في الفقه والحديث والتصوف، وبذلك اجتمع له في المغرب والمشرق شيوخ من الفقهاء والفقراء، وهو أمر أثر في مستقبل حياته وأفكاره، حيث رأى أن الفقه والتصوف موضوعان مترابطان، ومن هنا أطلق عليه لقب " الجامع بين الشريعة والحقيقة".

وقد كان للشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي القادري اليمني والذي استوطن مصر تأثير كبير على الشيخ أحمد زروق، كما شهد من كراماته، وصحبه يستهدي بنصحه ثمانية شهور سلكه خلالها في طريقته القادرية وصار احد مريديه المخلصين، ثم قفل عائداً إلى بلده عام ٨٧٧ هـ/ ١٤٧٣م. وظل يتبادل الرسائل مع شيخه في طريق عودته إلى طرابلس الغرب فتونس وبجاية (الجزائر) وفاس التي وصلها عام ٨٧٩ هـ وخرج فقهاؤها لاستقباله على أطرافها، وعاش رضي الله عنه في فاس أربع سنوات كان خلالها دائم الهجوم على الفقهاء الجاهلين، والقراء المداهنين، والصوفية المنافقين في كثير من مؤلفاته ورسائله، وقد قوبل بصعوبة وسوء فهم، إلا انه رغم كل الصعوبات استطاع إن يجمع بعض الأتباع الذي شكلوا فيما بعد نواة الطريقة الزروقية في المغرب، وقرر أن يهجر موطنه الأول الذي تنكر له إلى مستقر جديد، فقصد بجاية عام ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩م حيث كان له رفاق وأتباع، ثم غادرها في أواخر سنة ٨٨٤ هـ إلى القاهرة للاجتماع بشيخه الحضرمي، وقضى في القاهرة بقية العام والعام الذي يليه، وجدد علاقته مع العلماء، وصار شيخاً علماً له مكانته ويتحلق من حوله طلبة العلم والأتباع، في السنة التالية (٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م) قرر الشيخ السفر إلى مصراتة بليبيا .

و مصراتة ثالث كبريات مدن ليبيا بعد طرابلس غرباً وبنغازي شرقاً، وهي مدينة كان سكانها عند الفتح الإسلامي بربراً خلصاً، وقد أقام الشيخ قبل استقراره بمصراته في طرابلس لفترة من الزمان وعرف مشاهير رجالها، ويعدّ بعضهم ضمن شيوخ زروق كأحمد بن عبد الرحمن اليزليتني المعروف بحلولو، وعلي الخروبي الطرابلسي وكان صديقاً حمياً للشيخ زروق وصار ابنه محمد أحد أتباع الشيخ المخلصين.

وقد كان من أقران الشيخ ولي مسلاتة الشيخ عبد الواحد الدكالي وهو شيخ ولي زليتن الشهير سيدي عبد السلام الأسمر، فكان يأتي إليه سيدي زروق من مصراتة إلى مسلاتة على فرس حمراء وبيده رمح كما ذكر ذلك الشيخ عبد السلام الأسمر ، وقد أصاب الشيخ زروق في مصراتة المكانة الرفيعة والتوقير العظيم من أهلها بسبب مكانته العلمية وشهرته الصوفية، وأصبح واحداً من أهلها ، وتجمع الطلبة والمريدون من حوله ، وصارت له الصدارة في مجالسهم، وغدا ينشر علمه بين الناس في المسجد الذي كان يؤدي فيه صلاته قرب منزله، وتزوج أمة الجليل بنت أحمد بن زكريا المصراتي وحملت له ولدين وبنتاً ، فضلاً عن زوجته الفاسية فاطمة الزلاعية التي لحقت به من المغرب .

ولم يغادر مصراتة بعد استقراره بها سوى مرتين، الأولى سنة ٨٩٢ /هـ إلى الجزائر ليرعى بعض شؤونه هناك ويحضر أسرته، والثانية سنة ٨٩٤ هـ (١٤٨٩م) حيث أدى فريضة الحج للمرة الثالثة الأخيرة، وقضى بعدها السنوات الأربع الباقية من حياته القصيرة الحافلة، أخذ عنه جماعة منهم الشمس اللقاني والشيخ محمد بن عبد الله الحطاب والشيخ زين الدين طاهر القسنطيني نزيل مكة في جماعة .

وفي اليوم الثاني عشر من شهر صفر سنة ٨٩٩ هـ (١٤٩٣ م) وهي آخر سنة في سني القرن التاسع الهجري توفي سيدي أحمد زروق في خلوته عن أربعة وخمسين عاماً، وكان كل ما تركه من ارث بعده، نصف فرس يشاركه فيها رجل مصراتي، وبرنوساً أبيض وجبة وثوباً من الصوف، ومسبحة أهداها إليها الحضرمي، وأربعة عشر مجلداً من المؤلفات في فنون مختلفة

وقد أحببت هنا أن أضع بين يدي القارئ ترجمته في الضوء اللامع كما ساقها عصريه ومجيزه شمس الدين السخاوي، فقال:

أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الشهاب البرنسي المغربي الفاسي المالكي ويعرف بزروق - بفتح المعجمة ثم مهملة مشددة بعدها واو ثم قاف.

ولد في يوم الخميس ثامن عشري المحرم سنة ست وأربعين وثمانمائة، ومات أبواه قبل تمام أسبوعه فنشأ يتيماً، وحفظ القرآن وكتباً، وأخذ عن محمد بن القسم أحمد القوري.

وارتحل إلى الديار المصرية فحج وجاور بالمدينة وأقام بالقاهرة نحو سنة مدياً للاشتغال عند الجوجري وغيره في العربية والأصول وغيرهما وقرأ عليّ بلوغ المرام وبحث علي في الاصطلاح بقراءته ولازمني في أشياء وأفادني جماعة من أهل بلاده.

والغالب عليه التصوف والميل فيما يقال إلى ابن عربي ونحوه، وقد تجرد وساح وورد القاهرة أيضاً بعيد الثمانين ثم تكرر دخوله إليها ولقيني بمكة في سنة أربع وتسعين وصار له أتباع ومحبون وكتب على حكم ابن عطاء الله وعلى القرطبية في الفقه وعمل فصول السلمي أرجوزة. أهـ

وقد أفاد الشيخ زروق الحافظ السخاوي بعض التراجم، كما ذكر أعلاه، ضمنها كتابه الضوء اللامع ومنها ترجمة العلامة القوري المذكور، إذ قال فيه السخاوي:

محمد بن القاسم بن أحمد أبو عبد الله اللخمي المكناسي المغربي ويعرف بالقوري نسبة للقور مفتي المغرب الأقصى، كان متقدماً في حفظ المتون وفقيهها وعلق على مختصر الشيخ خليل شيئاً لم ينتشر وانتفع به الطلبة وممن أخذ عنه الفاضل أحمد بن أحمد زروق وقال لي أنه مات في أواخر ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وأنه سئل عن ابن عربي فقال الناس فيه مختلفون ما بين مكفر ومقطب فالأولى الوقف.

- في سوهاج بمصر مقام يعرف بلقب صاحبه لا باسمه وهو ((العارف بالله)) ويشيع بين كثير من الناس أن صاحب المقام هو سيدي أحمد زروق رضي الله عنه، فلو صح يكون مشهد رؤيا وتجلٍّ لأن مدفن الشيخ كما تقدم في مصراتة بليبيا.
- شاع في أسانيد بعض الشيوخ تلقي العارف بالله سيدي أبي الحسن البكري المصري الطريقة الشاذلية عن صاحب الترجمة ونقله بعض الباحثين. وهذا التلقي لا يصح من عدة اعتبارات:

- أولاً أن شيخ أبي الحسن البكري في التصوف هو العلامة رضي الدين الغزي جد العلامة النجم الغزي صاحب الكواكب السائرة كما ذكره الإمام الشعراني والنجم الغزي. كما أن للعارف البكري اجتماعاً بالشيخ الجليل سيدي عبد القادر الدشطوطي قدس الله سره ورضي عنه.
- ثانياً، مولد العارف البكري في سنة ٨٩٨ كما نقله الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي في ((بشائر آل الصديق)) عن ولده أبي الحسن أي سيدي محمد البكري الكبير قدس الله سره. بينما وفاة صاحب الترجمة سنة ٨٩٩، فلا يستقيم التلقي.

ومن ذلك ذكر بعض الباحثين كذلك تلقي العارف الشعراني عن الشيخ زروق ولا يصح لنفس السبب السابق، إذ مولد سيدي عبد الوهاب في عام ٨٩٨. فضلاً عن أن الشعراني لم يذكر سيدي زروق في كتبه مطلقاً. فليحرر ذلك.

أما عن تلقي العارف البكري فلا يستقيم إلا بواسطة قد تكون واسطة الرضي الغزي أو غيره وإن كانت المصادر التي بين أيدينا لا تذكر شيئاً من هذا.

وختاماً ندعو المولى القدير أن ينفع به قارئه وسامعه ودارسه وأن يجبر نقصه بفضله ومنه تعالى الفضل والمنة أولاً وآخرا.

متن عقيدة الإمام الغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبدىء المعيد، الفعال لما يريد، ذي العرش المجيد والبطش الشديد، الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد، المنعِم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد، السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد، المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، المعرِّفِ إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له، فرد لا مثيل له، صمد لا ضد له، منفرد لا ند له، وأنه واحد قديم لا أول له، أزلي لا بداية له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدي لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له.

لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال، بل ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الحديد: ٣).

التنزيه: وأنه ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدود مقدر، وأنه لا يماثل الأجسام،لا في التقدير ولا في قبول الانقسام، وأنه ليس بجوهرٍ ولا تَحُلُّهُ الجواهرُ، ولا بعرض ولا تحله الأعراض، بل لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجود: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ (الشورى:١١) ولا هو مثل شيء.

وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات، وأنه مستوٍ على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل

العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته. وهو فوق العرش والسماء وفوق كلِّ شيءٍ إلى تخوم الثرى، فوقيةً لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى، بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى. وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٣٣)، إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام، كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام، وأنه لا يَحُلُّ في شيء ولا يحل فيه شيء، تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل أن خَلَقَ الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان. وأنه بائن عن خلقه بصفاته، ليس في ذاته سواه، ولا في سواه ذاته، وأنه مقدس عن التغير والانتقال، لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض، بل لا يزال في نعوت جلاله منزهاً عن الزوال، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال، وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالأبصار نعمة منه ولطفاً بالأبرار في دار القرار، وإتماماً منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم.

الحياة والقدرة: وأنه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته، وأنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور، لا تحصى مقدوراته ولا تتباهى معلوماته.

العلم: وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات

السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال.

الإرادة: وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير، صغير أو كبير، خير أو شر، نفع أو ضر، إيمان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسران، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان، إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدىء المعيد الفعال لما يريد لا راد لأمره ولا معقب لقضائه، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك. وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً بها مريداً في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير، دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن.

السمع والبصر: وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ولا يعرب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق. ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام، يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق.

الكلام: وأنه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان، وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام. وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في

القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق، وأن ﷺ سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف، كما يرى الأبرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض، وإذا كانت له هذه الصفات كان حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات.

الأفعال: وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وأنه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره. ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكاً حتى يكون تصرفه فيه ظلماً، فكل ما سواه من إنس وجن وملك وشيطان وسماء وارض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعاً وأنشأه إنشاء بعد أن لم يكن شيئاً إذ كان موجوداً وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهاراً لقدرته وتحقيقاً لما سبق من إرادته ولما حق في الأزل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته، وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم، فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب، ولو فعل ذلك لكان منه عدلاً ولم يكن منه قبيحاً ولا ظلماً، وأنه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق. وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة، فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به.

معنى الكلمة الثانية: وهي الشهادة للرسل بالرسالة وأنه بعث النبي الأمي القرشي محمداً ﷺ برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فنسخ بشريعته الشرائع إلا ما قرره منها. وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر. ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول «لا إله إلا الله» ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك «محمد رسول الله» وألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة.

وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت وأوله: سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سوياً ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ وهما فتانا القبر وسؤالهما أول فتنة بعد الموت. وأن يؤمن بعذاب القبر وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء.

وأن يؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن الأعمال بقدرة الله تعالى، والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقاً لتمام العدل، وتوضع صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله.

وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوي بهم إلى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار.

وأن يؤمن بالحوض المورود حوض محمد ﷺ يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر.

وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل الله تعالى من يشاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الأعمال. وأن يؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد في النار موحد.

وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان.

وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم. وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين.

فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقناً به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة، فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى.

بسم الله الرحمن الرحيم

[وبه نستعين وعليه أتوكل][1]

قال سيدنا ومولانا الشيخ الإمام العالم العارف المحقق أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي عرف بزروق الفاسي الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه أمين.

الحمد لله الذي منه بدأ الحمد وإليه يعود وكل شيء كذلك، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد الآتي بأوضح الطرق وأحسن المسالك، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم من عارف وعابد وسالك وسلم كثيرا أمين إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين وبعد:

فهذه - إن شاءَ اللهُ - تعليقة على عقيدة الشيخ الإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد ابن محمد الغزالي الطوسي نفع الله به وأعاد علينا من بركاته في الدارين أذكر فيها ما حضرني من برهان قاطع أو دليل ساطع، وأنبه على ما تيسر [لي][2] من المعاني وأشير لبعض القواعد والمباني ملتزماً البيان والتحقيق ومجانباً التوسع والتدقيق، وعلى الله المعتمدُ [في][3] بلوغ التكميلِ والتحقيق ومنه الهدايةُ والعنايةُ والتوفيقُ وهو حسبُنا ونعم الوكيل.

[في معنى الحمد]

قال[4] ﷺ (**الحمد لله**) أي الثناء الجميل مستحَقٌ له تعالى فلا يستحقُ الحمدَ إلا إياه ولا يحمَدُه حقَّ الحمدِ سواه، لأن الثناءَ تابعٌ للمعرفة، ولا يعرِفُ الله إلا الله فلا يُثني

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) سقط من (أ).

(٣) (أ): وبلوغ.

(٤) القائل هو الإمام أبو حامد الغزالي ﷺ.

قال الشيخ أبو الحسنِ الشاذلي ﷺ: بل أنت أجل من أن يُثنَى عليك[1]، قلت: وذلك منه إظهارٌ للمعنى المقصود لا زيادة على الشارع فيما جاء به[2] فافهم.

وللناس في الحمدِ مباحثُ وكلامٌ يطول، من لبابه[3] اختلافهم في (الـ) هل هي داخلة للعهد أو للجنس أو للإنشاء؟[4] وعلى العهد قال الشيخ أبو العباس [المرسي][5] ﷺ: لما علم الحق سبحانه عجز خلقه عن حمده، حَمِدَ نفسَه بنفسِهِ في أزله، ثم أمرَهَم به في صيغة الخبر، فقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الفاتحة: ٢) أي قولوا: الحمد لله [رب العالمين أي الحمد][6] الذي حمد به نفسه[7] انتهى بمعناه، ونقله ابن عطاء الله في

---

(١) ذلك لأن الحادث لا يحيط علماً بكمالات القديم، فيجل القديم سبحانه أن يدرك الحادث كماله فيثني عليه. ومع ذلك فقد عطف الشارع ﷺ على قوله: «لا نحصي ثناءً عليك» بقوله: «عز جارك.. الحديث» فالثناء بقدر طاقة المخلوق مع ملاحظة أن أحداً ما قدر الله حق قدره، ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ (التغابن: ١٦).

(٢) ما أحسن هذا التوجيه لكلام العارف أبي الحسن الشاذلي من الشارح.

(٣) في (ب): من لثامه.

(٤) قوله للعهد، المقصود به ما يعهد في الذهن، فيصير معرفاً بعهديته في الذهن وهو أي الحمد – الذي حمد الله به نفسه أزلاً.

وقوله للجنس أي لجنس الحمد فيصير المعنى: جنس الحمد مختص بالله تعالى. وقوله للإنشاء، إذ أن «الحمد لله» دعاء، فهي خبرية لفظاً إنشائية معنى.

قال العلامة مصطفى العروسي في حاشيته على شرح شيخ الإسلام على الرسالة القشيرية عند قول الشارح «سواء جعلت أل فيه للاستغراق» أي والمعنى حينئذٍ كل فرد من أفراد الحمد مختص بالله تعالى يعني بالنظر إلى الحقيقة.

(٥) ليس في (أ).

(٦) عبارة الشارح فيها بعض غموض وقد اعتذر عنها بأنها رواية بالمعنى، وهي في لطائف المنن: «الحمد لله رب العالمين أي الحمد الذي حمد به نفسه» وهي مصدر الزيادة بين المعقوفتين. انظر لطائف المنن لسيدي ابن عطاء السكندري ط. دار المعارف ص١٢٥ بتحقيق الشيخ عبد الحليم محمود.

(٧) أي الحمد لله الحمدَ الذي حمد به نفسه.

((لطائف المنن))، وابن الفاكهاني في أول شرح ((الرسالة))، وقال: لا يبعد الجمع بين العهد والجنس إذ معناه جميع المحامد لله، بخلاف الإنشاء، فإنه يتنافى مع العهدية [والجنسية][1] إذ التقدير: أُنْشِئُ الحمدَ لله، وهو أمر حادث؛ والعهدية ملحوظة في الأزل فافهم.

ومن ذلك اختلافهم في خصوصه مع الشكر وعمومه، والتحقيق أن الحمد عَامُّ المتعلَّقِ، إذ يقع على السراء والضراء ويجري في الفضائل والفواضل، خاصُّ المورد، لأنه قول باللسان ونحوهِ ﷺ والشكر خاص المتعلَّقِ، إذ إنما يقع على النعمة، عامُّ المورد، لأنه يكون بجميع الجوارح من حيث رَسْمُه وإن كانت حقيقته فَرَحَ القلبِ بالنِعم[2] إلى آخره فانظره.

و(الله) اسم لذات المعبود الحق الغني عن العلة والفاعل، الموصوف بصفات الإلوهية. وإن شئت قلت: اسمٌ لذات الموصوف بالجلال[3] والكمال، المنزه عن النقص والمثال، وإن شئت قلت الذي تقدست عن سمة الحوادث ذاته، وشهدت بوجوده مُبْدَّعَاتُه، ودلت على وحدانيته آياته. وقيل: وكل أسمائِهِ تعالى للتخلق، إلا هذا الاسم فإنه للتعلق، والكلام في معناه ومبناه وحقيقته ما دل عليه معنى وقصد[4]، وبحر زاخر لا ساحل له، وربك الفتاح العليم.

ثم قال ﷺ (المبدئ المعيد): يعني المظهر لوجود الكائنات بافتتاح وجودها، لا عن وجود سابق ولا احتياج لاحق، والمُرْجِع لها إليه بالافتقار - بعد وجودها - في بقاء

---

(١) سقط من (ب) و(جـ).

(٢) في (أ) المنعم.

(٣) في (ب): الجمال.

(٤) (أ): وفصَّله، و«ما» في العبارة نافيه

وجودها وقِوامِها ودوامِها، إذ الكل منه وبـه ولـه ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ (النجم: ٤٢) منتهى كل شيء بدءاً وعوداً، فالأشياء منه وإليه، لأنه الموجِدُ لها أولاً بعدَ العدم السابق، نعم والموجد لها ثانياً بعد عدم لاحق، فالإعادة مُضَمَّنَةٌ بالبداية: قـال تعـالى:﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ (البروج: ١٣)، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ (الروم: ٢٧) ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ (النمل: ٦٤)، إلى غير ذلك.

والاسمان الكريمان ثابتان سنة وإجماعاً، وكل واحدٍ منهما مضمَّنٌ بمعنى الآخـرَ، إذ لا إعادة إلا عن بداية، والقادر على الإبداء قـادر عـلى الإعـادة بـالآخِر، وبـه وإليـه الإشارة بقوله تعالى:﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (الروم: ٢٧) فافهم.

ثم قال ﷺ **(الفعال لما يريد)**: يعني المتصرف بلا حِجْرٍ ولا تردد، ولا توقف على أسباب ولا إعانة ولا استعانة ولا عجز ولا قصور، إذا أراد شيئاً كوَّنه. هذا ما شـهدت به بدائِه[1] العقول ودلت عليه قضايا الشرع المنقول، والله سـبحانه فاعـل مختـار ومـدبر لكل الأمور. وبرهان ذلك أن العالم متغير حادث[2] والحادث لا يستغني في وجوده عـن سبب يحدثه، وموجِدُ المركَّبِ مُوجِدُ أجزائِه وأحكامه، وإلا فليس له. فهـو الفاعـل لـه والفاعلِ فيه لأنه الموجد له ولأحكامه وذلك شاهد بغنى الموجِدِ وافتقارِ المحدَث إليـه. ثم ذلك يقتضي فعله تعالى باختيارِ ضرورةٍ، إذ لو لم يكـن مختـاراً لجـاز عجـزه، وذلـك باطل كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (ب): بذاته، وبدائه جمع بديهة، والبديهة والبداهة المعرفة يجدها الإنسان في نفسه من غير إعمال فكر.

(٢) الحدوث على أنواع: ذاتي، وهو كون الشيء مسبوقاً بغيره، وزماني، وهو كـون الـشيء مـسبوقاً بالعـدم، وإضافي وهو كون وجود الشيء أقل من وجود غيره فيما مضى. ويقابلـه أنـواع القـدم، فالـذاتي مـا لا يحتـاج وجوده إلى غيره، والزماني ما لا يكون وجوده مسبوقاً بالعدم، والإضافي ما يكون وجوده أكثر من وجود آخر كالأب مع ابنه. ذكره شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحه على الرسالة القشيرية لـشيخ الإسـلام. انظـر حاشية العلامة مصطفى العروسي المسماة: نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية زكريا الأنصاري ص ٥٩. ط دار الكتب العلمية.

تنبيه لما كان مدار الاعتقاد وبرهانه في طرف البداية والنهاية تَعَرُّفَ[1] الأفعال الجارية بالخارق والمعتاد، افتتح المصنف خطبته بما يقتضي ذلك براعةَ استهلالٍ وتنبيهاً للعقول السليمة على موقع الاستدلال، وكأنه نَحَى لما وقع في القرآن وما في سورة البروج لتكون أمسَّ للاعتبار وأَدْعى للقبول والوقعِ للنفوس فافهم.

ثم قال ﷺ (**ذي العرش المجيد والبطش الشديد**) يعني صاحب العرش أي مالكه ومدبره ومنشئه والمتصرف فيه بلا حِجْرٍ ولا احتياجٍ لسبب ولا مُعين ولا ظهيرٍ ولا وزير. والعرشُ سقف العالم وجامعه[2]، وقد جعل الرب تعالى له من العظم والجلالة ما لا يدانية فيه غيره ثم أضافه له إضافة تشريف وإظهار عظمة من حيث الملك والسلطان نعم.

(**والمجيد**) معناه الجليل القدر الرفيع المنزلة، ثم هو صفة للعرش إن كانت الرواية بكسر الدال[3]، وكأنه إشعار لعظمة من أضيف إليه بذكر عظمته المشار إليها، وذلك أن العرش إذا كان قاهراً للموجودات وحاصراً للكائنات وجامعاً كوني الأرضين والسموات، فإضافته لجميع ما تحته بطريق الأخروية، وذلك مظهر لعظمة من هو قاهر له ضرورة، فإذا اعتبِرِ ذلك مع زيادة ما له من الجلالة التي لا نسبة لها في عظمة الحق تعالى وجلاله فكان أقوى في الاعتبارية فافهم.

---

(١) في (ب): وتعرف، وفي (أ) وتصرف. وقد أثبتنا ما في المتن بحسب ما بين لنا المعنى، وتكون كلمة «تعرف» خبراً لـ «كان» هكذا: لما كان مدارُ الاعتقاد وبرهانه.. تعرف الأفعال الجارية بالخارق والمعتاد. والمعنى أنه لم كان دليل الاعتقاد هو شهود الفعل لله سواء كان الفعل خارقاً أو عادياً افتتح المصنف العقيدة بذكر ما يقتضي بيان ذلك.

(٢) قال الجرجاني في التعريفات: العرش: الجسم المحيط بجميع الأجسام، سمي به لارتفاعه، أو للتشبيه بسرير الملك في تمكنه عليه عند الحكم، لنزول أحكام قضائه وقدره منه، ولا صورة ولا جسم ثمة.

(٣) قال العلامة أحمد البنا الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر: واختُلف في دال ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ (البروج: ١٥) فحمزة والكسائي وخلف بخفضها نعتاً إما للعرش وإما لربك في ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ووافقهم الحسن والأعمش. والباقون برفعها خبر بعد خبر أو نعت لـ ﴿ذُو﴾.

وإن كانت الرواية بضم الدال، فالمجيد وصف لمولانا جلَّت قدرته، وكأنه يقول صاحب العرش وهو الرفيع القدر عن الاحتياج للعرش أو للتعلق[1] أو للتمدح بوجوده، وإنما أوجده ليُظْهِرَ فيه رحمته التي عمت جميع الموجودات، أو يدلَّ على عظمته لخلق عظيم من الكائنات ولترتيب[2] المملكة على مقتضى الحكمة لكون ذلك أهدى لمن قصد التعظيم وأقوى لمن قصد المعرفة أو وحَّد[3] والله اعلم.

(والبطش): التناول بالشدة، يقال: بطش به أي سطا عليه، فبطشه تعالى أخذه للظالمين بطريق القهر والسرعة، كما ورد أنه يمهل الظالم فإذا أخذه لم يُفْلِتْهُ الحديث؛ والشديد وصف للبطش إن كان بكسر الدال، وبضمها اسم من أسمائه ومعناه[4] القوي القاهر الذي لا يقابل[5] ولا يغالب ولا يرد أمره بوجه ولا بحال وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ (البروج: ١٢) الآية، ومعناها في ذلك ينظر لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود: ١٠٢) فافهم.

ثم قال ﷺ **(الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد)** معنى الهادي: المرشد لخلقه تارة بالأمر والبيان وتارة بخلق القدرة على الإيمان، فعلى الأول يتنزل قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ (فصلت: ١٧) بعدم اتباعه، وعلى الثاني يتنزل قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (الكهف: ١٧) وهذا النوع هو الجاري في الاستعمال غالباً وهو المقصود هنا و**(صفوة العبيد)** المختارين منهم وهم المؤمنون عموماً والعلماءُ المحققون العارفون بالله سبحانه

---

(١) في (ب): للتعليق ومقصوده – والله تعالى أعلم – تعلق صفة مجده تعالى بعرشه.

(٢) في (ب): والترتيب.

(٣) في (ب): وجد.

(٤) في (ب): معنى.

(٥) في (ب): يقال.

خصوصاً، فكل مؤمن هُدِيَ إلى المنهج أي الطريق الرشيد الذي لا ضلال فيه ولا مضرة، لأن الرشدَ ضِدُّ الغَيِّ وهو ما فيه مشقة ومضرة، فالرشد ما فيه منفعة وسلامة ومن فتح له بالإيمان حصل على ذلك فكان راشداً بمنة الله عليه، قال الله تعالى:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ (الحجرات: ٧) الآية.

فالمؤمنون على مراتبهم راشدون وإن كانوا عصاةً مذنبين، وكلهم مختارون مصطفَوْنَ من العباد على مراتبهم، قال الله تعالى:﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ (فاطر: ٣٢) الآية فشمل الكل بوجود العناية ورفع بعضهم فوق بعض في درجات الولاية، وهذا على أن الكتاب كلمتا الشهادة، وهذا أحد الأقوال في التفسير فانظر[1].

(والمسلك) من المنهج ما يُجرى عليه منه، فهو طريق الخضر من العلم، والمراد هنا طريق التحقق في المعرفة بعد حصول الإيمان، إما بطريق البرهان أو بطريق البيان، وبمفاتيح المشاهدة القائمة مقام العيان والله اعلم.

---

(١) بحثنا في العديد من التفاسير هذه الآية فلم نجد فيها إلا قولين أوردهما بالتفصيل أبو حيان في البحر المحيط، قال: والكتاب فيه قولان، أحدهما: أن المعنى: أنزلنا الكتب الإلهية، والكتاب على هذا اسم جنس. والمصطفون، على ما يأتي بيانه أن المعنى: الأنبياء وأتباعهم، قاله الحسن. وقال ابن عباس: هم هذه الأمة، أورثت أمة محمد صلى الله عليه وسلم، كل كتاب أنزله الله. وقال ابن جرير: أورثهم الإيمان، فالكتب تأمر باتباع القرآن، فهم مؤمنون بها عاملون بمقتضاها، يدل عليه:﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ (فاطر:٣١)، ثم أتبعه بقوله:﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ (فاطر:٣٢)، فعلمنا أنهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ كان معنى الميراث: انتقال شيء من قوم إلى قوم، ولم تكن أمة انتقل إليها كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته. فإذا قلنا: هم الأنبياء وأتباعهم، كان المعنى: أورثنا كل كتاب أنزل على نبي، ذلك النبي وأتباعه. والقول الثاني: أن الكتاب هو القرآن، والمصطفون أمة الرسول. جـ ٩ صفحة ٢٤٧.

(السديد) المستقيم الحسن الجاري على الوجه المحبوب شرعا وطبعا، فإن السداد موافقة الحق والصواب بكل وجه، ومنه في الحديث: «فسددوا وقاربوا»[1] فانظر ذلك.

ثم قال ﷺ: **(المنعِم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد)** يعني المتفضل بعد نعمة الإسلام والإقرار بالشهادة له بالوحدانية ولنبيه بالرسالة واعتقاد مُضَمَّنِ ذلك تفضلاً[2] بنعمة أخرى هي حراسة عقائدهم الإيمانية عن الشكوك والأوهام الظلمانية تارة بالحجج والبيان وتارة بالدليل والبرهان حتى يصير المعتقد في معدن العيان، فمن الحجج والبيان قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١-٢٢) وهذه معرفة لأصول البرهان في بساط التوحيد، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ (البقرة: ٢٣) الآية، أتى فيها ببرهان صدق الرسول وتفسير ذلك مسطر في كتب الأئمة والنظر فيه متعيِّنٌ إما وجوباً أو ندباً كما سنذكر إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ: **(السائق لهم إلى اتباع رسوله المصطفى ﷺ واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد)** يعني ساقهم لذلك بما عرفوه من برهان صدقه، وما أتى به من واجب حَقِّهِ كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١) وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾

---

(١) رواه البخاري (٣٨) من حديث سيدنا أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ))، ورواه النسائي (٤٩٤٨) وأحمد (١٠٢٦١).

(٢) في (ب): تفضيلاً، (جـ): تفصيلاً، والمثبت اجتهاد منا. والله أعلم

(الفتح: ١٠) الآية وقوله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (النساء: ٦٥) الآية، فأشعَرَتْ آياتُ الأمرِ باتباعه والاستسلام لحكمه باصطفائه إذ جعل محبته في طاعته وبيعته بيعة له[1] وطاعته طاعته، فهو المصطفى أي المختار من المختارين والمنتخب من المنتخبين كما قال عليه الصلاة والسلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[2] قيل: يعني ولم أقل ذلك افتخاراً، إنما قلته ائتماراً.

وقال الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ: لا فخر له بالسيادة إنما الفخر له بالعبودية، والأول أولى[3] والله اعلم.

و(**الاقتفاء**) الاتباع من غير خروج يميناً وشمالاً بل كأنه في قفا متبوعة، والآثار ما ينقله الواحد عن الواحد، والمراد به في اصطلاح المحدثين ما ورد عن السلف غير مرفوع له ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

والصحب جمع صاحب وهو الملازِم بطريق المداخلة، والمعوَّل عند المحدثين أن الصحابي كل من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً به.

قال أبو زرعة: وقد مات ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا كلهم رأوه أو رووا عنه. وقد قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها

---

(١) في (ب): وبيعته بيعته، والمثبت من (أ).

(٢) مسلم (٤٢٢٣)، وأبو داود (٤٠٥٣)، والترمذي (٣٧٠٣)، وابن ماجة (٤٢٩٨)، وأحمد (٢٤١٥).

(٣) قلت: الأولى الجمع بين الوجهين، والأول يجعل النفي متوجهاً إلى القول نفسه، والثاني يجعله متوجهاً إلى عين الفخر بالسيادة، فيكون الفخر والشرف من جهة العبودية هو الحق، ويشهد له قوله تعالى:﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ (الزخرف: ٨١) وانتفاء الفخر بالسيادة لكون الافتخار به حركة في النفس ناشئة عن ملاحظة الند والحاجة للزهو عليه، والنبي ﷺ فوق ذلك، بينما الفخر بالعبودية لكون العبودية مناقضة لحركة النفس، فيكون معنى الفخر بالعبودية هو أن الشرف بها لا بغيرها وهو شرف لا ملحظ فيه للند والنظير لكونه عين مجاهدة النفس وهضمها.

بالنواجذ»[1] وقال ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[2] والآية الجامعة للأمر باتباعه واتباعهم في غير النهي عن مخالفته ذلك ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ ﴾ (النساء: ١١٥) الآية، ومعنى الأكرمين المُفَضَّلِينَ على غيرهم بحكم مَنٍّ الله إذ اختارهم لصحبه نبيه ونُصرةِ دينهِ وإعلاءِ كلمته وحفظ ملته والتوصيل لأمته والتزام طاعته وبذل نفوسهم في ذلك بغاية الجهد ونهاية المقدور.

ومعنى المكرمين: الذين أُكرموا بما ذكر فكانت كرامتُهم ظاهرةً.

و(**التأييد**): التقوية والعضد والنصرة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ ﴾ (الأنفال: ٢٦) قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾ (المجادلة: ٢٢) الآية إلى غير ذلك.

و(**التسديد**) التوفيق لإصابة الحق في القول والعمل، فهمُ الأكرمونَ على الله بفضلهِ المُكْرَمُون بالتأييد في أعمالهم وبالتسديد في أنظارهم ورأيهم بمنته ويكفي في مدحهم ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ (الفتح: ٢٩) رضي الله عنهم ونفعنا بهم بمنه وكرمه.

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٦٠٠)، وابن ماجة (٤٢)، وأحمد (١٦٥١٩)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١١٤)، والحاكم (٣٠١)، والطبراني في الكبير (١٥٠٢١)، وفي الأوسط (٦٦)، والدارمي (٩٦)، وابن حبان (٥)، كلهم من حديث سيدنا العرباض بن سارية ﷺ.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع فضل العلم وأهله (١٠٨٢) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله ﷺ وقال: «هذا إسناد لا تقوم به حجة ؛ لأن الحارث بن غصين مجهول». وأحسن منه ما رواه مسلم (٤٥٩٦)، وأحمد (١٨٧٤٥) ((النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ)).

ثم قال ﷺ: (**المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد**) معنى المتجلي الظاهر لهم أي لصفوته من عباده المذكورين من حيث الدلالة والتعريف لا من حيث التصوير والتكييف إذ يتعالى عن ذلك.

وتجليه في ذاته وأفعاله كذلك إنما هو بمحاسن أوصافه بحيث ظهر ذلك منها للقلوب والأسرار والحقائق فلم يُعرف من ذاته الكريمة إلا كمالُ الأوصاف ولا من أفعاله إلا ذلك، فذاته الكريمة موصوفةٌ بكل كمالٍ، منزهةٌ عن كل نقص ومثال، وأفعاله دالة على أوصافه وذاته، موصوفة بما يليق بجلاله، والكل ظاهر لذوي القلوب السليمة، واضح عند ذوي البصائر المستقيمة، على وجه لا يخفى على أحد ولا ينكره ذو عقل لأَبَدِ الأبد فَيَعْرِفُ قدرتَه بالإيجاد، وإرادتَه بالتخصيص، وعِلمَه بالإتقان، وحياته بالجميع[1]، وسمعه وبصره وكلامه باستحالة النقائص والآفات عليه، وهذا شيء لا يُدْرِكُهُ - بمعنى يصل إلى إثباته وتنزيهه - إلا من ألقى السمع لناطقات الوجود معنىً وحساً فسمع ما دلت عليه، (**وهو شهيد**) أي حاضر القلب لما سمعه حتى يستنتج منه عينَ مقصودِه وهو التوحيد المجرد عن الشكوك والظنون والأوهام، فينشد بلسان حاله شعراً:

أيا[2] عجبا كيف يُعْصَى الإلهُ	**أم كيف يَجْحَدُ الجاحدُ**
وفي كل شيء له آية	**تدل على أنه واحد**
[ولله في كل تحريكة	**وفي كل تسكينة شاهد][3]**

---

(١) أي بجميع ما سبق من الصفات لتوقف كل الصفات عليها، فتعلق القدرة تابع لتعلق الإرادة، وتعلق الإرادة تابع لتعلق العلم، وتعلق العلم تابع لتعلق الحياة، فالحياة شرط صحة فيما ذكر وغيره من الصفات. وانظر حاشية السباعي على الخريدة ط: دار الكتب العلمية، ص١٦٥.

(٢) في الأصول: يا.

(٣) زيادة من (أ)، والأبيات من بحر المتقارب. والأبيات تنسب للبيد وأبي العتاهية ومحمود الوراق باختلافات طفيفة.

وقد قال تعالى﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥) قال ابن العربي: لأنه لا مُظْهِرَ لهما سواه فافهم جيداً وبالله التوفيق.

صفات الله تعالى

الصفات السلبية[1]

ثم قال ﷺ: **(المعرف لهم في ذاته أنه واحد لا شريك له فرد لا مثل لـه)** يعنـي أنـه تعالى عَرَّفَ صفوتَه صفاتِ ذاتِه الكريمة التي منها الوحدانيـة والأحديـة فهـو الواحـد الأحد في ذاته وصفاته وأفعاله في ذاته لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يحـل في محـل، واحـدٌ في صفاته لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، واحد في أفعاله فلا نِدَّ له ولا مُعِينَ ولا مُـشيرَ ولا ظهيرَ ولا وزيرَ **(ولا شريكَ له)** في ذاته فيكونَ له شبه أو ضـد أو نظـير، ولا في صـفاته فيكون له مِثْلٌ أو نِدٌ أو قرين أو عديل، ولا في أفعاله فيكـونَ كفـؤاً لـه أو ظهـيراً، فهـو تعالى واحد، لا من واحد، ولا بواحد، ولا عن واحد، ولا على واحـد، ولا إلى واحـد، ولا في واحد، أحدٌ صـمدٌ ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (الإخـلاص: ٣-٤) وسيأتي دليل ذلك كله بعد إن شاء الله تعالى والمرجع لقولـه تعـالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

(صَمَدٌ لا ضِدَّ له) هذا على معنى أن الصمد الذي يُـصْمَدُ إليـه في الحـوائج، أي يُتَوجَّهُ إليه فيها وهو تعالى كذلك، و**(لا ضد له)** فيُتَوَجَّهَ له كما يُتوجه إليه، وكذا على أنه

---

(١) تسمى بالسلبية لأنها تنفي عن ذات الله تعالى ما لا يليق بها من تعـدد وتركـب وحـدوث وافتقـار وفنـاء ومشابهة للمحدثات. وفي كتب المتأخرين تأتي الصفات السلبية مسبوقة بالصفة النفسية وهي الوجود، ولكن الإمام الغزالي جرى هنا على مصطلح الإمام الأشعري في كون الوجـود عـين الموجـود لا صـفة زائـدة عـلى الموجود كما هو عند الإمام الرازي وتابعه عليه السنوسي. وسيأتي قريباً ذكر الـشارح للوجـود بـين الـصفات النفسية التي تجمع عندي بين الصفة الثبوتية وهي الوجود والصفات السلبية وهي الوحدانية والقدم والبقـاء والقيام بالنفس ومخالفة الحوادث، والخلاصة أن الإمام الغزالي يتـابع تقـسيم الإمـام الأشـعري، بيـنما يتـابع سيدي زروق تقسيم الإمام الرازي، والله تعالى أعلم.

بمعنى السيد فلا ضد له يوصف بمثل ما وصف به. وأما على أن الصمد الذي لا يُطْعَم فهو راجع للاستغناء، وفي مقابلته بنفي الضد بعد، وإن كان الضد منفياً بكل حال، فالمقابل لإثبات الغنى نفي الافتقار والاحتياج.

(منفرد لا ند له)، النِدُّ هو الموصوف بما وصف به مقابِلُهُ[1]، والرب تعالى منفرد بصفات الكمال والتنزيه والجلال فلا يصح أن يكون له ند، إذ لا ند إلا مع قبول المثلية من جميع الوجوه أو من بعضها، والكل عليه تعالى محالٌ لثبوتِ اتصافه بمخالفته للحوادث، ونفي التشبيه عنه بكل وجه، كما سيأتي بيانه وبالله التوفيق.

تنبيه: كأنَّ المصنِفَ قصد في الإثبات والنفي من قوله «المعرف» إلى هنا معاني سورة الإخلاص[2] لأنها تنفي الكثرة والعدد بأول آية، والنقص والتقلب[3] بالثانية، والعلة والمعلول بالثالثة، والشبيه والنظير بالرابعة كما ذهب ابن منبه ﷺ فافهم.

[القدم]

ثم قال ﷺ **(واحد قديم لا أول له)** فكرر ذكر الوحدانية إشارة لنفي القول بقدم العالم، فكأنه يقول واحدٌ في قدمه، ثم بيَّنَ أن مراده بالقديم الذي لا مفتتح لوجوده بقوله: لا أول له، نفياً للتوهم في مطلق سبق الوجود إذ يصدق القديم على ذلك[4].

(١) أي يشترك الند مع ما يقابله في الوصف وبذلك يصير نداً له.

(٢) أي قول صاحب المتن ﷺ: المعرف لهم في ذاته أنه واحد لا شريك له، فرد لا مثيل له، صمد لا ند له، منفرد لا ند له.

(٣) في (ب)، (جـ): التغلب، والمثبت من (أ) وهو أقرب للمعني والله تعالى أعلم

(٤) لأن القدم قد يكون إضافياً، أي بالنظر إلى غيره مما هو أقل من قدمه، وقد تقدم تفصيل أنواع القدم والحدوث قريباً في الحواشي فانظره.

(أزليٌّ لا بدايةَ له)، هـذه زيـادة بيـان، وإلا فـالأزلي هـو الأول الـذي لا مفتـتح لوجوده وهو الذي لا بداية له، والكل بمعنى القديم، ولم يـرد إطـلاق ذلـك سـنة ولا قرآنا[1].

قال التفتازاني بجوازه بالإجماع وهو من الأدلة الشرعية، قال: وقد يقال إن اسـم الله تعالى والواجب والقديم ألفاظ مترادفة والموجود لازم للواجـب، فـإذا ورد الـشرع بإطلاق اسم لغة فهو إذْنٌ بما يرادفه من تلك اللغة أو لغةٍ أخرى وما يلازم معنـاه. قـال وفيه نظر.

[البقاء]

(مستمِرُّ الوجودِ لا آخِرَ له)، فلا يصح انقطاع وجوده ولا انتهاؤه لغايـة لأن مـا ثبت قِدَمُه استحال عدمُه[2].

ثم زاد توكيـداً بقولـه: **(أبـديٌّ لا نهايـةَ لـه)**، لأن النهايـاتِ تُعـدُّ مـن عـوارض الحادثات، فهو من معنى الذي قبله.

---

(١) لعله يقصد وصف الأزلي، وإلا فقد أخرج أبو داود بسند جيد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الـرجيم..» الحديث.

(٢) لأنه واجب الوجود لذاته فيستحيل عدمه إذا لو فرض عدمه لم يكن واجباً. ودليل كونـه تعـالى واجـب الوجود أن العالم حادث وأن كل حادث يجب افتقاره إلى محدث؛ وأنه تعالى لو لم يكن واجب الوجـود لكـان جائز الوجود فيفتقر إلى محدِث ويفتقر محدثه إلى محدث، فإن عاد الأمر لأول محدث لزم الدور، ومنه الـدوران والتدوير، وإن تتابع المحدثون، بكسر الدال، إلى ما لا نهاية فهو التسلسل، وكلا الدور والتسلسل محال لأنهما يعنيان افتقاره إلى محدث وهو محال، وقد أدى المحال إلى محال آخر وهو كونه ليس واجـب الوجـوب، فثبـت كونه تعالى واجب الوجود وثبت به قدمه واستحالة عدمه تعالى. نقلاً عن حاشية البـاجوري عـلى الجـوهرة بتصرف، ص ٦٢-٦٣ وانظره لمعنى التسلسل والدور.

[القيام بالنفس]

(قيوم) أي قائمٌ بنفسه وقائم بأمور خلقه، والقيوم والقيّـام بمعنـى واحـد، وقـد وردا سنةً والأولُ قرآناً[1].

قال الشيخ أبو إسحاق الاسفرايني[2]: والقَيَّام عند المتكلمين المستغني عن المحل والمخصص[3]، وقال ابن عباس ﷺ: القيوم الذي لا تفنيه الـدهور ولا يغـيره انقـلاب الأمور.

---

(١) أما ورود «القيّام» سنةً فقد روى البخاري في صحيحه (٦٨٨٨) عن طاووس عن ابن عباس ﷺ قـال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَهَجَّدَ مِنْ اللَّيْلِ قَالَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْـدُ أَنْـتَ قَـيِّمُ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ ... الحديث. ثم قال البخاري ﷺ: قَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ وَأَبُو الزُّبَيْرِ عَنْ طَاوُسٍ قَيَّامُ... وَقَرَأَ عُمَـرُ ((الْقَيَّامُ)) وَكِلَاهُمَا مَدْحٌ. انتهى من صحيح البخاري. فهـو ثابـت خـبراً مـن هـذه الروايـة. وثبتـت قـراءة ((القيّام)) عن المطوعي، إلا أنها قراءة شاذة، فليست بقرآن. وروى الحاكم في مستدركه (٣٠٩٢) عـن عبـد الرحمن بن حاطب عن عمر ﷺ أنه صلى بهم « فقرأ الم الله لا إله إلا هو الحـي القيـام » «قـال أبـو عبيـد : أمـا القراء بعد من أهل الحرمين مكة والمدينة وأهل المصرين الكوفة والبصرة وأهل الـشام ومـصر وغـيرهم مـن القراء فقرءوها : ((القيوم)) لا اختلاف بينهم فيه أعلمه. ثم قـال الحـاكم: وكـذلك القـراءة عنـدنا لموافقـة الكتاب ولما عليه الأمة، وإن كان لذينك الوجهين في العربية مخرج .قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسـناد ولم يخرجاه. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٧٠) بنحوه. والله تعالى أعلم.

(٢) قال الإمام السبكي في طبقات الشافعية: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإمام ركـن الـدين أبـو إسحاق الإسفراييني المتكلم الأصولي الفقيه شيخ أهل خراسان يقال: إنه بلغ رتبة الاجتهاد، ولـه المـصنفات الكثيرة منها جامع الحلى في أصول الدين والرد على الملحدين في خمس مجلدات وتعليقـه في أصـول الفقـه ... وله غير ذلك خرج له أبو عبد الله الحاكم عشرة أجزاء وذكره في تأريخه لجلالته وقـد - مـات الحـاكم قبلـه - فقال: الفقيه الأصولي المتكلم المتقدم في هذه العلوم، انصرف من العراق وقد أقر لـه العلـماء بالتقـدم. قـال: وبُنِي له مدرسة لم يبن مثلها، فدرس فيها... قال أبو القاسم ابن عساكر: حكى لي من أثق به أن الصاحب بن عباد كان إذا انتهى إلى ذكر ابن الباقلاني وابن فورك والإسفراييني وكانوا متعـاصرين مـن أصـحاب الحـسن الأشعري، قال لأصحابه: ابن الباقلاني بحر مغرق، وابن فورك صِلٌّ مطرق، والإسفراييني نار تحـرق. تـوفي يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة وأربعمائة بنيسابور ونقل إلى إسفرايين فدفن بمشهد بها.

(٣) أي من يرجح وجوده تعالى على عدمه، تعالى الله عن ذلك علـواً كبـيرا واسـتغناؤه تعـالى عـن المحـل لا يقصد به المكان لأنه من جملة الصفة السادسة التي هي المخالفة للحوادث وهي تلي قريباً.

قلت: وهذا كله على معنى قيامه بنفسه، وإليه أشار المصنف بقوله **(لا انقطاع له)**، لأن النفي عنده تفسير للإثبات بالمقابل، وقيل: القيوم الغني الدائم القائم بتدبير خلقه غنياً عنهم، والأول والثاني أَمَسُّ فإنه من صفات الذات فانظره.

(دائم لا انصرام له)، أي لا ينقطع وجوده ولا يتناهى، وهو معنى **(مستمر الوجود... أبدي)** كما مر، لكن فائدة التكرار بتغيير العبارة: الإيقاع في النفوس ورفع التوهمات عن احتمال المعنى، وقد قيل في قوله ﷺ للخطيب الذي قال:«ومن يعصهما» «فبئس الخطيب»[1] بأن ذلك من جهة أنه اختص في محل الإطناب وهو الوعظ والتعليم، ورجحه النووي وغيره.

(فائدة): صفات النفس[2] ستة: الوجود[3] والوحدانية والقدم والبقاء وأنه قائم بنفسه، وأنه مخالف للحوادث.

وصفات المعاني سبعة: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام.

---

(١) رواه مسلم بلفظ (بئس) (١٤٣٨)، وأبو داود (٩٢٦)، وأحمد (١٧٥٣٦)، والحاكم (١٠١٦)، وابن حبان (٢٨٥٥) وغيرهم، من حديث عدي بن حاتم ﷺ.

(٢) أي صفات ذات الله ﷻ.

(٣) وفي إثبات صفة الوجود اختلاف بين الإمام الأشعري ومتأخري الأشاعرة لأن الوجود عين الموجود عنده وغير الموجود عندهم. وقد جرى صاحب الخريدة ﷺ على متابعة الإمام الأشعري في نفي الأحوال التي هي واسطة بين الوجود والعدم إلا أنه أثبت صفة الوجود وقال: فإن قلتَ: إذا كنتَ قد بنيت هذه العقيدة على مذهب الأشعري القائل بنفي الأحوال، فالوجه حذف الوجود ولا حاجة لارتكاب التسامح، قلتُ: لما كان معرفة الوجود يحتاج لها لينبني عليها غيرها من الصفات اعتبرت الوصف الظاهري في قولنا: ذات موجودة وارتكبت التسامح، على أن التحقيق أن الشيخ ولو نفى الأحوال لا ينفي الاعتبارات لظهور زيادتها ذهناً، وإن لم يكن لها ثبوت خارجاً، بل قال العلامة التفتازاني: لا خلاف أن الوجود زائد ذهناً بمعنى أن للعقل أن يلاحظ الماهية بدون الوجود وبالعكس. انظر الخريدة بحاشية السباعي ص١٢٧-١٢٨. وانظر حاشية الدسوقي على أم البراهين، ط المكتبة العصرية، ص ١٨٤-١٨٧.

والصفة المعنوية ما أتى بصيغة إضافة هذه[1] للذات الكريمة ككونـه حيـاً وعالمـاً وقادراً[2]. وقد ذكر المصنف الأولى في هذا الفصل، والأخرى [تـأتي بعـد][3] إن شـاء الله تعالى.

ثم قال ﷺ: **(لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال)** يعنـي أن صـفاته قديمـة باقية بقدمه وبقائه تعالى وأن لها من التنزيه ما يليق بجلاله من نفـي الـنقص والحـدوث فلا نقص في أوصافه ولا حدوث، وجميع أوصاف الخلـق يلازمهـا الـنقص والحـدوث تعالى ربنا وجل.

(لا يُقضَي عليه بالانقضاء بتصَرُّمِ الآباد وانقراضِ الآجال)، أي أن الحُكم بأن كل شيء منته إلى حد وأجل وجوباً أو جوازاً، أو أن الآباد لابد أن تتصرم، والـدهور لابـد أن تتفرق، لا يقضِى بأن ذلك يجري عليه أو يجوز، بل نشهد بدوام بقائه، إذ لا يـصح أن يُعدِمَ نفسه ولا أن يُعدِمَه غيرُه لأنه الفاعل المختار القديم ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ (القصص: ٨٨) ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦-٢٧) الآية.

نعم وما صح بقاؤه فلا يمتنع انعدامه، بخلاف الرب سبحانه وتعـالى، بـل **(هـو الأول)** بلا بداية، **(والآخر)** بلا نهاية، **(والظاهر)** من جهة التعريـف[4] **(والبـاطن)** مـن

---

(١) الإشارة إلى صفات المعاني.

(٢) وكونه مريداً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً.

(٣) في (ب): ستأتي.

(٤) أي من جهة تعريف نفسه سبحانه لخلقه بإثبات وجوده وبالإرشاد إلى تتبع آثـار قدرتـه وأفعالـه. وهـو الباطن من حيث التكييف أي أنه لا تـصفه العبـارة ولا تحـدده الإشـارة: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ (الأنعام: ١٠٣).

جهة التكييف، أظهرَ كلَّ شيءٍ لأنه الباطن، وطوى وجودَ كلِّ شيءٍ لأنـه الظـاهرُ[1]، لـو ظهرت صفاتُه لاضمحلتْ مكوَّناتُه[2]. (**وهو بكل شيء عليم**): ذاتِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ[3]؛ وما ليس بشيء: يعلم نفيه وحُكْمَهُ في[4] استحالتِه وجوازِه نفياً وثبوتاً وتحقيقـاً وتقـديراً فافهم.

تنبيه: جملة ما وقع في هذا الفصل فصل معرفة الذات الكريمة [العظيمة][5] عـشر تراجم: الوحدانية ثم الفردانية، ثم الصمدانية، ثم القيومية، ثم القدم، ثـم الـدوام، ثـم مخالفته للحوادث، ثم نفي قبول وصفها، ثم ظهوره بالأوصاف، ثم بطونه عن الكيف، وذِكر الأول والآخِر مندرجٌ في جميع ما تقدم فتأمل ذلك، وبـالله التوفيـق وهـو حـسبنا ونعم الوكيل.

[ما يتعلق بتنزيهه تعالى وأقسام الحكم العقلي]

(**التنزيه**) يعني التقديس والتطهـير والترفيـع والتعظـيم والإجـلال عـما لا يليـق بجناب الربوبية من التمثيل والتشبيه والتصوير والتحديـد والتقـدير ونحـو ذلـك مـن وجوه التنزيه الواجبة له تعالى، وهو ثابت بالدليل الـنقلي والبرهـان العقـلي، ولا يتـأتى الكلام فيـه ولا في شيء مـن المعقـولات إلا بعـد معرفـة أحكـام العقـل وهـي ثلاثـة: الوجوب والجواز والاستحالة:

---

(١) أي أن بطونه سبحانه سبب ظهور الأشياء ولو كان ظهر بلا بطون لانمحقت الأشياء، وكـما أن ظهـوره سبحانه جعل كل شيء ممحوق الوجود حكماً إذا قرن بوجود الله تعالى.

(٢) اسم مفعول من كوَّن فهو مكوَّن بفتح الواو، فتنبه.

(٣) جاء بهامش (أ): قوله: «ذاته» بدل من «شيء» في المتن، بدل بعض من كل ودليل أن يقال «الله شيء» قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ (الأنعام: ١٩)، وقوله: «صفاته وأفعاله» بدل من «شيء» أيضاً

(٤) في (ب): واستحالته.

(٥) ليس في (ب).

فالواجب ما لا يصح نفي وجوده بضرورة العقل.

والجائز ما ليس نفيه بأولى من ثبوته ولا بالعكس[1].

والمستحيل ما لا يصح إثباته ولا يتصور وجوده. ثم هو على قسمين محـال لذاتـه ومحال لغيره، وكذا الواجب والجائز[2]، والكلام في ذلك واسع فانظر في المطولات.

ثم التنزيه دائر على إثبات الذات والصفات ونفي الكيف والتشبيه، ومِن الـدليل على ذلك عجز الإنسان عن إدراك وجوده ومتعلَّقاته بطريق الإحاطة، كما قيل شعراً[3]:

قـل لمـن يفهـم عنـي مـا أقـول ... قـصِّرِ القـولَ فـذا شرحٌ يطـول
ثَـمَّ سِرٌ غـامض مِـنْ دُونِـهِ ... قَـصَّرَتْ والله سـاداتٌ فحـول
أيـن مِنـكَ الـروحُ في جوهرِهـا ... هـل تراهـا أو تـرى كيـفَ تجـول
أيـن منـك القلـبُ في قالَبِـهِ ... وهْـو بيـت الـربِ حقـا إذ يقـول[4]
أيـن نـورُ العقـلِ والفهـم إذا ... غلـبَ النـومُ فقـلْ لي يـا جهـول
أيـن أصـلُ النـورِ في أبـصارِنا ... ودمـوعُ العـينِ إذ تجـري سـيول
أيـن أصـلُ الـشَيبِ في أشـعارِنا ... وأصـولُ الـشَّعر في الـرأسِ الكحـول

---

(١) قوله:«ولا بالعكس أي ليس ثبوته بأوى من نفيه مثل أن نفيه ليس بأوى من ثبوته.

(٢) أي أن الواجب والجائز كالمستحيل في انقسامهما إلى قسمين واجب وجائز لذاته ولغيره.

(٣) القصيدة تنسب للإمام الغزالي فيما قيل إنه سؤال له من الزمخشري عن آية الاستواء، وهي بهذه النسبة في تحفة المريد. ووقد أوردها الشارح في شرحه على رسالة القيرواني مختصرة باختلاف قليل في الألفاظ.

(٤) إشارة إلى حديث ((ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)) ولا أصـل لـه كـما قـال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، وأصح ما فيه ما رواه الطبراني عن أبي عتبة الخـولاني ورفعـه: إن لله آنيـة من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها، (مسند الشاميين/ ٨١٧). قـال العجلوني في كشف الخفاء: وفي سنده بقية بن الوليد يدلس لكنه صرح بالتحديث.أهـ. هذا وكلام ابن تيميـة في حمل المتكلم بمثل هذا الحديث على الحلول والاتحاد لا يلزم من معنـى الحـديث إلا عـل مذهبـه في إثبـات النزول الحقيقي المكاني. ومعنى الحديث صحيح يتروح به السالكون في الطريق لحضرة الحق جلا وعـلا ولا حلول ولا اتحاد.

أيــن أصــلُ الــسمع والــشمَّ إذا — فُقِــدَ المجمــوعُ قــل لي يــا نكــول

أيــن يــذهب علــمٌ كنــتَ تعلمُــهُ — حــين تنــساه فقــل لي يــا ضــلول

أيــن كــان الجِــسْمُ في نُطْفتنــا — بــشعورٍ وعُــروقٍ وأصــول

وحــديثُ الــنفس مــن يــسمعُه — ومَــنِ الــشخصُ الــذي فيهــا يقــول

إذ يكــون الأخــذُ في وسواســها — ومجــال الــرد منهــا والقبــول

أيــن أنــت ممــن يبــصر كــلَّ مــا — تعمــلُ ويــسمعُ منــكَ أخفــى مــا تقــول

أيــن نــور الــشمس لمــا أن دجــى — غيهــب الليــل وحانــت للأفــول

أيــن صــار الليــل لمــا أن أتــى — بــضياء الــصبح ربٌّ لا يحــول

أيــن كــان النخــل في نواتــه — وكــذا الأشــجار طُــرَّاً والبقــول

أنــت آكِــلُ الخبــز لا تعرفــه — كيــف يجــري فيــك أم كيــف تبــول

لا ولا تــدري صــفاتٍ رُكِّبَــتْ — فيــك حــارت في خفاياهــا العقــول

هــذه الأوصــاف لا تحــصرها — لا ولا تــدري متــى عنــك تــزول

فــإذا كانــت خفايــاك التــي — بــين جنبيــك بهــا أنــت ضــلول

كيف تدري من عـلى العـرش استوى — لا تَقُــلْ كيــفَ اســتوى كيــف النــزول

كيــف تجــلى أم تَــرى كيــف يُــرى[1] — فلعمــري لــيس ذا إلا فــضول

إن تَقُــلْ كيــفَ فقــد مثَّلْتَــهُ — أو تَقُــلْ أيــنَ فقــد رُمْــتَ الحلــول

هــو لا أيــنٌ ولا كيــفٌ لــه — وهــو ربُّ الكيــفِ والكيــفُ يحــول

وهــو فــوق الفــوق لا فــوقٌ لــه — وهــو في كــل النــواحي لا يــزول

جــل ذاتــا وصــفاتا وعــلا[2] — وتعــالى وصــفه[3] عــما أقــول

---

(١) كذا بالأصول والأشهر رواية: كيـف يُحكـى اللهُ أم كيـف يُـرى، وهـو سـليم عروضـياً بخـلاف مـا في الأصول.

(٢) في (جـ): سما.

(٣) في (أ): قدره.

انتهى، ومعنى البيت الأخير أن الرب سبحانه وتعالى فوق وصف الواصفين وتنزيه المنزهين، كما قيل: الحق سبحانه منزه عن التنزيه فكيف يشار إليه بالتشبيه؟! ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى: ١١). وقيل في معنى اسمه القدوس: هو المنزه عن كل كمال لغيره، لأن قولك المُنزّه عن النقائص كقولك الملك ليس بجزار، ولله المثل الأعلى فافهم.

وقد قال أبو علي[1] البوشنجي ﷺ: التوحيد إثبات ذات غير مُشَبَّهَةٍ بالذوات ولا معطلة عن الصفات، وقال الجنيد ﷺ[2]: التوحيد بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى:

---

(١) كذا بالأصول، وصوابها أبو الحسن وهي كنية لمن تسمى بعلي كسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه. ولعله سهو من المصنف ﷺ أو من النساخ، زادوا لفظ «أبو» على اسم المترجم بدلاً من الاقتصار على اسمه (علي). قال الإمام القشيري: أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل البوشنجي أحد فتيان خُراسان، لقي أبا عثمان، وابن عطاء، والجريري، وأبا عمر والدِّمشقيَّ. مات سنة: ثمان وأربعين وثلاثمائة. سئل البوشنجي عن المروءة فقال: هي ترك استعمال ما هو محرَّم مع الكرام الكاتبين. وقال له إنسان: ادع الله لي، فقال: أعاذك الله من فتنتك. وقال: أوَّل الإيمان منوط بآخره.

(٢) الجنيد بن محمد سيد هذه الطائفة وإمامهم. أصله من نهاوند، ومنشؤه بالعراق، وأبوه كان يبيع الزجاج؛ فلذلك يقال له: القواريري. وكان فقيهاً على مذهب أبي ثور وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة. صحب خاله السري، والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب. مات سنة سبع وتسعين ومائتين.

قال الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من أقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام. وقال: من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنَّة. ورؤي في يده سُبحة، فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟! فقال: طريق به وصلت إلى ربي لا أفارقه. وكان يدخل كل يوم حانوته، ويسبل الستر، ويصلي أربعمائة ركعة، ثم يعود إلى بيته. اهـ عن الرسالة القشيرية بتصرف.

١١)[1]، وقال أبو علي الروذباري ﷺ[2]: التوحيد استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه. انتهى. وهو ظاهر المناسبة والفائدة.

ثم قال ﷺ: **(وأنه تعالى ليس بجسمٍ مُصَوَّرٍ ولا جوهر محدود مقدر)**، يعني: وأنه المعرف إياهم ما ذكروا، وأراد نفي الجسمية والجوهرية لأن الجوهر ما اشتغل[3] فراغاً، ومن لوازمه التحديد والتقدير، والجسم ما تركب من جواهر[4] بل من جوهرين فأكثر، ومِن لازِمِهِ الصورة.

وقد قال بعض الحكماء لمن أراد أن يتعلم من حكمته: اعلم أن العقل يطلب إدراك الأشياء من حيث عللُها، والوهم يطلب إدراك الأشياء من حيث الإحاطةُ بها، والحس يطلب إدراك الأشياء من حيث جهتُها، والله تعالى ليس بذي علة فيدركه العقل، ولا بذي صورة فيدركه الوهم، ولا في جهة فيدركه الحس انتهى.

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه: **(وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام)** يعني أن الأجسام تقبل الانقسام[5] وتتحدد[6] بالتقدير، والرب سبحانه وتعالى لا يجوز عليه شيء من ذلك، لأن التأليف والتركيب والتحليل والتحديد حوادث، وما لا يعرى عن الحوادث لا يسبقها، وما لا يسبقها كان حادثاً مثلها، ولو صح حدوثُ البارئ لما صح أن يكون إلهاً لافتقاره، وذلك باطلٌ لوجود غناه وثبوت اتصافه به،

---

(١) جاءت العبارة في (جـ) كما يلي: وقال الجنيد ﷺ: التوحيد إفراد المؤَحِّدِ بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد.

(٢) في (جـ): رحمه الله تعالى.

(٣) في (جـ): اشتغل.

(٤) فالجسم مركب والجوهر بسيط.

(٥) لأنها مركبة من أبعاض وأجزاء.

(٦) أي يصبح لها حد وقدر معلوم.

وللزم وجود التسلسل[1]، وما يتسلسل لم يتحصل، بل التسلسل يؤدي إلى نفينا، ونفينا مع وجودنا محال فافهم.

وقد ثبت أن المِثْلَين كل موجودين متفقين في جميع صفات النفس، فما جاز على المِثلِ جاز على مماثله، فيلزم منه جوازُ حدوث القديم وهو باطلٌ فانظره متأملاً، وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ: **(وأنه ليس بجوهر ولا يشبه الجواهر، ولا بعرض ولا تحله الأعراض)**، يعني لأن ذلك يقضي بالحدوث وهو باطل، لأن الجوهر هو المتحيز القابل للأعراض والتركيب، وبه تفْضُلُ الأجسامُ بعضها بعضاً في الكبر والصغر، فهو متناهٍ مفتقر، وذلك دليل حدوثِه، والربُّ قديمٌ لا يتصف بما يدلُّ على حدوثِه فليس بجوهر ولا تحِلُّه الجواهر لأنها حوادث، ولا يَصِحُّ اتصافُ القديم بالحادث ولا بحلوله فيه للزوم وصف الحدوث له فيكون حادثاً مثله، ولا بعَرَض لأن العَرَضَ حادثٌ لطروئِهِ على محله وانتفائه بعد وجوده إذ العرض هو المعنى القائم بالجوهر[2].

---

(١) التسلسل: ترتب أمورٍ غير متناهية وفي هذا السياق هو تتابع المحدِثون واحداً بعد واحد إلى ما لا نهاية. قال شيخ الإسلام الباجوري: وإنما كان التسلسل مستحيلاً لأدلة أقامها المتكلمون أجلها برهان التطبيق، وتقريره: أنك لو فرضت سلسلتين، وجعلت أحدهما من الآن إلى ما لا نهاية له، والأخرى من الطوفان إلى ما لا نهاية له، وطبقت بينها بأن قابلت بين أفرادهما من أولهما، فكلما طرحت من الآنية واحداً طرحت في مقابلته من الطوفانية واحداً وهكذا، فلا يخلو إما أن يفرغا معاً فيكون كل منهما ما له نهاية وهو خلاف الفرض، وإن لم يفرغا لزم مساواة الناقص للكامل وهو باطل. وإن فرغت الطوفانية دون الآنية كانت الطوفانية متناهية والآنية أيضاً كذلك، لأنها إنما زادت على الطوفانية بقدر متناه وهو ما من الطوفان إلى الآن. وممن المعلوم أن الزائد على شيء متناه بقدر متناه يكون متناهياً بالضرورة. أه ص ٦٣. ولتمام الفائدة نذكر معنى الدور، وهو توقف (أ) على (ب) وتوقف (ب) على (أ)، فالمحدَث إذا توقف على محدَث آخر ثم توقف هذا المحدث الثاني على المحدث الأول فذلك هو الدور.

(٢) كالضحك من الإنسان أو السخونة للجسم إذا سُخِّن وكذا الحمى وغير ذلك والأعراض تطرأ على الجواهر ثم تزول عنها.

وقد قالوا: لا يبقى[1] زمانين، ولا الزمان الفرد[2]، وربنا قديم باق فليس بعرض ولا تحله الأعراض لأنها حوادث لما تقدم في الجواهر.

وقد حصر المتكلمون [رحمهم الله][3] العالم في الجوهر والعرض، والعالم عندهم عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى وصفات ذاته، وقالوا في برهان الحصر: إن كان الزائد صفة فهو العرض، وإن كان موصوفاً فهو الجوهر، ولا يصح كونه صفة موصوفا لاستحالة اجتماع الضدين، ولا خليّاً عنهما لاستحالة عُرُوِّ المحل، فثبت الحصر، وأخذه بعضهم من قوله تعالى:﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٩) قال:﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (الذاريات: ٥٠) قال: أي الذي ليس بجوهر ولا عرض. قلت: وفي هذا الاستدلال نظر، والمقصود أن الرب غير مفتقر لشيء مركب منه ولا قائم به ولا حالٍ فيه، ولا محلاً له ولا قابلٍ لذلك، وصفته[4] الغِنى والتنزيه عن سمات الحدوث، وإلا لم يكن إلهاً لحدوثه وعجزهِ وهو باطل محالٌ في وصفه سبحانه وتعالى.

ثم جمع المؤلف الكل فقال ﷺ (**بل لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجود**) يعني لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أسمائه، وقد مر برهانُ ذلكَ. وقد قيل إن المثلينِ كُلُّ موجودين مشتركين فيما يجب ويجوز ويستحيل، ولو كان الإله يشبه خلقه لَعَجَزَ كَعَجْزِهم، ولو أشبهوه لكانوا آلهة مثله قادرين كاقتداره، وذلك مردود بدلالة التمانع المشار إليها بقوله:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

---

(١) أي العرض لا يبقى زمانين.

(٢) أي أقل الزمان بحيث إنه لا ينقسم، والمعنى أن العرض لا يبقى زمانين ولو كان المقصود بالزمان أقله أي الزمان الفرد.

(٣) الزيادة من (جـ).

(٤) في (جـ): وصفه.

وبيان ذلك أن لو قدرنا إلهين وقدرنا أنهما قديمان حيَّان، عالمان، قادران، مختلفا[1] المراد، يريد هذا أن يفعلَ سكونًا ويريد الآخر أن يفعل حركة، واتحاد[2] المحل واتحاد الزمان، وأن المحل لا يعرى[3]، وأن الضدين لا يجتمعان، واستحالة عجز القديم، فإن ما صح من المثل صح من مثله، وأن الجائز كالواقع، وأن المقدورات لا تتناهى؛ وأراد أحدهما تحريك جوهرٍ وأراد الآخر تسكينه لم يخل من ثلاثة أمور: إما أن يتفق ما أراد كل واحد منهما وهو محال لتأديته لجمع الضدين، وإما أن لا يتفق لأحد منهما[4] مراد وذلك يؤدي لتعجيزهما، ولعروِّ المحل عن قبول الضدين، وإما أن يتفق مراد أحدهما دون الآخر فيعجز صاحبه ويلتحق هذا الذي نفذت إرادته بالعاجز لأنه مثله، لأن ما جاز على المثل جاز على مماثله فيلزم عجزه ولا يكون واحد منهما إلهًا، وانظر بقية البرهان في ((الاتفاق)) لأني تركته لطوله، وإنما هذا مَثَلٌ مبنيٌ على التقدير، ولا إله إلا الله وحده ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ (المؤمنون: ١١٧).

فظهر أنه الواحد من جميع جهات الوحدانية **(وليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء)** أي لا بمثل شيء سابق شبه به إذ لا سابق له تعالى ولا شبيه، ولا يُمَثَّلُ به شيء لاحقٌ إذ لا لاحِقَ له في الوصف ولا مثيل، قال الله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

وقد قال الواسطي ﷺ: ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كصفته صفة ولا كفعله فعل إلا من حيث موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة عن أن تكون لها صفة حديثة كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة.

---

(١) وردت كل هذه النعوت منصوبة في الأصول. ولعل قوله:«قدرنا أنهما» وأصله:«وقدرناهما» فتصير النعوت الواردة كلها منصوبة، والله تعالى أعلم وهو خطأ من النساخ.

(٢) اتحاد: مفعول به ثان من جملة «قدرنا إلهين» أي وقدرنا اتحاد المحل واتحاد الزمان، أو هو مفعول به لفعل محذوف تقديره: قدرنا.

(٣) في (ب): يعرف. والمقصود أن المحل لا يعرى عن أحد العرَضين النقيضين: الحركة والسكون.

(٤) في (ب)، (أ) لأحدهما.

قال الإمام القشيري رحمه الله: هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد، وكيف تشبه ذاتُه ذاتَ المحدَثات وهي بوجودها مستغنيةٌ، وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغيرِ جَلْبِ أُنْسٍ أو دَفْعِ نقصٍ حصل[1]، ولا بخواطر وأعراضٍ وُجِدَ، ولا بمباشرة ولا معالجة ظهر[2]، وفِعْلُ الخلقِ يخرج عن هذه الوجوه.

وقال غيره من مشايخنا: ما توهمتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فهو محدَثٌ مثلكم. انتهى كلامه.

وقد اختلفوا في دخول الكاف على «مِثْل» في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ فقيل للتأكيد بالتكرار وكأنه يقول: ليس مِثْلَه شيءٌ ليس مِثْلَه شيءٌ مرتين.

وقيل: ليقع النفي بالحرفين كما يقع على التشبيه بهما لمن يليق به.

فكأنه يقول: ليس كهو شيء وليس كمثله شيء، وقيل لما كان نفي المثلية قاضياً[3] بنفي المثل لاستحالته مع انتفائها، كانت الآية دالةً على أبلغ النفي للمثل بطريق المعقول. قلت: وهذا معنى بديع غير أن فيه غموضاً[4] يُحتاج معه لتأمله[5]. وقد قيل: الحق تعالى منزه عن التنزيه فكيف يشار إليه بالتشبيه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

---

(١) أي أن فعله تعالى بلا احتياج لأنس ولا لدفع نقص ولا لغيرها مما يعلل أفعال المخلوقين.

(٢) بل بكلمة «كن»: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (النحل: ٤٠)

(٣) بالأصول: قاضٍ، وهو خطأ لأن الكلمة منصوبة لكونها خبراً لكان.

(٤) بالأصول غموضاً وهو تصحيف ولا بد.

(٥) أثبت الشارح رحمه الله غموض المعنى، ولو أثبت معنى الكلام وفسره لكان أيسر على القارئ. وقد نظرنا في وجوه التفسير فوجدنا كلاماً طويلاً أورده الأئمة يمكن حمله على ما أراده الشارح: قال في مفاتيح الغيب عند الكلام على الآية:

ولا يفهم معنى النفي من الكلام مالم يفهم معنى الإثبات الذي يقابله، فنقول قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ في مقابلة قول من يقول: ﴿ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، فنفى ما أثبته لكن معنى قوله: ﴿ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ إذا لم نقل بزيادة الكاف هو أن مثل مثله شيء، وهذا كلام يدل على أن له مثلاً، ثم إن لمثله مثلاً، فإذا قلنا: ليس كذلك كان رداً عليه، والرد عليه صحيح.

بقي أن يقال : إن الراد على من يثبت أموراً لا يكون نافياً لكل ما أثبته ، فإذا قال قائل: زيد عالم جيد، ثم قيل رداً عليه : ليس زيد عالماً جيداً لا يلزم من هذا أن يكون نافياً لكونه عالماً ، فمـن يقـول:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ بمعنى ليس مثل مثله شيء لا يلزم أن يكون نافياً لمثله ، بل يحتمل أن يكون نافيـاً لمثـل المثـل ، فـلا يكون الراد أيضاً موحداً فيخرج الكلام عن إفادة التوحيد ، فنقول : يكون مفيداً للتوحيد لأنا إذا قلنا : ليس مثل مثله شيء لزم أن لا يكون له مثل لأنه لو كان له مثل لكان له مثل هو مثل مثله ، وهو شيء بـدليل قولـه تعـالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ ﴾ (الأنعام : ١٩) فإن حقيقة الشيء هو الموجود فيكـون مثـل مثلـه شيء وهو منفي بقولنا : ليس مثل مثله شيء ، فعلم أن الكلام لا يخرج عن إفادة التوحيد.

فعلم أن الحمل على الحقيقة يفيد في الكلام مبالغة في قوله تعالى: {كأمثال} وأمـا عـدم الحمـل عليهـا في قوله:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ فهو أوجز فتجعل الكاف زائدة لئلا يلزم التعطيل ، وهو نفي الإله ، نقـول : فيه فائدة ، وهو أن يكون ذلك نفياً مع الإشارة إلى وجه الدليل على النفي ، وذلك لأنه تعالى واجب الوجود ، وقد وافقنا من قال بالشريك ، ولا يخالفنا إلا المعطل ، وذلك إثباته ظاهراً ، وإذا كان هو واجب الوجود فلـو كان له مثل لخرج عن كونه واجب الوجود ، لأنه مع مثله تعادلا في الحقيقة ، وإلا لما كـان ذلـك مثلـه، وقـد تعدد فلا بد من انضمام مميز إليه به يتميز عن مثله ، فلو كان مركباً، فلا يكون واجباً لأن كـل مركـب ممكـن ، فلو كان له مثل لما كان هو هو، فيلزم من إثبات المثل له نفيه.

فقوله:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ إذا حملناه أنه ليس مثل مثله شيء ، ويكون في مقابلته قول الكافر : مثل مثله شيء فيكون مثبتاً لكونه مثل مثله ويكون مثله يخرج عن حقيقة نفسه ومنه لا يبقى واجب الوجود فذكر المثلين لفظاً يفيد التوحيد مع الإشارة إلى وجه الدليل على بطلان قول المشرك ولو قلنا : ليس مثله شيء يكون نفياً من غير إشارة إلى دليل ، والتحقيق فيه أنا نقول : في نفي المثل رداً على المشرك لا مثل لله ، ثم نستدل عليه ونقول : لو كان له مثل لكان هو مثلاً لذلك المثل فيكون ممكناً محتاجاً فلا يكون إلهاً ولو كان له مثل لما كان الله إلهاً واجب الوجود ، لأن عند فرض مثل له يشاركه بشيء وينافيه بشيء ، فيلزم تركه فلو كان لـه مثـل لخـرج عن حقيقة كونه إلهاً فإثبات الشريك يفضي إلى نفي الإلـه فقولـه:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ توحيـد بالـدليل وليس مثله شيء توحيد من غير دليل.



وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري ﷺ: لو أشبه الباري تعالى خلقه لم يخل أن يشبههم من كل وجه فكان يكون حادثا مثلهم أو من بعض الجهات فيكون حادثا من تلك الجهة التي أشبههم منها لأن جميع جهات العالم كلها حادثة وهو تعالى قديم باق منزه عن الحدوث.

ثم قال ﷺ: (**وأنه تعالى لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار**) يعني أن التحديد بالمقادير محال عليه تعالى ولا يتقيد بزمان ولا مكان ولا كمٍ ولا كيفٍ لأن ذلك يقضي بوجود الحصر والجنسية وهو تعالى منزه عنهما.

وقد قال الإمام أبو المعالي[1] رحمه الله : من اطمأن [فكره][2] إلى موجود انتهى إليه فكره[3] فهو مشبه وهو مذهب الحشوية، ومن اطمأن فكره إلى النفي المحض فهو معطل وهو مذهب الدهرية، ومن اطمأن فكره إلى موجود عجز عن إدراك حقيقته فهو موحد.

وقيل ليحيى بن معاذ الرازي رحمه الله[4] أخبرنا عن الله فقال: إله واحد، فقيل وكيف هو؟ قال: ملك قادر، فقيل: وأين هو؟ فقال: بالمرصاد، فقال السائل لم أسألك عن هذا، قال ما كان غير هذا كان صفة المخلوق فأما صفة الخالق فما أخبرتك عنه.

---

(١) هو الجويني، إمام الحرمين رحمه الله.

(٢) زيادة من (أ).

(٣) جاءت العبارة في (ب) على نحو فيه تقديم وتأخير هكذا: من اطمأن فكر إلى موجود انتهى إليه، وقد ارتأينا صواب ما أثبتناه من (جـ)، والله تعالى أعلم.

(٤) أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ نسيج وحدّه في وقته، له لسان في الرجاء خصوصاً، وكلام في المعرفة. خرج إلى بلخ، وأقام بها مدَّة. ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة: ثمان وخمسين ومائتين.

قيل إن يحيى بن معاذ تكلم ببلخ في تفضيل الغنى على الفقر، فأعطي ثلاثين ألف درهم، فقال بعض المشايخ: لا بارك الله له في هذ المال فخرج إلى نيسابور، فوقع عليه اللص وأخذ ذلك المال منه. وقال من خان الله في السرّ هتك الله ستره في العلانية. وقال: تزكية الأشرار لك هُجْنة بك، وحبُّهم لك عيب عليك، وهانَ عليك من احتاج إليك.

وسُئِلَ الحسنُ ﷺ[1] عن الله فقال: إن سألت عن ذاته فـ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، وإن سألت عن صفاته فـ﴿ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (سورة الإخلاص) وإن سألت عن أسمائه فـ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الحشر: ٢٢) الآيات وإن سألت عن أفعاله فـ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ (الرحمن: ٢٩) قيل يغفر ذنبا ويكشف كربا ويبتلي قوما ويعافي آخرين. انتهى.

[في نفي المكان عنه تعالى]

ومعنى (**لا تحويه الأقطار**) لا تكون ظرفاً له، لأن ذلك حصر، والحصر قهر، وذلك ينافي الربوبية. قال في حكم ابن عطاء الله «الحق ليس بمحجوب وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه، إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ولو كان له ساترٌ، لكان لوجوده حاصر، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر، ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾[2] أي كما يليق بجلاله».

(**ولا تحيط به الجهات**) الست: الفوق والتحت والخلف والأمام واليمين والشمال، لأن هذه من لوازم المحدَثات، والموصوف بالقدم لا يتصف بصفات المحدثات إذْ يلزم باتصافه بها حدوثُه وذلك باطل، فلا يوصف بصفات (**ولا تكتنفه الأرضون والسموات**) ولا غيرهما من عرش وفرش وغيرهما، لأن ذلك كله مكان وهو سبحانه مُكَوِّنُ المكانِ ومقدِّرُ الزمان.

---

(١) هو الحسن بن يسار البصري ١١٠هـ، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه وهو أحدعلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشب في كنف سيدنا علي بن أبي طالب ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب. توفي بالبصرة. الأعلام ٢/ ٢٢٦

(٢) سورة الأنعام آية: ١٨.

قيل لبعضهم: أين الله؟ قال: حيث كان، قيل له فأين كان قال: حيث هو الآن، أشار لنفي المكان في الأبدية بدلالة انتفائه في الأزل إذ ذلك لازم عقلا وضرورة.

وقد قال أبو عثمان المغربي رحمه الله لبعض أصحابه: لو قال أحد أين معبودك إيش تقول، قال: أقول حيث هو الآن، فارتضى منه ذلك ورضي عنه لأجله ونزع قميصه فأعطاه إياه.

تنبيه مما يجري النظر به في هذا الباب خمسة ألفاظ: المثلين والغيرين والخلافين والضدين والنقيضين:

فالنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالحركة والسكون، لأن من عقل جسماً لا متحركاً ولا ساكناً كان لمتن الجهل راكباً، وعن نهج الحق ناكباً.

والضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالسواد والبياض[1].

والخلافان كُلُّ موجودَيْن غيرُ متفقَيْنِ في جميع صفات النفس.

والغيران نحو منهما.

والمثلان ضد لهما.

فانظر ذلك، فإنه مهم على من أراد الكلام، وبالله التوفيق.

[في معنى استوائه تعالى على عرشه]

قال رضي الله عنه: **(وأنه مستو على العرش)** يعني كما يليق بجلاله حسب ما يذكره بعد من التنزيه ونفي التشبيه، وإنما ذكره لوروده شرعاً وعارض ظاهره المعقول فيلزم أي التنزيه لإخراجه عن ظاهره المحال إجماعا، إما مع تعيين المجمل أو مع التفويض فيه، وكل منهما جائز إجماعا إلا أنه اختلف في الأولى فقيل التأويل ينفي التشبيه ولئلا يعري المذكور[2] عن علم لبعض وجوهه، وقيل التفويض لأنه أسلم من الخطأ في التعيين.

---

(١) وكثيرا ما يراد بالضد مطلق المنافي

(٢) أي الاستواء.

وقد قال الشيخ أبو بكر فورك[1] ﷺ: إذا تعارضت الأدلة العقلية مع الظواهر النقلية فإن صدقناهما لزم الجمع بين النقيضين، وإن كذبناهما لزم رفعهما، وإن صدقنا الظواهر العقلية وكذبنا النقلية وتصديق الفرع مع تكذيب أصله يفضي إلى تكذيبهما معاً، فلم يبق إلا أن نقول بالأدلة العقلية وتأويل الظواهر النقلية أو تفويض أمرهما إلى الله تعالى.

ولأهل السنة قولان، فعلى القول الأول بالتأويل إن وجدنا لهما محلاً يسوغه العقل حملناها عليه، وإلا فوضنا أمرها إلى الله تعالى. قال: وهذا القانون في هذا الباب والله الموفق للصواب. وهذا جارٍ في كل ما جاء من المشكلات كاليد والقدم والعين والنزول ونحو ذلك.

قال السهروردي عن الصوفية: وأجمعوا في كل ما كان من هذا المعنى أن يقولوا فيه ما قال مالك في الاستواء، إذ قال: الاستواء معلوم في كلام العرب له وجوه والكيف غير معقول فانتفى المحال، لأن ما لا يعقل لا يصح، ومنهم من يروي: في الكيفية مجهولة، والأَوْلى الرواية التي ذكرناها لأن المجهول يمكن علمه، وغير المعقول لا يمكن علمه، والإيمان به واجب لأنه ورد شرعاً والسؤال عنه بدعة لأنه من تَتَبُّعِ المشكلِ ولم يكن من شأن من مضى وهم القدوة.

---

(١) محمد بن الحسين بن فورك بضم الفاء وفتح الراء الأستاذ أبو بكر الأصفهاني المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ أخذ طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري عن أبي الحسين الباهلي وغيره أقام بالعراق مدة يدرس ثم توجه إلى الري ثم إلى نيسابور وبنى له بها مدرسة وأحيى الله تعالى به أنواعاً من العلوم وظهرت بركته على المتفقه وبلغت مصنفاته قريباً من المائة ثم دعي إلى مدينة غزنة من الهند وجرت له بها مناظرات عظيمة فلما رجع إلى نيسابور سم في الطريق فمات سنة ست وأربعمائة ونقل إلى نيسابور فدفن بها قال ابن خلكان: ومشهده بالحيرة ظاهر يزار ويستجاب الدعاء عنده وقد ترجمه الحاكم ومات قبله وذكره ابن الصلاح في طبقاته. انظر طبقات ابن قاضي شهبة (١/ ٢٧).

وقال الشافعي رحمه الله: آمنا بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ.

قلت وعلى هذا درج المصنف إذ قال رضي الله عنه: **(على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده)** يعني من غير تعيين مجمل ولا اعتقادِ مُحالٍ، وهذه طريقة السلف ولا يضرنا الجهل بالتفصيل، كما لا يضر الجهل بألوان الأنبياء وأنسابهم مع العلم بوجودهم وإرسالهم، وليس ثَمَّ أَلْحَنُ من صاحب الحجة بحجته، ففوض تسلم مع اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه.

وهذا ما بينه المصنف فقال: **(استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال)** يعني لأن ذلك كله عليه محال إذ هو من صفات المحدثات وتعالى ربنا عن سمات الحدوث، هذا معنى ما أشار إليه مالك رحمه الله بقوله والكيف غير معقول.

وفي بعض الروايات: والكيفية مجهولة ولا يصح، لأن المجهولة يمكن تعقلها وغير المعقول لا يتصور فهمه وهو المراد هنا.

وقد سئل الشبلي[1] رضي الله عنه: عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ (طه: ٥) فقال: الرحمنُ لم يزلْ والعرشُ مُحدثٌ والعرش بالرحمن استوى، فلا يصح أن يكون محلا

---

(١) دلف بن جحدر، وقيل: ابن جعفر، الشبلي، نسبة إلى قرية من قرى اسروشنة، بلدة عظيمة وراء سمرقند، من بلا د ما وراء النهر.

قال ابن الملقن في طبقاته: كنيته أبو بكر، الخراساني الأصل، والبغدادي المولد والمنشأ، جليل القدر، مالكي المذهب عظيم الشأن. صحب الجنيد وطبقته. ومجاهداته في أول أمره متواترة؛ يقال: إنه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم. وكان يبالغ في تعظيم الشرع المكرم، وإذا دخل رمضان جد فيه الطاعات، ويقول: هذا شهر عظمه ربي، فأنا أولى بتعظيمه. مات في ذي الحجة، سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، عن سبع وثمانين سنة.

قال في معنى قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ (النور: ٣٠)، قال: أبصار الرءوس عن المحارم، وأبصار القلوب عما سوى الله عز وجل. وسئل عن حديث: إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية، من هم أهل البلاء؟ قال: أهل الغفلة عن الله. وانظر الزيادة في طبقات الأولياء ص ١٦٣ ط دار الكتب العلمية.

له ولا حاملاً له كما قال المصنف: (**لا يحمله العرش**)، يعني لأنه حادثٌ مقهورٌ بالفقر والعجز، والربُّ سبحانه وتعالى موصوف بالقِدَم والاستغناء وكمال القدرة، فالحمل في حقه لا يصح بحال.

وقال جعفر بن محمد الصادق ﷺ:[1] من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك إذ لو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان من شيء لكان محدثاً.

وقال ذو النون المصري رحمه الله[2] في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أثبتَ ذاتَه ونفى مكانَه فهو موجودٌ بذاتِه والأشياء موجودةٌ بحكمِه كما شاء.

---

(١) ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ترجمة مطولة فأحببت أن أنقل شيئاً عيونها:

هو سيدنا جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الشهيد سيد شباب أهل الجنة ولي نعمتنا سيدنا الحسين بن علي بن طالب زوج الزهراء بنت سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم وبارك. قال الذهبي: أمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي، وأمها هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين.

وكان يغضب من الرافضة، ويمقتهم، إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر، ظاهرا وباطنا. هذا لا ريب فيه، ولكن الرافضة قوم جهلة، قد هوى بهم الهوى في الهاوية فبعداً لهم. ولد سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة. أحسبه رأى أنس بن مالك، وسهل ابن سعد. حدث عن أبيه أبي جعفر الباقر وعبيد الله بن أبي رافع، وعروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح وروايته عنه في مسلم. وجده القاسم بن محمد، ونافع العمري، ومحمد بن المنكدر، والزهري، ومسلم بن أبي مريم وغيرهم، وليس هو بالمكثر إلا عن أبيه. وكانا من أجلة علماء المدينة.

مات جعفر الصادق في سنة ثمان وأربعين ومئة.

وقد مر أن مولده سنة ثمانين، أرخه الجعابي، وأبو بكر بن منجويه، وأبو القاسم اللالكائي، فيكون عمره ثمانيا وستين سنة رحمه الله. لم يخرج له البخاري في الصحيح، بل في كتاب الادب وغيره. نفعنا الله به وبمحبته وبقية آل بيت النبي ﷺ دنيا وأخرى آمين.

(٢) ذو النون بن ابرهيم المصري الأخميمي، ابو الفيض أحد رجال الحقيقة. قيل: اسمه ثوبان، وقيل: الفيض، وقيل: ذو النون لقبه، واشتهر بذلك. وقد ذكره في حرف الذال ابن عساكر وغيره.

وقال جعفر بن نصير[1] في الآية: استوى علمه بكل شيء فليس شيء أقربَ إليه من شيء انتهى.

وسُئِلَ بعضُ العارفين عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ فقال الحق سبحانه وتعالى عرفنا بهذا القول من هو وما عرفنا ما هو لأنه لا يعلم ما هو إلا هو.

وسُئِلَ الإمامُ أحمد بن حنبل ﷺ عن الاستواء، فقال: الاستواء كما أخبر لا كما يخطر للبشر.

وسئل الإمام الشافعي ﷺ عن الاستواء، فقال: آمنتُ بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأُمسِكُ عن الخوض فيه كل الإمساك.

وقال أبو حنيفة: الاستواء صفة بلا كيف انتهى.

وكان احد العلماء الورعين في وقته، نحيفاً، تعلوه حمرة، ليس بأبيض اللحية، وكان أبوه نوبياً، فيما قيل. وسئل عن سبب توبته، فقال: - خرجت من صمر إلى بعض القرى، فنمت في الطريق، في بعض الصحاري. ففتحت عيني، فإذا انا بقنبرة عمياء، سقطت من وكرها على الارض، فأنشقت الارض، فأنخرجت منها سكر جتان: واحدة ذهب والاخرى فضة، في احداهما سمسم، وفي الاخرى ماء، فجعلت تأكل من هذا، وتشرب من هذا، فقلت: حسبي، قد تبت. ولزمت الباب إلى ان قبلت".

مات يوم الاثنين، سنة خمس، وقيل: ست واربعين ومائتين، ودفن بالقرافة الصغرى. وعلى قبره مشهد مبني، عليه جلالة، ومعه قبور جماعة من الاولياء. أ. هـ من طبقات الأولياء ص ١٧٣ . وقد تشرفنا بزيارته ﷺ وفي مقامه الشريف أضرحة تنسب لسيدنا محمد بن الحنفية والسيدة رابعة العدوية، وأقيم حديثاً شاهد في هذا الحوش لسيدنا أبي علي الروزباري تلميذ الإمام الجنيد البغدادي، وفي الخطط والمزارات أنه قريب من قبر ذي النون - رضي الله عنهم جميعاً.

(١) في (ب) بن بشير، تصحيف. وهو أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير بغدادي المنشأ والمولد. صحب الجنيد، وانتمى إليه، وصحب النوري ورويماً وسمنون والطبقة. مات ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة. قال جعفر: لا يجد العبد لذّة المعاملة مع الله مع لذة النفس، لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التي تقطعهم عن الحق، قبل أن تقطعهم العلائق.

ومقصود الكل نفي الكيف بلا تعيين مجمل[1] والله اعلم.

ثم قال ﷺ: (بل العرش وحملته[2] محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته) يعني أن العرش له حملة[3] كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ (غافر: ٧) الآية. وقال عز من قائل: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ (الحاقة: ١٧)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ (هود: ٧) إلى غير ذلك، فالعرش محمول والحامل له[4] مفتقر لقوة، وقوته لا من ذاته ولا بذاته بل من خالقه ومدبره ومصرفه، فكيف يصح أن يكون محمولاً به أو بمحموله وحامله.

وكما أن العرش قاهر للموجودات لاحتوائه عليها حساً حتى كأنها حلقة في فلاة بالنسبة إليه، فالعرش مقهور بتصاريف القدرة والإرادة حتى كأنه لا شيئاً مذكور في جنب ذلك، نعم ورحمة الله هي الظاهرة فيه، إذ لم يوجده لحاجة منه إليه، بل ليظهر رحمته، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ (هود: ١١٩) قيل للرحمة، وقيل للاختلاف، وقيل لهما، وهو الراجح، بل الاختلاف عين الرحمة كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) قوله بلا تعيين مجمل، أي بلا تحديد لمعنى الاستواء قد يفضي إلى تشبيه الحق بخلقه.

(٢) في (جـ): على نبينا وعليهم الصلاة والسلام.

(٣) قال شيخ الإسلام الباجوري في تحفة المريد: هو جسم عظيم نوراني علوي، قيل من نور، وقيل من زبرجدة خضراء، وقيل من ياقوتة حمراء، والأولى الإمساك عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها، والتحقيق أنه ليس كروياً بل هو قبة فوق العالم ذات أعمدة أربعة تحمله الملائكة، في الدنيا أربعة، وفي الآخرة ثمان لزيادة الجلال والعظمة في الآخرة، رؤوسهم عند العرش في السماء السابعة، وأقدامهم في الأرض السفلى، وقرونهم كقرون الوعل أي بقر الوحش، ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه خمسمائة عام، وقيل إنه كروي محيط بجميع الأجسام، وهذا خلاف التحقيق. ص١٩٩.

(٤) في (جـ): صلى الله وسلم على نبينا وعليهم.

وقد قال ابن عطاء الله في الحكم في آخر المناجاة منها: «يا من استوى برحمانيته على العرش» أي ظهر بها فلم يظهر وجود العرش ولا قام له وجود إلا بها، ثم قال: «فصار العرش غيباً في رحمانيته» أي بحيث لا شَبَهَ له معها، لا من حيث الوجود ولا من حيث العظمة، فهو مغيَّبٌ فيها، يعني كما صارت العوالم غيبا في عرشه أي فكانت فيه كحلقة ملقاة فلاة، «مَحَقْتَ الآثارَ»، أي إذ غَيَّبْتَ ما في العرش به فلم تكن له نسبة معه «ومحوتَ الأغيار»، أي العرش وما فيه «بمحيطات أفلاك الأنوار» التي هي آثار القدرة والإرادة والرحمة، والله سبحانه أعلم.

وذِكْرُ القبضةِ واردٌ سنةً وقرآناً[1]، وفيه ما فيه من المتعارضات، وعند التأويل بمعنى الحكم والتصريف.

تنبيه: ويتعين التأويل لكل مشكل لا تزول شبهتُه من النفس إلا به[2]، ثم يكفي ما يقع به نفي الاشتباه بأي وجه كان والله اعلم.

قال ﷺ: **(وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى)** يعني فوقية معنوية كما يقال السلطان فوق الوزير والسيد فوق عبده، لا حسية، لأنها تقتضي المكان المتضمن للحصر الذي لا يجوز عليه تعالى، و**(تخوم الثرى)** ما تحت التاحتين لأن الثرى هو التراب المبلول، والمراد به هنا المبالغة في السفليات بذكر ما ينتهي إليه العلم، والمقصود ما وراء ذلك لا حدُّه، بلا شك ولا ارتياب.

وقد قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ (الأنعام: ١٨)، وقال جل وعلا: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ (النحل: ٥٠)، وقال سبحانه: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾ (غافر: ١٥) الآية، وكل

---

(١) أما القرآن فقوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الزمر: ٦٧) وأما السنة ففيها ما أخرجه البخاري من حديث طويل (٦٨٨٦) ((فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا))، ونحوه في مسلم (٢٦٩)، وعند الترمذي (٢٨٧٩) عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ((إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ)) الحديث.

(٢) أي بالتأويل.

ذلك معنوي إجماعا وإنما جعل الغايةَ في الذكر تخومَ الثرى ولم يذكر مقابِلَه من الفوق اكتفاءً بالعرش، والمراد منتهى الوجودين السفلي والعلوي حساً ومعنى.

[فيما وقع في رسالة أبي زيد القيرواني من ذكر الفوقية بالذات]

وما وقع لابن أبي زيد ﷺ(١) من قوله: «وأنه فوق عرشه المجيد بذاته» معناه أنه فوق عرشه من حيث المجد، لأنه المجيد بذاته والعرش ليس كذلك، وإن كان مجيداً بحده(٢) لا بذاته، بل بِجَعْلِ الله تعالى له ذلك. وسواءٌ كانت الرواية بضم دال «المجيد» وهو أقرب للفهم لأنه وصف له تعالى أو بالكسر على أنه صفة للعرش، إذ التقدير لاحقٌّ في هذه وسابقٌ للأخرى(٣) وللساقط(٤) من الوجهين، فتأمل ذلك.

---

(١) أي أبي زيد القيرواني في الرسالة وتأويل العلامة زروق للمعنى يخرجه عن الإشكال وإن كان الإشكال واقع لإيهام العبارة استقرار الذات الأقدس على العرش. وقد نعاه عليه العلماء وتكلم بذلك الحافظ الذهبي ونقله عنه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تعليقه على عقيدة أبي زيد القيرواني في أول الرسالة المسماة: ((العقيدة الإسلامية التي ينشأ عليها الصغار)).

وقال العلامة زروق في شرحه على رسالة أبي زيد القيرواني نقلاً عن بعض الشيوخ: إنما أَحوَجَ الشيخَ لهذه العبارة دفع ما ادعاه العبيديون في زمانه في شأن رقاده [أي نسبة الرقاد إلى المولى عز وجل تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا. المحقق] ورأى أن اعتقاد الجهة مع التعظيم أيسر مما كانوا يعتقدونه، وقد سئل عز الدين بن عبد السلام عن كلام الشيخ هذا: هل ظاهره القول بالجهة أم لا؟ فأجاب: ظاهره القول بالجهة والصحيح أن القائل بالجهة لا يكفر. انتهى. انظر شرح سيدي زروق على رسالة أبي زيد في الفقه المالكي. ط دار الكتب العلمية ص٤٢.

(٢) قوله بحده أي بعِظَمِ جِرْمِه، وفي (أ): بمجده

(٣) أي أن التقدير سابق لعبارة أبي زيد القيرواني «وأنه فوق العرش المجيد بذاته» إذا ضُمت دال المجيد على أن المجيد نعت للضمير في قوله «وأنه» والجار والمجرور بعدها في صفة للمجيد، وهو لاحق في العبارة لو كسرت دال المجيد إذ يكون الجار والمجرور في محل نصب تمييز لقوله «فوق العرش» وقوله سابق لامتناع اللبس المترتب على قول أبي زيد «وأنه فوق عرشه المجيد بذاته»، وقوله لاحق لوجود اللبس لأن العبارة تحتمل وصف الله تعالى بالتحيز في جهة الفوق.

(٤) قوله: للساقط سقط من(ب) ولم يتضح لنا معناه



ثم قال ﷺ: (**فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى**)، يعني لأنها ليست بحسية، ويقتضي وصفها بذلك[1] الحصر والتحديد، وهما محالان، ثم هو على أصله[2] في نفي المُحال وإيهام المَحَلِّ في جميع المعارض بظاهره للمعقول والمحتمل وذكر العرش والسماء لتقريب التحصيل: والمقصود لا يَزيدُه قربا منهما شيء، (**بل هو رفيع الدرجات**) المعنوية التي هي ما اتصف به من الجلال والعظمة (**عن العرش**) أن يكون محاذياً له أو مماساً أو حالاً فيه أو عليه أو مماثلاً له أو مقارباً.

(**كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى**) لأن الكل متحد في وصف النقص والحدوث والمداناة والملاقاة والمسافات، والرب تعالى منزه عن ذلك كله.

[في معنى قربه تعالى من عبده]

(**وهو مع ذلك قريب من كل موجود**) قرب إحاطة واقتدار، لا قُرْبَ مسافة وانحصار، قال الله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ (المجادلة: ٧)، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (الحديد: ٤) وقال سبحانه: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ (الواقعة: ٨٥).

وسئل الجنيد رحمه تعالى الله عن معنى ﴿ مَع ﴾ قال: ﴿ مَع ﴾ على معنيين: مع الأنبياء بالنصر[3] والكلاءه، قال تعالى: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه: ٤٦) ومع

---

(١) أي وصف فوقيته تعالى بالحسية يقتضي الحصر والتحديد وكلاهما لا يجوز في حق الحق تبارك وتعالى.

(٢) أي على أصل الإمام الغزالي صاحب المتن في نفي ما يستحيل عليه تعالى وما يوهمه ذلك من حلوله تعالى في المحل أي المكان في جميع المواضع التي ورد فيها المتشابه من كتاب وسنة مما قديوهم حلوله تعالى في المكان أو احتياجه تعالى إليه ترجيحاً لما يقتضيه العقل من نفي ذلك وهو معنى قوله «ثم هو على أصله.. والمحتمل».

(٣) (ب): بالنصر

العامة بالعلم والإحاطة، قال تعالى:﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ (المجادلة: ٧) الآية.

وقال جعفر الصادق ﷺ في قوله تعالى﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ (النجم: ٨): من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثَمَّ مسافة، إنما التداني أنه[١] كلما قرب منه بعد عن أنواع المعارف، إذ لا دنو ولا بعد[٢].

قال ابن عطاء الله في الحكم:«لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قَطْعَةٌ بينك وبينه حتى تمحوَها وصلتك» انتهى. والحاصل ثبوت القرب مع نفي التشبيه فيه.

ثم قال ﷺ: **(وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد)**، يعني كما[٣] قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ (ق: ١٦) وحبل الوريد عِرْقٌ في صفحة العنق يلازم النَّفَس في حركته؛ وقيل هما وريدان عن يمين وشمال، وقيل هو المتصل بالقلب الذي إذا قطع مات صاحبه وهو الوتين، وقيل هو عرق واحد، في القلب الوتين، وفي العنق الوريد، وفي الظهر الأبهر، وفي الذراع الأكحل وفي الفخذ النَسا، وفي الخاصرة الأسلم، والله اعلم.

وبالجملة فهو[٤] أقرب موجود للإنسان، والربُّ تعالى أقرب منه لوجودِ العبد، لأنه المتصرف فيه، فهو السائق[٥] له قبل وجود تصريفه وتصرفه فافهم.

---

(١) الضمير عائد على سيدنا رسول الله ﷺ.

(٢) ومعنى العبارة أنه كلما زاد رسول الله ﷺ قرباً من ربه بعد عن أنواع المعارف والمشاهدات والصور الملكوتية التي رآها في المعراج فقربه منه وتحققه به بعدم رؤية سواه ولو كان السوى أنواع المعارف الملكوتية. والله تعالى أعلم

(٣) في (ب) الحمى، بدلاً من كما، ولا مفهوم له هاهنا.

(٤) أي حبل الوريد.

(٥) في (ب): السابق.

ثم قال ﷺ: (**وهو على كل شيء شهيد**)، يعني مما قـل وجـلَّ، وقـد قـال تعـالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ (فصلت: ٥٣-٥٤)، فأشار سبحانه وتعالى للدلالة على معرفته بمعرفتـه ونبه سبحانه[1] على ذلك بوجود إحاطته التي شهد بها كل شيء في الوجود لتخصيصه[2] بإرادته وإبقائه بعلمه وإبرازه بقدرته واستمرار ذلـك بـالظهور في إمـداده كـما ظهـر في إيجاده حتى قال ابن عطاء الله ﷺ: «ما من نَفَسٍ تبديه إلا وله قدر فيك يمـضيه» فـافهم ذلك وتأمَّلْه حقَّ تأمُّلِهِ وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ: (**لا يماثل قربُه قربَ الأجسامِ كما لا تماثل ذاتهُ ذاتَ الأجـسامِ**) يعنـي أن ما ثبت لذاته الكريمة من التنزيه ونفي التـشبيه واجـب في وصـفه بـالقُرْبِ وغـيره، فجَعَلَ عدم التمثيل في ذاته دليلاً على عدم التمثيل في صفاته.

كما قال الواسطي ﷺ: وجلت الذات القديمة أن يكـون لهـا صـفة حديثـة كـما استحال أن تكون الذات المحدثة صفة قديمة، وقد تقـدم الكـلام عليـه أول الترجمـة[3] وللقرب أقسام ثلاثة: قربُ كرامة وهو راجع لشهود قرب الحق على وجه الإحاطـة[4]،

---

(١) الزيادة من (جـ).

(٢) الضمير عائد على الشيء، وقد سبق أن التخصيص ترجيح لظهور الشيء في وقت ما وتعيين لصفاته.

(٣) أي أول الشرح، وانظره ص ٢٤ من هذا الكتاب.

(٤) وقرب الإحاطة هو القرب الثاني وقد اندرج فيه قرب الكرامة لفظاً. وقد فصل الشارح ﷺ هذه الأنواع الثلاثة بشكل أوضح في شرحه على رسالة أبي زيد القيرواني عند قول صاحب الرسالة: وهو أقرب إليـه مـن حبل الوريد، فقال: القرب على ثلاثة أوجه: قرب مسافة، وهو محال عليه سبحانه فليس مـراداً هنـا، وقـرب كرامة وليس مراداً أيضاً لأنه عبارة عن غاية الإحسان والإكرام وتوجه [كـذا] الإفـضال والإنعـام، وقـرب إحاطة وهو بمعنى شمول العلم والإرادة والقدرة في جميع الأحوال، وهو المراد هنا. انظر شرحه على الرسالة ط دار الكتب العلمية ص ٤٣-٤٤ بتحقيق أحمد فريد المزيدي.

وقرب مسافة ومداناة وهو محال عليه سبحانه؛ قال في حكم ابن عطاء الله ﷺ: «وصولك إليه وصولك إلى العلم به، وإلا فَجَلَّ ربُّنا أن يتصل بشيءٍ أو يتصلَ به شيءٌ؛ قربُكَ منه أن تكون مشاهداً لقربه منك، وإلا فمن أين أنت ووجود قربه»[1]. انتهى.

وسَبْكُهُ أن تقول: قربُك منه على وجه الكرامة أن تكون مشاهداً لقربه منك بالإحاطة ، وإلا فمن أين أنت ووجود قربه إذ لا مسافة ولا مداناةَ في وصفٍ ولا غيرِهِ، إذ لا شَبَهَ بينَ عبدٍ وربٍّ وبالله التوفيق.

[في نفي الحلول والاتحاد عن الله تبارك وتعالى]

ثم قال ﷺ: **(وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء)**، يعني أنه لا يصح في وصفه تعالى أن يكون حالاً في شيء ولا مَحَلاً له، لأن الحالَّ في الشيء محصورٌ به والمَحلُّ له ظرفٌ لوجوده وذلك عليه تعالى مُحال. نعم يأتي معناه في قوله: ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاتُهُ. وقد يكون أراد هنا نفي الامتزاج من الحلول والاتحاد، وهو باطل بين الحادثين، فكيف بين الحادث والقديم؟! وما ورد في الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»[2] إلى آخره مفهومٌ عند

(١) من قوله: (وصولك) إلى قوله: (شيء) واحدة من الحكم، ومن قوله: (قربك) إلى قوله: (قربه) حكمة تالية، فهما حكمتان على التحقيق. والعبارة الأخيرة في الحكمة الثانية غامضة بعض الشيء، وصوابها: وإلا فأين أنت من وجود قربه، وهو أسلوب مشعر باللوم والتصغير: أي أن قرب الحق متحقق ولكن العبد غافل عن هذا القرب لكثافته وكثافة طبعه. وهذا يختلف قليلاً عما ذهب إليه الشارح. والعمدة عندنا على شرح الأستاذ سيدي علي البيومي ﷺ. وما ذكره الشارح نقله عن شرحه على الحكم، ونقله مع عزوه إليه سيدي ابن عجيبة في إيقاظ الهمم.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦٠٢١)، والبيهقي في السنن الكبرى (باب الخروج من المظالم والتقرب إلى الله تعالى بالصدقة ونوافل الخير رجاء الاجابة)، وابن حبان في صحيحه (٤٣٨)، كلهم من حديث سيدنا أبي هريرة ﷺ، ورواه الطبراني في الأوسط (١١٤٠٨) بلفظ قريب من حديث السيدة عائشة ﷺ، وأبو يعلى (٦٩٣٠) من حديث السيدة ميمونة ﷺ.

العلماء على معنى جريانه على حكم التصريف بحيث لا يتصرف إلا بالله ولله، لا لنفسه ولا بنفسه، وبمعنى ظهور كرامة الله عليه في تصرفاته بحيث لا يريد شيئاً إلا انفعل[1] له، كما يقال: فلان يدُ الملكِ ورجلُه، يعني أنه لا يَرَدُّ عليه شيءٌ من التصرف ولا يَتوقَّفُ في شيء من مراداته كرامةً له، وعليه يدل ما في الحديث:«ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»[2] الحديث.

وقد قال الجنيد ﷺ: متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير[3]، هيهاتَ هذا ظنٌ عجيبٌ إلا بما لطف اللطيف[4] من حيث لا دَرْكَ ولا وهمَ ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان. انتهى، وهو عجيب.

ثم قال ﷺ: **(تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان)** يعني تنزه وترفع؛ هذا معنى **(تعالى أن يحويه مكان)** أي أن يشتمل عليه مكان، كما تقدس- أي تنزه وتعالى- عن التحديد بالزمان لأنه الموجود المطلق الذي لا يصح تقييدُه بكيف ولا مكان ولا زمان، جَلَّ الواحدُ الأحدُ المعروفُ من قَبْلِ الحدود وقبل[5] الحروف[6].

---

(١) الضمير المستتر في قوله: انفعل، عائد على الشيء، والمعنى أن الولي لا يريد شيئاً إلا ويتم له مراده بكون الشيء طوعاً لإرادته.

(٢) انظر التخريج السابق.

(٣) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في حاشيته تعليقاً على قول الإمام الجنيد متى يتصل...، أي حتى يقال فلان وصل إلى الله ويراد به الوصول بالحِمى والقرب المعهودين.

(٤) قال العلامة العروسي في حاشيته على شرح شيخ الإسلام على الرسالة : محصله أن الوصول الممكن للعبد هو شموله بالعناية الإلهية، والألطاف الخفية، حتى يتخلى عن المشغلات، ويتحلى بالطاعات، فيصل بذلك إلى درجة الهبات والإحسانات.

(٥) في (ب): وخلق.

(٦) قوله: جل الواحد ... الحروف، هو من كلام سيدي أبي بكر الشبلي كما حكاه عنه الإمام القشيري الرسالة، وقد شرح القشيري مقصوده بالحروف فقال: ولا حروف لكلامه، فالمقصود نفي الحرف والصوت عن كلام الله لا كما تقول المشبهة بنسبة التلاوة بألسن البشر إلى الله تعالى.

(بل كان قبل خلق الزمان والمكان) لأنهما حادثان وهو المحدِثُ لهما: كان الله ولا شيء معه، **(وهو الآن على ما عليه كان)**، لا شيء معه في أبده كما لا شيء معه في أزله، فكيف يصح زمان أو مكان في حقه؟! لو تقيد بالزمان لكان مسبوقاً، ولو تقيد بالمكان لكان محصوراً، وما ورد من قوله: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»[1]، و«أنا عند ظن عبدي»[2] ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ (النور: ٣٩)، «ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن» فمن جهة المعرفة في الأخير، والإكرام والمجازاة في الأولَيْنِ، إذ الخروج عن المَحْمَل المحال واجبٌ عقلاً ولازمٌ شرعاً وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ: **(وأنه تعالى بائنٌ عن خلقه، متميز بصفاته)**، يعني أن صفاته قديمة باقية كاملة وصفات خلقه حادثة ناقصة زائلة، حياته بلا علة ولا سبب ولا أمد ولا مُدَد، وحياتنا بذلك كله؛ وعلمه لا يتوقف على معلوم ولا تعلم ولا تعليم ولا إعلام، ولا يلحقه جهل ولا نقص ولا قصور ولا اقتصار، وعلمنا موصوف بذلك كله ومتوقفٌ عليه؛ وإرادته بلا حَجْرٍ ولا تدبر[3] ولا لحوق نقص ولا أمد ولا مدد ولا استعداد وإرادتنا بخلاف ذلك؛ وقدرته بلا عجز ولا قصور ولا غير ذلك من سمات

---

(١) رواه البيهقي في كتاب الزهد (٣٧٩) بلفظ «تلقاني عند المنكسرة قلوبهم» وهو قول رب العزة جل وعلا مخاطباً نبيه داود ﷺ لما سأله أي رب أين ألقاك؟ وكذا ابن أبي الدنيا في كتاب ((الهم والحزن)) (٦١). ورواه أحمد في الزهد من حديث قدسي كذلك بلفظ «ابغني عند المنكسرة قلوبهم» ولكن السؤال لسيدنا موسى ﷺ. ولم يزد الحافظ السخاوي على أن عزاه إلى ((بداية الهداية)) للإمام الغزالي. وقال العجلوني في ((كشف الخفا)) نقلاً عن الملا علي القاري معلقاً على كلام السخاوي: ولا يخفى أن الكلام في هذا المقام لم يبلغ الغاية. قلت وتمامه «وأنا عند المندرسة قلوبهم لأجلي»، ولا أصل لهما في المرفوع. انتهى من كشف الخفا (١/ ٢٠٣).

(٢) رواه البخاري (٦٨٥٦)، مسلم (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣١٠)، وابن ماجة (٣٨١٢)، وأحمد (٧١١٥)، والحاكم (٧٧١١)، والطبراني في الكبير (١٦٣٤٩) وغيرهم.

(٣) في (أ): تدبير

الحدوث والنقص، وقدرتنا موسومة بكل ذلك. وسيأتي كمال هذا الفصل بعد إن شاء الله تعالى.

ثم قال ﷺ: (**ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته**) يعني لا على الحلول والاتحاد ولا على معنى الظرفية والاتصال وأشار بهذا النفي إلى مذهب الحلولية القائلين بالاتحاد والوحدة من النصارى وغيرهما.

وقد قال الشيخ الفقيه أبو حيان[1] في كتابه النهر من البحر عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٠) ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط من تستر بالإسلام ظاهراً وانتمى[2] إلى الصوفية[3] حلول الله تعالى في

(١) إمام النحاة أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي: الظاهري ثم الشافعي المذهب المتولد سنة ٦٥٤هـ والمتوفى في سنة ٧٤٥هـ [١٣٤٤م]. خرج من الأندلس مفتتح سنة ٦٧٩هـ لوحشة بينه وبين شيخيه أبي جعفر المذكور وابي جعفر أحمد بن الطباع وخرج معه جماعة من أعلام الأندلس منهم حازم، ألف صاحب الترجمة تآليف حسنة منها فهرسته ومنها ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل كتاب حفيل ينبئ عن تفنن والبرهان في تناسب سور القرآن ذكر فيه مناسبة كل سورة لما قبلها وملاك التأويل في متشابه اللفظ من التنزيل غريب في معناه وشرح الإشارة للباجي في الأصول وصلة الصلة لابن بشكوال وهي ذيل لتاريخ ابن الفرضي. مولده سنة ٦٢٧هـ وفي نفح الطيب ومواضع من كشف الظنون عند التعرض للتآليف المذكورة. توفي سنة ٧٠٨هـ [١٣٠٨م] وفي الديباج توفي سنة ٧٨٠هـ وهو خلاف الصواب. شجرة النور الزكية ص٣٠٤ ط الكتب العلمية.

(٢) غير واضح في (ب) والمثبت من (جـ).

(٣) قول أبي حيان: «وانتمى إلى الصوفية» رديء، وكان ينبغي أن تكون العبارة هكذا: من تستر بالإسلام وانتمى إلى الصوفية ظاهراً، فيسري حكم التظاهر بالدين على الإسلام والتصوف عطفاً للجزء على الكل، وأبو حيان معروف بتحامله على كثير من السادة العارفين ، ويروى عنه في هذا حكايات بعضها مكذوب منها حكايته في سب العفيف التلمساني قدس الله سره وهي مكذوبة لأن العفيف غادر مصر قبل أو في أوائل استقرار أبي حيان بها وكان الأخير شاباً صغيراً وكان العفيف شيخاً كبيراً على كل حال. كما في الحكاية أن ابن سبعين جده لأمه، بينما العفيف ولد قبل ابن سبعين بأربعة سنوات!!

الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى الاتحاد والوحدة كفلان وفلان وذكر جماعة من المتصوفة قدماء ومتأخرين ثم قال وإنما سردت أسماء هؤلاء نصحا لدين الله تعالى يعلم الله تعالى ذلك وشفقة على ضعفاء المسلمين وليحذروهم فهم أشد من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسوله ويقولون بقدم العالم ويكذبون البعث، وقد أولع من انتمى إلى التصوف بتعظيم هؤلاء وأنهم صفوة الله وأولياؤه.

قلت:[1] وذلك لما ورد عنهم من الأعمال الصالحات وخوارق العادات وجميل الاعتقادات الذي ينفي اعتقادهم لظاهر ما ذكر عنهم فيلزم تأويله عليهم بما يرده إلى الحق مع التبري من تكفير مسلم بها الظاهر[2] براءته منه وإن احتمله كلامه، نعم يجب حسن الظن الذي لا يؤدي إلى اغترار والحذر الذي لا يؤدي إلى سوء ظن، فقد قال الشيخ أبو بكر بن فُورَك رحمه الله الغلط في إدخال ألف كافر بشبهة الإسلام ولا الغلط في إخراج مسلم واحد بشبهة كفر، كذا نقله عياض في الشفاء.

وقد عَرَفَ مذهبُ الصوفية تقديمَ حسنِ الظن أبداً، وذلك غير دافع لما في نفس الأمر ولا موجِب لانقلاب الحق باطلاً، فكان الأولى أن يُحكَمَ على الكلامِ بأنه صحيح أو فاسد ونتركُ القائلَ بينه وبين ربه، ما لم يتعين حقٌّ شرعي فيجب القيامُ به، أو يُخشى على مسلم فيتعين التحذير بحسب قوله[3]، والله اعلم.

ولأبي حيان حكاية أخرى مع سيدي أحمد البدوي أراها مكذوبة كذلك حيث توفي السيد رضي الله عنه سنة ٦٧٥ ولم يدخل أبوحيان مصر إلا سنة ٦٧٩. ومع هذا فما شاعت عنه مثل هذه الحكايات إلا بسبب إنكاره على السادة العارفين.

(١) القائل على الأرجح هو سيدي زروق لا أبو حيان الأندلسي.

(٢) في (ب): في الظاهر.

(٣) أي قول صاحب الكلام الموصوف بالصلاح أو بالفساد.

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه: (**وأنه مقدس عن التغير والانتقال**) يعني فلا يجوز عليه الانتقال من حال إلى حال، ولا من زمان إلى زمان، ولا من مكان إلى مكان، لأن كل ذلك من صفات الحادثات، والقديم لا يتصف بالحادثات، لأن ذلك يؤدي إلى حدوثه وهو تعالى محال.

وقد تقدم القول في نفي الزمان والمكان وتنزهِهِ عنهما (**لا تحله الحوادث**) الحسية ولا المعنوية، (**ولا تعتريه العوارض**) النفسية ولا غير النفسية، فلا يجوز عليه التلونات ولا التقلبات الوجوديات، غناه ذاتيٌ وعِزُّه كذلك، فلا يلحقُهُ فقرٌ ولا ذل ولا يدركه جِدَةٌ[1] ولا فقدٌ بل هو الواجد بلا فقد، والواحد بلا ثان، والغني بلا فقر، والعزيز بلا ذل، والقوي بلا ضعف، والقادر بلا عجز، لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

(**بل لم يزل في نعوت جلاله منزهاً عن الزوال**)، إذ لا يلحقه نقص ولا حدوث، ولا يدركه عارض ولا معارض، صفاتُه قديمةٌ كذاتِهِ، وذاتُهُ قديمةٌ كصفاتِهِ، وجلالُه وعظمتُه لازمان[2] لذاتِه، لا يبلغ كُنْهَ صفتِه الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبرُ المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهيةِ ذاته[3]، بل إثباتٌ وتنزيه؛ هو الغني بذاته عن أن يحتاج إلى الإجلال (**وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال**)، لا تنفعه طاعة ولا، تضره معصية، ولا يزيد في عزه إقبالُ من أقبل عليه، ولا ينقص من عزه إدبارُ من

---

(١) بتخفيف الدال: الإيجاد بعد الفقد، وبتشديدها: الغنى

(٢) بالأصول: لازمين.

(٣) الحديث:((تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله))، رواه الطبراني في الكبير (٦٨٣) ، والأوسط (٦٥٠١)، وأبي حاتم (١٢٩٤٢) والبيهقي في الشعب (١١٣) وقال: هذا إسناد فيه نظر. وقال الطبراني في معجميه: لم يرو هذا الحديث عن سالم إلا الوازع ، تفرد به علي بن ثابت.

أدبرَ عنه، هو الغني بذاته عن أن يصل إليه النفع منه، فكيف لا يكون غنياً عن خلقه، جل ربنا وتعالى؟!

ولله دَرّ الحسين بن منصور(1) حيث يقول: أَلْزَمَ(2) الكلَّ الحَدَثَ(3) لأن القِدَمَ له فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه، والذي بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه، والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت، والذي يقيمه غيره، فالضرورة تمسه، والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي إليه، ومن آواه محل أدركه أينٌ، ومن كان له جنس أدركه كيفٌ، والله سبحانه وتعالى لا يظله فوق ولا يقطعه تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عبد ولا يأخذه خَلْفٌ ولا يحده أمام، ولم يُظهرْه قبلٌ ولم يُفْنِهِ بعدٌ، ولم يجمعه كلٌ ولم يوجِدُه كان ولم يفقده ليس، وصفه لا صفةَ له، وفِعْلُهَ لا عِلَّةَ له، وكونُه لا أمدَ له، تنزَّه عن أوصاف خلقه، ليس له من خلقه مِزاج ولا في فعله علاج، بايَنَهُمْ بقدمِهِ كما باينوه بحدوثهم، إن قلت متى؟ فقد سبق الوقتَ كونُهُ، وإن قلت هو فالهاءُ والواوُ خلقُهُ، وإن قلت أين؟ فقد تقدم المكانَ وجودُه، فالحروف آياتهُ ووجودَه إثباتُه ومعرفتُه توحيدُه، وتوحيدُه تمييزُه من خلقه، ما تُصُوِّرَ في الأوهامِ فهو بخلافه، كيف يحل به ما منه بدا؟ أو يعود إليه

---

(1) هو الحلاج رحمه الله تعالى توفي سنة ٣٠٩ واختلف فيه والظن به خير وكثير ممن ثلبه يدق عليه كلامه ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (الأحزاب: ٣٨). وما نقله عنه الشارح ههنا هو في الرسالة القشيرية وهو دليل لمن نفى عنه القول بالحلول والاتحاد وهو مذهب صاحب هذا الشرح كما هو ظاهر.

(2) ضبطها شيخ الإسلام زكريا في شرحه على الرسالة بكسر الزاي على أنه فعل أمر، وضبطناها بالفتح لأنه وجه ظاهر في المعنى كذلك. ثم وجدنا العلامة العروسي يصحح هذا الوجه فقال: يصح أيضاً أن يقرأ على صيغة الفعل الماضي [أي بفتح الزاي]، والفاعل الله تعالى، وعليه فيكون المعنى أن الله تعالى قهر عباده على ذلك بخلق واضحات الأدلة والبراهين. نعم ما جرى عليه [أي شيخ الإسلام] أظهر. أه

(3) أي الحدوث.

ما هو أنشأ لا تماثله العيون ولا تقابله الظنون؛ قربه كرامتُه وبعده إهانته؛ عُلُوُّهُ من غير تعقل ومجيئه من غير تنقل ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الحديد آية: ٣) القريب البعيد ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١)[1] انتهى. وهو عجيب جامع المعاني التنزيه وحقائق التوحيد وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ: **(وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول)**، يعني من غير أمر زائد على ذلك[2]، ونهاية العقول من وجوده سبحانه الإثبات والتنزيه لا الكيف والصورة إذ لا كيف ولا صورة ولا يحاط بها أبدا وإن علمت على ما ذهب إليه قوم إذ قال المحققون ليست حقيقة ذاته معلومةً لنا في الدنيا، واختلفوا في إمكان علمها في الآخرة.

قال في «المباحث»[3]: حقيقة واجب الوجود وما يجب له من صفات الكمال ونعوت الجلال غيرُ مدرَكةِ الحصول لنفوسنا؛ زادَ الآمديُّ: لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ (طه: ١١٠) وعزى استحالة ذلك لإمام الحرمين والمصنِف[4] والحكماء، وعزاه الإمام[5] لجمهور المحققين، وهو الذي يدل عليه كلام المتصوفة

---

(١) نقله عنه القشيري في الرسالة في أول الرسالة القشيرية. قال أخبرني الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ﷺ.

(٢) قوله: من غير أمر زائد على ذلك: أي أن الله تعالى معلوم ببديهة العقول ووجوده تعالى ثابت بهذه البديهة دون تكلف دليل عليه

(٣) المباحث الشرقية للإمام فخر الدين الرازي، نشر في حيدر آباد بالمطبعة العثمانية سنة ١٣٤٣/ ١٩٤٢.

(٤) أي الإمام أبي حامد الغزالي صاحب المتن.

(٥) الإمام فخر الدين الرازي، (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، الامام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الاوائل، وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها.وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب - ط) ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و(لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى

كالجنيد وغيره. وذهب بعض المتكلمين إلى أنها معلومة محتجين بأنا نعلم وجوده، ووجودُه نفس ذاتِه، ولا يخفي ضعفُه. واختار الفهري[1] الوقف، وذكر كلمةَ الصديق ﷺ: سبحان من لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

وقال قوم بإمكان علمها في الدار الآخرة، واختلف النقل عن القاضي[2] فله في شرح الإرشاد للشريف[3] المنع، وللإمام الآمدي عنه: الوقف، فإذاً كلام المصنف لا يَنْصَبُّ إلا على العلم بمطلق الوجود. وقد قال بعض العلماء رحمه الله تعالى: اعلم أن الباري سبحانه يُعلم ضرورة بالقهر الذي يجده كل عاقل من نفسه[4]، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (لقمان: ٢٥) وإنما يُعلم بالنظر ما يجب من أحكامه ويجوز ويستحيل. انتهى

والصفات – ط) و(معالم أصول الدين – ط) و(محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين). وانظر الأعلام ٦/ ٣١٣.

(١) شرف الدين بن التلمساني الفهري (٥٦٧ – ٦٤٤) عبد الله بن محمد بن علي، أبو محمد، شرف الدين الفهري التلمساني: فقيه أصولي شافعي. أصله من تلمسان اشتهر بمصر، وتصدر للاقراء. وصنف كتبا، منها شرح المعالم في أصول الدين، وشرح التنبيه في فروع الفقه، سماه المغني ولم يكمله، وشرح خطب ابن نباتة.

(٢) القاضي أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر البصري ثم البغدادي الملقب بشيخ السنة ولسان الأمة. تتلمذ على يديه القاضي عبد الوهاب البغدادي وغيره وله تآليف جليلة منها التقريب والإرشاد في أصول الفقه وأمالي إجماع أهل المدينة وكتاب التمهيد وكتاب إعجاز القرآن وغير ذلك. قال القاضي عياض: كان حصناً من حصون المسلمين وما سر أهل البدعة بشيء مثل سرورهم بموته. وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم. توفي سنة ٤٠٣.

(٣) الغالب أن الإرشاد المقصود هو إرشاد الإمام الجويني، ولم أهتد – بعد التقصي – إلى شرح للإرشاد لمؤلف يدعى اختصاراً بالشريف. والذي اشتهر بهذا اللقب بين العلماء هو الشريف الجرجاني ولكن لم أعثر بين مؤلفاته على مثل هذا الكتاب.

(٤) أي يعلم وجوده لا كُنْهَ ذاتِه



[في الكلام على رؤيته تعالى]

ثم قال رضي الله عنه: (**مرئيٌّ الذاتِ بالأبصار**)، يعني أنه كما يعلم وجـوده تجـوز رؤيته، لأن علة الرؤية الوجود، فإذا جازت رؤية موجود جـازت رؤيـة كـل موجـود، لكن الشارع منع وقوعها في الدنيا لقولـه في حـديث الـدجال في حـديث مـسلم: «وإن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت»[1]، وحكى القـشيري قـولاً بإثبـات الوقـوع عـن الأشعري وآخرَ ينفيه ولم يجِدِ الأولَ لغيره، فيُحتمـلُ أن يكـونَ النفـيُّ رجوعـاً[2] عنـه، والحديث نص فلا يُعدل إلى غيره.

واختار عياض[3] وغيره في حقه عليه الصلاة والسلام الوقف لعدم القاطع[4].

---

(١) رواه مسلم (٥٢١٥)، والترمذي (٢١٦١)، وأحمد في مسنده (٢٢٥٦٠).

(٢) بالأصول: رجوع

(٣) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي. أخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله: محمد بن علي بن حمـدين وأبي الحسين بـن سراج وعن أبي محمد بن عتاب وغيرهم وأجاز له أبو علي الغساني وأخذ بالمشرق عن القاضي أبي عـلي: حسين بـن محمد الصدفي وغيره. وعني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم وأخذ عن أبي عبد الله المازري كتب إليـه يـستجيزه وأجاز له الشيخ أبو بكر الطرطوشي.

وله التصانيف المفيدة البديعة منها: إكـمال المعلـم في شرح صـحيح مـسلم والـشفا بتعريـف حقـوق المصطفى ﷺ أبدع فيه كل الإبداع ولم ينازعه أحد في الانفراد به ولا أنكروا مزية السبق إليه، وطارت نـسخه شرقاً وغرباً، وكتاب مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخـاري ومـسلم، والإعـلام بحـدود قواعد الإسلام، والإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع، وغير ذلك.

كان مولده بسبتة في شعبان ٤٩٦ وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤. وقيل إنـه مـات مـسموماً سـمه يهـودي ودفن بباب إيلان داخل المدينة. انتهى بتصرف واختصار من الديباج المذهب لابن فرحون.

(٤) أي لعدم وجود الدليل القاطع

والمحققون على جوازها في النوم.[1]

والإجماع على ثبوتها في الدار الآخرة للأحاديث الصحيحة والآيات الصريحة، قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣)، وقال عليه الصلاة والسلام: «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»[2] قيل شَبَّهَ النظرَ بالنَظَرِ، لا المنظورَ بالمنظور، بدليل قوله: «لا تضامون في رؤيته».

وسئل بعضهم: كيف نرى الله في الدار الآخرة؟ فقال: يُرى نفسَه لمخلوقاته، وليس في جهة من نفسه ولا من مخلوقاته، وقال بعضهم: هي رؤية وجود لا في مكان محدود.

---

(١) قال في ((تحفة المريد)): وأما رؤيته تعالى مناماً فنقل عن القاضي عياض أنه لا نزاع في وقوعهاوصحتها، فإن الشيطان لا يتمثل به تعالى كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذكر غيره الخلاف. وقال بعضهم: إن الشيطان يتمثل به دون النبي؛ والفرق أن النبي بشر، فيلزم من التمثل به اللَبس، بخلاف المولى تعالى فأمره معلوم. وقال بعضهم: ولا يتمثل بالملائكة ولا الشمس ولا بالقمر ولا بالنجوم المضيئة ولا بالسحاب الذي فيه الغيم. وحكي أن الإمام أحمد رأى المولى سبحانه وتعالى في المنام تسعاً وتسعين مرة، وقال: وعزته إن رأيته تمام المائة لأسألنه؛ فرآه فقال: سيدي ومولاي: ما أقرب ما يتقرب به المتقربون إليك؟ قال: تلاوة كلامي. فقال: بفهم أو بغير فهم؟ فقال: يا أحمد بفهم وبغير فهم. والمرئي إن كان بوجه يستحيل عليه تعالى فهو هو تعالى، وإلا بأن كان بصورة رجل مثلاً فليس هو هو تعالى، بل خلقٌ من خلقه تعالى، ويقال حينئذ إنه رأى ربه في الجملة لحكمة تظهر عند المعبِّرين بأن يقولوا تدل على كذا وكذا. وقيل هو هو أيضاً وكونه بهذا الوجه إنما هو باعتبار ذهن الرائي، وأما في الحقيقة فليس تعالى كذلك. وقد قال بعض الصوفية إنه رأى ربه في منامه على وصفه، فقيل له: كيف رأيته؟ فقال: انعكس بصري في بصيرتي فصرت كلي بصراً فرأيت من ليس كمثله شيء. أهـ ص ١٣٢-٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥٢١)، ومسلم (١٠٠٢)، وأبو داود (٤١٠٤)، والترمذي (٢٤٧٧)، وابن ماجة (١٧٣)، وأحمد في المسند (١٠٦٩٧)، وغيرهم.

وفي شرح عقيدة ابن دهاق[1] رحمه الله، قال أبو حامد رحمه الله: إذا سُئِلت عن الرؤية فقل كما تعلمه من غير تكييف كذلك نراه في الآخرة، وهذا ما أجمع عليه السنة. انتهى

وإنما جعلها الله سبحانه في الدار الآخرة نعمة عند **(لطفاً بالأبرار في دار القرار)**، فليس فيها نصيب الكفار، قال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (المطففين: ١٥). وقال بعض الناس: يراه الكفار بعرصات القيمة، واحتج بهذه الآية وهو محجوجٌ بها، لأن النفي منها ظاهرٌ والمعنى يعضِدُه، وهو أن الرؤية كرامة، والكافر مُبعد، والمنة إعطاء النعمة لا لسبب ولا لعلة، واللطف الرفق، وذلك لأن أهل الشوق لا يطفئ شوقَهم إلا الرؤيةُ عموماً، وقد يزيدُ معها، وهو الأقرب، والأبرار جمع بَرٍ بالفتح، وهو العامل بالبر بالكسر، وهو اسمٌ جامع للخير، وإذا كان هذا للأبرار فكيف بالمقربين فافهم.

ودار القرار هي الجنة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ (غافر: ٣٩) فشمل الجنة والنار، فلما لم يصح حملُه على النار هنا خصص بالجنة.

(وإتماماً للنعيم بالنظر إلى وجه الكريم)، لأن كل نعيم لا يكون فيه رؤية الحبيب ناقص، بل ليس بنعيم كما قيل:

الدهر لي مَأْتمٌ إن غبتَ يا أملي
والعيدُ ما كنتَ لي مَرْأىً ومُسْتَمَعا[1]

---

(١) إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسيو يكنى أبا إسحاق ويعرف بابن المرأة كان متقدماً في علم الكلام حافظاً ذاكراً للحديث والتفسير والفقه والتاريخ وغير ذلك. وكان الكلام أغلب عليه فصيح اللسان والقلم ذاكراً لكلام أهل التصوف يطرز مجالسه بأخبارهم.

وألف شرح كتاب الإرشاد لأبي المعالي وشرح الأسماء الحسنى وألف جزءاً في إجماع الفقهاء وشرح محاسن المجالس لأبي العباس بن العريف وألف غير ذلك وتآليفه نافعة في أبوابها حسن الرصف والمباني، وتوفي بعد سنة عشر وستمائة. انظر الديباج المذهب لابن فرحون (١/ ٤٦).

قال في حكم ابن عطاء الله: «النعيم وإن تنوعت مظاهره إنما هو لشهوده واقترابه، والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هي بوجود حجابه، فسبب العذاب وجود الحجاب، وإتمام النعيم بالنظر إلى وجه الله الكريم». انتهى

و«**الوجه**» في حقه تعالى مما اختلف فيه بالتأويل والتفويض، بعد نفي الوجه المُحال من الحد والكيف[2]، تعالى ربُنا وجل.

---

(١) قال الإمام القشيري في الرسالة: أنشد الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، قال: أنشدني عبد الله بن إبراهيم ابن العلاء قال: أنشدني أحمد بن عطاء لبعضهم؛ قال:

قالوا:

غداً العيد ماذا أنت لا بسه؟ ... فقلت: خلعة ساقٍ حُبُه جُرَعا

فقرٌ وصبرٌ، هما ثوباي تحتهما ... قلبٌ يرى إلفَه الأعيادَ والجُمَعا

أحرى الملابسِ أن تلقى الحبيبَ به ... يومَ التزاورِ في الثوب الذي خَلَعا

الدهرُ لي مأتمٌ إن غبتَ يا أملي ... والعيدُ ما كنتَ لي مرأىً ومُستمَعا

وقيل: إن هذه الأبيات لأبي علي الروذباري. أهـ

وقال الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء: أنشدني منصور بن محمد المقري، قال: أنشدني أحمد بن نصر بن منصور الشاذابي المقري، قال: قيل لأبي بكر الشبلي: مزقت وأبليت كل ملبوسك والعيد قد أقبل والناس يتزينون وأنت هكذا؟ فأنشأ يقول... ثم أورد الأبيات.

وقد شرحها العلامة العروسي في الحاشية على الرسالة القشيرية فأجاد فانظره ص ٤٣٨ ج ٢ ط دار الكتب العلمية.

(٢) قال في شرح الرسالة القشيرية: قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨) لا بمعنى الجارحة بل بمعنى الذات، أي: إلا ذاته، ويقال فعلته لوجهك أي لك ولأمرك وحرمتك وجلالك. أه ص ٩٨. وقد أحلنا على شرح الرسالة لأن المصنف أحال على الرسالة في الحديث على اليدين.

وقال الإمام الفخر الرازي في (أساس التقديس) بعد أن أورد الآيات والآثار الواردة في الوجه: واعلم أنه لا يمكن أن الوجه المذكور في هذه الآيات وهذه الأخبار هو الوجه بمعنى العضو والجارحة. ويدل عليه وجوه، الأول: قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨) وذلك لأنه لو كان

والكَرَمُ على وجهين: كرمُ الذاتِ والصفات وهو جلالتها ورفعتها، وكرم الأفعال وهو البداية بالنوال قبل السؤال. وكل منهما جارٍ[1] في هذا المحل لأن إنعامه عليهم بالرؤية من كرم أفعاله، وتنزهه عن كل نقص من كرم ذاته وصفاته.

وقد قيل ثلاثة في الجنة خير من الجنة: التنعم والرؤية والرضا. وقيل في قوله تعالى:﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس: ٢٦) الحسنى الجنة، والزيادة الرؤية.

وسئل سهل بن عبد الله ﷺ عن ذات الله تعالى فقال: موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول وتراه العيون في العقبى، ظاهرٌ في[2] ملكه وقدرته وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية انتهى. وإنما أخرته لهذا المحل لأنه جامع لمعاني ما ذكر في الترجمة وبالله التوفيق.

الوجه هو العضو المخصوص لزم أن يفنى جميع الحسج والبدن، وأن تفنى العين التي على الوجه وأن لا يبقى إلا مجرد الوجه. وقد التزم بعض حمقى المشبهة ذلك، وهو جهل عظيم...

إذا عرفتَ هذا، فنقول: لفظ الوجه قد يجعل كناية عن الذات تارة، وعن الرضى أخرى ... أما قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ ، وقوله:﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ (الرحمن: ٢٧) فالمراد منه الذات، والمقصود من ذكره التأكيد والمبالغة، فإنه يقال: وجه الأمر كذا وكذا... والمراد منه هو نفس ذلك الشيء. وأما قوله تعالى:﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ١١٥)، ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ (الإنسان: ٩)، ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (الليل: ٢٠) فالمراد من الكل رضا الله تعالى، وهكذا القول في تلك الأحاديث. اهـ. وانظر مفصلاً في (أساس التقديس) ط الكليات الأزهرية ص ١٥١-١٥٦.

(١) في (ب): جاز، فعل ماض وما هنا جارٍ اسم فاعل من جرى.

(٢) (أ): ظاهراً بالنصب على الحال.

صفات المعاني[1]

[الحياة والقدرة]

(القدرة)[2]، يعني ذكر أحكامها وما يتعلق بها من إثبات وتنزيه غير ذلك، وهي الصفة المقتضية لإبراز الجائز المرادِ وجودُه[3] بدلاً من عدمه، فدليلها الإبراز فافهم.

قال ﷺ: **(وأنه حي قادر جبار قاهر)** يعني أن قدرته مشروطة بالحياة فلا يصح أن يكون قادراً من ليس بحي، والحي غير القادر ناقص، فقدرته دليل حياته، [وحياته][4] شرط قدرته وكل منهما واجب لكماله.

والقدرة هي الصفة المقتضية للإيجاد وتتعلق بالشيء قبل وجوده تعلقا صلاحياً[5] وحال وجوده تعلقاً تنجيزياً[6]. والدليلُ على وجودها بروز المحدثات إذ لا يصح الإبراز من غير قادر بحال، ولا يصحُّ انتفاءُ القدرة عما يصلح لتعلقه بها، ولا يجوز عليها الحدوث، كما لا يصح قِدَمُ المقدورات فافهم.

(والجبار) الذي لا يُرَدُّ حُكْمُه ولا يؤثِرُ فيه قصدُ القاصدين، وقيل الذي يجبر المكسور ويصلح الأمور.

---

(١) وهي ثاني أقسام صفاته تعالى والأولى تقدمت وهي الصفات النفسية الست الماضي ذكرها، وصفات المعاني هي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام.

(٢) في (ب): الحياة والقدرة، وما يتلوها من ضمائر كلها بالتثنية.

(٣) غير واضحة في (ب) والمثبت من (جـ) و(أ).

(٤) سقط من (ب)، و(جـ).

(٥) بمعنى صلاحية القدرة لأن تتعلق بمثل هذا الشيء أزلاً، فالقدرة تتعلق بخلق المخلوق قبل وجوده بكونها صالحة لخلقه وإيجاده.

(٦) بمعنى إنجاز وجود الشيء حال خلقه وإيجاده.

(والقاهر) والقهار واحد، وهما من القهر الذي هو الاستيلاء على الشيء، من جهة الملك والسلطان ظاهراً، ومن جهة علو المكانة وقيام الحجة باطناً، وهو راجع لمعنى الجبار على أنه الذي يُجبر العباد على ما أراد، وكلاهما من معاني القدرة وظهور الاقتدار بوجه أخص والله اعلم.

(لا يعتريه)، أي لا ينزل به ولا يصيبه **(قصورٌ)**، أي وقوف عن إتمام مراده، **(ولا عجزٌ)** عما يريده بحيث لا يقدر عليه ولا يطيقه، بل إذا أراد شيئاً كَوَّنه من غير تردد ولا توقف ولا احتياجٍ لأسباب ولا معينٍ، لكمال قدرته. وذلك خلاف وصف المحدثات، فإن القصور والعجز لازمٌ لهم في جميع الأحوال، ولو جاز عليه سبحانه من ذلك شيء لعم جوازه، فانتفى وجود الموجودات ولزم حدوث القديم، وما لا يعرى عن الحوادث لا يسبقها، وما لا يسبقها كان حادثاً مثلها، ويتعالى ربنا عن سمات المحدثات.

(لا تأخذه سنة) أي أقل النوم، **(ولا نومٌ)** وهو المستغرَق منه، **(ولا يعارضه فناء)**، وهو ذهاب الوجود واضمحلاله، **(ولا موت)**، وهو مفارقة الحياة للحي، لأن الكل حوادث وعوارض يلزم منها النقص والحدوث والافتقار، والرب تعالى منزه عن ذلك كله لثبوت قدمه وكماله.

وقد أتى المصنف هنا بستة ألفاظ، الأول منها والثاني وهو القصور والعجز من عوارض القدرة، والثالث، والرابع من آفات الحياة وهما السِّنة والنوم، والخامس والسادس مزيلات الوجود وهما الفناء والموت، وكلها عليه تعالى مُحال، فذكر نفيَها في كل حال على وجه التفصيل لا على وجه الإجمال ليكون أبلغ في التعليم وأوقع للإجلال، فافهم.

ثم قال ﷺ: **(وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت)**، يعني صاحب الملك وما بعده[1]، بمعنى مالكها ومليكها، فمما ورد من تسبيح بعض الملائكة عليهم السلام:

---

(١) أي ما بعد كلمة الملك من عبارة الماتن ﷺ وهي ألفاظ: الملكوت والعزة والجبروت.

«سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحي الدائم الذي لا يموت»[1] فعالم الملك ما شأنه أن يُدرَكَ بالحس والوهم، وعالم الملكوت ما شأنه يدرك بالعقل والفهم، وعالم الجبروت ما شأنه أن يدرك بالحس وما معه، أو بالعقل وما معه، لكن لا في الحال، بل في ثاني حال كما في الدنيا مما لم يصل إليه وهم ولا فهم، وما في الجنة مما[2] لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وستراه العين وتسمعه الأذن وتعرفه القلوب. وعالم العزة ما امتنع إدراكه بكل وجه بحيث انفرد تعالى بعلمه فلم يُظهِرْهُ لأحدٍ من خلقه كتعلق أسمائه وصفاته من حيث تعلقها به. انتهى بالمعنى، وأصله من ((عنوان الدليل)) لابن البنا، فانظره. و**(الجبروت)** فَعَلوت، من الجبر فهو غير مهموز، خلاف ما يجري على الألسنة[3] والله اعلم.

(له السلطان والقهر والخلق والأمر) يعني بالسلطان الحجة البالغة وهو ملكه لعباده المقتضي لعموم التصرف والتصريف، فالتصريف بالأمر والتصرف بالقهر، فالتصريف يقتضي الامتثال والتصرف يقتضي الاستسلام.

وشاهد ذلك أن الخلقَ خَلْقُهُ، فلا شيءَ لأحدٍ منهم معه، والأمرُ أمْره فلا أمْرَ لأحدٍ سواه، قال تعالى:﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (القصص: ٦٨) أي كما أنه خالق لما يشاء يجب أن يكون مختاراً لما يريد قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الآية، ثم قال تعالى:وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (الأعراف: ٥٤) وقال عز وجل:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ (الطلاق: ١٢) وقال سبحانه وتعالى:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الزمر: ٦٢) الآية.

---

(١) رواه الحاكم (٤٤٧٧)

(٢) في (جـ): إذ هو.

(٣) وذلك قولهم: الجبرؤت والله تعالى أعلم.

وبالجملة فهو المتصرف في المخلوقات بالقضايا والتدبير من غير منازع ولا شريك ولا معين ولا وزير، لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، والقهر قهره لخلقه، والملك ملكه، فما حكم به على عباده ولهم جرى على وفق مراده وما لا فلا فافهم.

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه: (**والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته**)، يعني كما ورد به القرآن نقلاً وشهدت به البراهين عقلاً، فمعنى مطويات محصورات ومجموعات ومحكومات بيمينه، أي في يمينه، بمعنى قدرته، فلا نسبة لها[1] مع القدرة وحكم المشيئة، وهذا على القول بالتأويل، وإلا فالتنزيه عن صفة الأجسام واجب والله أعلم بمراده. وفي الحديث «كلتا يدى ربنا يمين»[2].

وفي عقيدة الرسالة القشيرية: «واليد صفة يخلق بها على التخصيص»، قلت: وعليه يدل قوله عليه الصلاة[3] والسلام: «خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده»[4] إلى غير ذلك.

والقبضة عبارة عن الحكم الغالب الذي لا يمكن رده ولا الخروج عنه، أو هي صفة يجب تنزيهها تقتضي قهرَ الخلائق والحكمَ عليهم والإحاطةَ بهم. وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ

---

(١) الضمير عائد على السموات بمعنى أنها رغم عظمها لا وزن لها بجانب قدرة الله عز وجل.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٩٠)، والحاكم في المستدرك (٢٠١) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه. وهو بلفظ «وكلتا يديه يمين» من حديث آخر رواه مسلم (٣٤٠٦)، النسائي في الصغرى (٥٢٨٤) وأحمد في مسنده (٦٢٠٤)، وغيرهم من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) زيادة من (جـ).

(٤) لم أجده بهذا اللفظ وصدر الحديث رواه النسائي في الكبرى (١٠٠٤٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦٠٣). وهو بهذا اللفظ مركب من روايتين في صحيح مسلم وهما الحديثان رقم (٤٧٩٣) و(٤٧٩٥) وفيهما محاجة سيدنا آدم وسيدنا موسى عليهما السلام.

بِيَمِينِهِۦ ﴾ (الزمر: ٦٧) الآية. وورد في الحديث ذكر القبضة وغيرها واختُلِفَ في إطلاق ذلك مفرداً فانظر ذلك.

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه: (**وأنه المنفرد بالخلق والاختراع، المتوحد بالإيجاد والإبداع**)، يعني لا خالقَ لشيءٍ إلا هو. والاختراع الإيجاد من غير سبق وجود؛ والإيجاد الإخراج من العدم إلى الوجود، والإبداع افتتاح الوجود من غير مثال سبق. وقد مر برهان ذلك في دلالة التمانع فانظره[1].

(**خلق الخلق وأعمالهم**)، فأعمالهم حَسَنُها وغَيْرُهُ خَلْقٌ له كما أنه خالقُ ذواتهم، لأن موجدَ المرَكَّبِ مُوجِدُ أجزائِه وأحكامه وإلا فليس له قال الله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات: ٩٦) أي خلق ما تعملون، تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد أو يكون لأحد عنه غِنَى أو يكون خالقٌ لشيء إلا هو ربُّ العبادِ وربُّ أعمالِهِم.

وقد حُكِيَ أن عبد الجبار الهمداني[2] أحد أئمة المعتزلة اجتمع يوما مع أبي إسحاق الإسفرايني فقال عبد الجبار: سبحان من تنزه عن الفحشاء، ففهم عنه الأستاذ أبو إسحاق أنه يريد: عن خَلْقِها، وأنها كلمة حق أريد بها باطل، فقال الأستاذ: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فالتفت إليه عبد الجبار وعرف أنه فهم عنه، فقال: أيريد ربنا أن يُعصى؟ فقال الأستاذ أيُعصَى ربُنا قهرا؟ فقال عبد الجبار: أرأيت إن منعني الهدى وقضى على الردي، أحسن إليَّ أم أساء؟ فقال له الأستاذ: إن منعك ما لك فقد أساء، وإن منعك ما له يختص برحمته من يشاء، فانصرف الحاضرون وهم يقولون: ليس

---

(١) ص ٥٤- ٥٥ من هذا الكتاب.

(٢) قال في طبقات الشافعية: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل القاضي أبو الحسن الهمداني قاضي الري وأعمالها وكان شافعي المذهب وهو مع ذلك شيخ الاعتزال وله المصنفات الكثيرة في طريقتهم وفي أصول الفقه قال ابن كثير في طبقاته ومن أجل مصنفاته وأعظمها كتاب دلائل النبوة في مجلدين أبان فيه عن علم وبصيرة جيدة وقد طال عمره ورحل الناس إليه من الأقطار واستفادوا به مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة.

والله عن هذا جواب. ويذكر أن هذه الحكاية وقعت للحسين بن علي رضي الله عنهما وكرم وجههما مع معتزلي، فمر المعتزلي وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته والله أعلم.

ثم قال ﷺ: **(وقدر أرزاقهم وآجالهم)**، يعني فلا رزق لأحدٍ إلا منه، جرى بالأسباب أو دونها، والرزقُ كُلُّ مُنْتَفَعٍ به حلالاً كان أو حراماً خلافاً للمعتزلة، وبرهان ذلك مذكور في قوله تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود: ٦) فمَنْ كان يأكل الحرام طول عمره فمن الدواب المضمون رزقها، وقال تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾ (يونس: ٥٩) الآية، وقال عز وجل:﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا ﴾ الأية (العنكبوت: ٦٠) الآية.

وفي الصحيح «فرغ ربك من أربع خلق وخلق ورزق وأجل»[1] إلى غير ذلك مما يطول ذكره، والمقصود أن الأرزاق والآجال مقدرة محتومة لا تتبدل ولا تتغير، وما ورد من زيادة الرزق والأجل بصلة الرحم ونحوه فله تأويلات عند الأئمة فانظره.

(لا يشذ عن قبضته مقدور) من الأغيار ولا من أحكامها ولا من توابع وجودها، ومعنى «لا يشذ» لا يخرج، والقبضة بمعنى القهر والاقتدار كما مر بيانه، قال تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (الكهف: ٤٥) وقال سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر: ٤٩)، وقال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الحشر: ٦) وقال ﷺ:«كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس»[2] الحديث.

---

(١) هو في السنن الكبرى للبيهقي من كلام سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه موقوفاً، وكذا في سنن الدارقطني (٤٤٣٩)، وكذا في المعجم الكبير للطبراني (٨٨٥٧)، وفي المعجم الأوسط عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ (٧٥٣٦) وقال لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن إلا عيسى بن المسيب، تفرد به: صفوان بن هبيرة.

(٢) رواه مالك (١٣٦٩)، ومسلم (٤٧٩٩)، وأحمد (٥٦٢٧)، وابن حبان (٦٢٥٥)، كلهم بلفظ ((بقدر)) دون لفظ ((بقضاء)).

[مطلب في الكلام على الكسب][1]

وقد تكلم علماؤنا في الكسب فقال الأستاذ[2]: الكسبُ فِعلُ فاعلٍ بمُعِينٍ، والاختراعُ فِعْلُ فاعلٍ لا بمُعِين، ومَثَلُه يقوى يحمل شيئاً، وآخر يعجز عن حمله إلا بمعين[3] وللإمام[4] وإمام الحرمين في ذلك مذهبٌ لا حاجة به هنا.

قال الفهري: والحق أن الواقع في سنة الله في حصول الفعل من العبد أن الله خلق الأعضاء على وجه يستعد كل عضو لذلك الأمر المُعيَّنِ منه[5]، فإذا خطر بباله أمرٌ ما واعتقد أنه ملائم أو منافر تَرَتَّبَ الهمُ وهو أولُ درجاتِ القصدِ، فإذا تأكدَ قصدُه لإيقاعِهِ أو تَرْكِهِ صار عزماً، وحينئذ أجرى اللهُ عادته بإمداده بخلق القدرة عليه، قال الله تعالى:﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ (الإسراء: ١٨) الآية[6] فرتب الإمداد على الإرادة منهم إذا شاءوا وذلك الإمداد هو المعبر عنه بالتوفيق والخذلان.

---

(١) زيادة من (أ)

(٢) أي أبو إسحق الإسفرايني.

(٣) العبارة مضطربة في النسخ ويلوح أن نسق المعنى هو: ومَثَلُه مَنْ يقوى بحمل شيء ومن يعجز عن حمل شيء إلا بإعانة معين.

(٤) أي الإمام أبو الحسن الأشعري ﷺ وقوله في المسألة كما نقله الفخر الرازي ألا تأثير لقدرة العبد في الفعل أو في صفة من صفات الفعل، بل الله تعالى يخلق الفعل ويخلق قدرة متعلقة بذلك الفعل ولا تأثير لتلك القدرة البتة في الفعل. وانظر الأربعين في أصول الدين ط الجيل ص٢٢٠. أما مذهب إمام الحرمين فاختلف فيه من موافقة لرأي الحكماء وموافقة لرأي الإمام الأشعري وهو الذي في كتبه سيما الإرشاد ونقله عنه السعد في المقاصد بتمامه فانظره جزء ٤ ص٢٢٤ ط عالم الكتب بتحقيق عبد الرحمن عميرة. وكلام العلامة زروق يوحي بموافقته للأستاذ الإسفرايني في قوله بأن المؤثر في الفعل مجموع القدرتين، وقال السعد: فإن أراد أن قدرة العبد غير مستقلة بالتأثير وإذا انضمت إليها قدرة الله تعالى صارت مستقلة بالتأثير بتوسط هذه الإعانة على ما قدره العبد، فقريب من الحق وإن أراد أن كلاً من القدرتين مستقلة بالتأثير فباطل لما سبق. أ هوص٢٢٤، ٢٢٥.

(٥) في (ب): له.

(٦) وتمامها:﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ (الإسراء: ١٨).

وقال ابن عرفة[1] الكسب عبارة عن مقارنة الفعل الواقع بقدرة الله تعالى للائمته لِنَفْسِ مَنْ خَلَقَ اللهُ الفعلَ له. انتهى. وهو قريب من الذي قبله فتأمل ذلك واعرفه حقَّه.

وقد نفت الجبرية الكسب واعتمدته القدرية أصلاً[2] وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

(ولا تعزب عن قدرته تصاريف الأمور)، معنى لا يعزب: لا يغيب عن علمه تصاريف الأمور، فما أراده وقدره سَبَقَ عِلْمُهُ لا أنه لا يعلمه إلا بعد وجوده، إذ يلزم

---

(١) أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح المتبرك به محمد بن عرفة الورغمي التونسي: إمامها وخطيبها بجامعها الأعظم خمسين سنة الإمام شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ أستاذ الأساتذة وقدوة الأئمة الجهابذة علامة الدنيا الحائز قصبات السبق في العلوم بلا ثنيا الحافظ النظار المتحلي بالوقار مع الجلالة ومزيد الاعتبار. أخذ عن جلة منهم ابن عبد السلام روى عنه وسمع منه وانتفع به ومحمد بن هارون والإمام السطي ومحمد بن الحباب وابن قداح ومحمد بن حسن الزبيدي ومحمد بن سلامة ومحمد الأجمي ومحمد الوادي آشي والشريف التلمساني. وعنه من لا يعد كثرة من أهل المشرق والمغرب، منهم البرزلي والأبي وابن الناجي وابن عقاب وأحمد ومحمد ابنا القلشاني وابن الخطيب القسنطيني عيسى الغبريني والزنديوي وابن علوان والزعبي والوانوغي وابن الشماع وابن مرزوق الحفيد والدماميني وابن فرحون وأبو الطيب بن علوان وابن عمار المصري. شجرة النور الزكية ص ٣٢٦ ط الكتب العلمية.

حج سنة ٧٩٢هـ وأخذ عنه في طريقه المصريون والمدنيون. له تآليف عجيبة في فنون من العلم بديعة منها مختصره في الفقه أفاد فيه وأبدع والحدود الفقهية شرحها الرصاع واختصر فرائض الحوفي وتأليف في الأصول عارض به طوالع البيضاوي وعشاريات ومختصر في المنطق وتفسير وغير ذلك. ترجمته واسعة ذكرها غير واحد قال العلامة ابن الأزرق إن بلوغه مراتب الغاية العلمية لا ينكر ومقامه في المجاهدة العملية من اشرف ما يعرف به ويذكر. تولى إمامة جامع الزيتونة سنة ٧٥٦هـ والخطابة به سنة ٧٧٢هـ والفتيا سنة ٧٧٣هـ وكان والده من العلماء الصالحين. مولده سنة ٧١٦هـ وتوفي في جمادي الثانية سنة ٨٠٣هـ[١٤٠٠م] وقبره بالجلاز معروف متبرك به.

(٢) أي نفي الكسب، لأن القدرية يقولون بخلق العبد لفعله لا مجرد كسبه له.

نقص العلم في وجه من وجوه تعلقه وذلك باطل، وقد قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ (الملك: ١٤) أي كيف لا يعلم من خلق ما خلق قبل خلقه؟! إذ لا يصح خلقه إلا بعد العلم به كيفية وقدراً ووقتاً وغير ذلك.

(لا تحصى معلوماته)، لعدم تناهي علمه، إذ عَلِمَ ويَعْلَمُ، لأنه[1] عالم، [لا أنَّه عالم][2] لكونه علم ويعلم، فعلمه ثابتُ القِدَمِ والدوام. وهذه الجنة والنار لا تناهي لهما، وكلُّ ما تعلق بهما من متعلقات[3] العلم.

(ولا تتناهى مقدوراته)، لأنها، أي القدرة، غير متناهية ودليل عدم تناهي القدرة جواز وقوع أمثال ما وقع، فإن قيل يجوز أن يقطعَ الباري فعلَه ويبقى لا يفعل شيئاً، قلت هذا محال لأن الجنة والنار باقيتان على الدوام إجماعاً، ونعيم هذه وعذاب هذه متجدد أبداً، وهما من متعلَقات القدرة، وكذا الإرادة وكل متعلقات الصفات لا تناهي لها، وبالله التوفيق.

[صفة العلم][4]

(العلم) يعني ذِكْرَ ما يتعلقُ به من إثباتٍ وتنزيهٍ وغيره.

وقال ﷺ: **(والله تعالى عالم بجميع المعلومات)** يعني من واجب وجائز ومستحيل فيعلم الواجب من حيث وجوده وثبوته وأوصافه ومتعلقاته وغير ذلك، والجائز كذلك من حيث جوازه وتقديره واختصاصه بأحكامه وما يتعلق به نفياً وثبوتاً،

---

(١) (ب): بأنه، والعبارة فيها مضطربة

(٢) الزيادة من (جـ)، وبدونها يضطرب المعنى.

(٣) (ب): المتعلقات

(٤) الغالب في كتب التوحيد أن يلي الكلام على العلم الكلام على الحياة ثم الكلام على القدرة لأن تعلقات القدرة مترتبة على متعلقات العلم.

والمستحيل من حيث استحالته وحكمه وما يترتب عليه أن لو قدر وقوعه، كان عقلياً أو شرعياً أو عادياً كقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: ٢٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ (الأنعام: ٢٨)، ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ (الأنعام: ١١١) إلى غير ذلك فيعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أنه لا يكون وأن لو كان كيف يكون.

فعلمه شامل (**محيط بما يجري في تخوم الأرضين**) إلى أسفلها وأقصى دركاتها، (**إلى أعلى السموات**) وما فوقها من عرش وغيره.

(**لا يعزب**)، أي لا يغيب، (**عنه مثقال ذرة**)، أي بعوضة أو أقل منها إن كان ذلك المثقال (**في الأرض أو في السماء**)[1] أو في غيرهما، وإنما ذُكِرَا تقريباً، كالذرة، إذ المراد أقل شيء في الوجود كما قال تعالى: ﴿ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (يونس: ٦١).

قال في الحجاجية رسالة التنبيه والإرشاد، في باب أحكام العلوم شعراً

عِلْـمُ الإلـهِ الواحـدِ القيـوم	**لَـيْسَ كمثـلِ سـائرِ العلـوم**
لأنـه ليـست لـه بدايـة	**ولا لمعلوماتِـهِ نهايـة**
وعِلْمُـهُ لهـا عـلى التفـصيل	**لا عَـنْ ضرورةٍ ولا دليـل**

ونبه بالبيت الأخير على من يقول: يعلم الأشياء جملة وتفصيلا، لأن ذلك لا يصح، وإنما يقال يعلمها تفصيلاً، لمنافاة الجملة للتفصيل، كما قال بعد شعراً

والعِلْـمُ بالـشيءِ عـلى التَجْمِيـل	**يـلازِمُ الـسهوَ عـلى التفـصيل**
كـالعلمِ بـالأرضِ والـسماء	**والـسهوِ عـن كميـةِ الأجـزاء**

(١) في(جـ): في السماء أو في الأرض.

وهذا شيء نبه عليه القاضي في الهداية، ونقله ابن خليل وشنع على القائلين بالجمع في التعبير[1] وهي مسألة معقولة[2]، ولعل لها أشار المصنفُ بقوله (**بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء**) فذكر هذا المتعلَّقَ الخاص لينبه على ما فوقه، إذ دبيب النمل خفي لذاته، فكيف به على صخرة في ظلمة؟!

وقد قال بعض العارفين في قوله ﷺ: «الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل»[3]، هذا مدح للأمة بنفي الشرك عنها، لأن دبيب النمل لا يدرك، فأخفى منه لا يوجد، فتأمل ذلك.

ثم قال ﷺ: (**ويدرك حركة الذر في جو الهواء**) يعني أنه لا يخفى عليه ذلك، ولا يغيب عنه، ثم كلام المصنف ينبِئُ أن اختياره في الذرة إما البعوضة وما في معناها وإما

---

(١) أي جمع لفظي الجملة والتفصيل.

(٢) وقد أشار لكلام الشارح هنا العلامة محمد بن صالح السباعي في حاشيته على شرح الدردير على الخريدة، مما يفيد إطلاعه على هذا الشرح وإفادته منه، فقال: منع سيدي أحمد زروق نفعنا الله به أن يقال إن علم الله تعالى يتعلق بالمعلومات إجمالاً لإيهامه أنه لا يتعلق بها تفصيلاً، كما منع أن يقال: يتعلق بها إجمالاً وتفصيلاً للتناقض، وأوجب في التعبير أن يقال: يتعلق بها تفصيلاً. اهـ. انظر الحاشية المذكورة دار الكتب العلمية، ص ١٧٥.

(٣) رواه أحمد في المسند (١٨٧٨١) قال: حدثنا عبد اللهَّ بْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي سُلَيْمَانَ الْعَرْزَمِيَّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنه أخفى من دبيبِ النمْلِ فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهَّ بْنُ حَزْنٍ وَقَيْسُ بْنُ الْمُضَارِبِ فَقَالَا وَاللهَّ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ أَوْ لَنَأْتِيَنَّ عُمَرَ مَأْذُونٌ لَنَا أَوْ غَيْرُ مَأْذُونٍ قَالَ بَلْ أَخْرُجُ مِمَّا قُلْتُ خَطَبَنَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ ذَاتَ يَوْم فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللهُّ أَنْ يَقُولَ وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهَّ قَالَ قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ. وعند الحاكم (٣١٠٤) رواية أخرى من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على شيء من الجور، وتبغض على شيء من العدل وهو الدين، إلا الحب والبغض قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١) وقال أبو عبد الله: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الجوهر[1] الذي يظهر في الشمس في الهباء عند دخولها من كوة منحصرة ونحوها، لا النملة الحمراء[2] إذ ليست بطائر ولا شيء من الجمادات وهو أحرى.

نعم وما ذكره في ذلك إنما هو من أحكام السمع والبصر. وقد اختلف في رجوعهما إلى العلم، والتحقيق عدم رجوعهما إليه، نعم أحكامهما راجعةٌ إليه فكل مُبْصَرٍ[3] ومسموع معلومٌ لا العكس، ومن هنا صح إدخال ذلك في باب العلم والله اعلم[4].

ثم قال ﷺ: **(ويعلم السر وأخفى)** يعني وأخفى من السر يعلمه كما يعلم السر، ويعلم السر كما يعلم الجهر، لا يتفاوت علمه بتفاوت معلوماته؛ قال الشيخ أبو الحجاج ﷺ: وهو عِلْمٌ واحدٌ في ذاته لا يتعدد بمعلوماته ولا يفوتُ علمَه معلومٌ، تبارك المهيمنُ العليم.

(ويطلع سبحانه[5] على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر) يعني وسائر حركات النفوس الباطنة والظاهرة إذ الهواجس جمع هاجس وهو أسرع ما يقع في النفس من الحركات الإلقائية ولا ثبات له، والخاطر فوقه في الثبات ودونه في السرعة. وحركات الخواطر تَرَدُّدُها في النَّفْس، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ (ق: ١٦) وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه: ٧) وقال عز وجل: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ (الملك: ١٣-١٤) أي كيف لا يعلم من خلق ما

---

(١) هكذا في (أ)، وفي (ب): الحيوان ولا مفهوم له ولعله يقصد الغبار.

(٢) في (ب): الحميرا.

(٣) في (جـ): متصوَّر.

(٤) في (جـ): وبالله التوفيق.

(٥) زيادة من (جـ).

خلق ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤) بأحوالهم وجميع أمورهم فافهم، فهو سبحانه يعلم جميعَ المعلومات.

(بعلم قديم) هو صفة لذاته، **(أزلي)** لم يُسبَق بعدم ولا افْتُتِحَ له وجود، **(قائم بذاته)** الكريمة لا بغيره، إذ يتعالى ربنا أن تكون صفته قائمة بغيره، بل يستحيل ذلك كما تقدم من كلام الواسطي ﷺ إذ قال: وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة كما استحال أن يكون للذات الحديثة صفة قديمة.

(لم يزل) ربنا سبحانه وتعالى موصوفا به أي بالعلم القائم بذاته في الأزل الأول[1] أي في قدم القدم، وقد تعلق علمه في الأزل بذاته وصفاته وأسمائه في الأزل تعلقا تنجيزيا لقدمها، وبغيرها من الموجودات على حسب حكمها في وجودها وعدمها وكونها وتقديرها وغير ذلك فافهم

وفي هذه المسألة غورٌ لا يليق بأهل البدايات.

نعم! الحق تعالى علم ويعلم لأنه عالم، فعلمه لا يتجدد ولا يتعدد، وغيره لا يكون عالما إلا بسبق المعلوم، فعلمه يتعدد بتعدد المعلومات ويتجدد بتجددها، فيعلم ربنا المعلومات بعلمه القديم الأزلي، **(لا بعِلْمٍ متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال)** لأن التجدد عارض وهو مسبوق بالعدم؛ والوجود والحلول والانتقال أعراض.

وقد ثبت أنها حوادث، وما لا يعرى عن الحوادث لا يسبقها، وما لا يسبقها كان حادثا مثلها. وإلى هذا أشار الضرير[2] بقوله:

وعلم كل ما سواه عَرَض   يُعدم في ثاني[3] زمان يَعرِض

---

(١) في (ب) : أزل الآزال

(٢) في (ب): الظريف، والمثبت من (جـ).

(٣) في (ب): تالي.

فيحـــدثُ المِثـــلُ لـــه أو ضـــد   والقـــولُ فيـــه واســـعٌ ممتـــد

وغاية العبد من هذه العلوم الإثبات والتنزيه، فليمسك عنانه بعد تحقيق ما ذُكر، وبالله التوفيق.

[الإرادة]

(الإرادة): يعني ذكر أحكامها وما يتعلق بها من إثبات وتنزيه، وهي الصفة المقتضية لتخصيص الجائزات[1] وأحكامها وأوصافها وغير ذلك، فدليلها التخصيص فافهم.

ثم قال ﷺ: **(وأنه مُريدٌ للكائنات مدبِّرٌ للحادثات)**، يعني أنه تعالى موصوف بالإرادة وتتعلق بالجائزات من حيث تخصيصها قبل وجودها تعلقاً صلاحيا، وعند تخصيصها تعلقا تنجيزيا[2]، تخصصت بوجود أو عدم، لأن المعدوم وإن لم يكن شيئاً ينتقل عن الجواز بوجود مقابله فهو تخصيص له.

---

(١) أي اختصاصها من بين غيرها من الجائزات بأن يريد المولى وجودها أو يريد عدمها، فما أراد وجوده فهو مخصص بالوجود وما أراد عدمه فهو مخصص بالعدم.

(٢) وعند الباجوري في حاشيته على الجوهرة والسنوسية وفي خريدة الدردير وحاشيتي السباعي والأمير للإرادة تعلقان: صلوحي قديم وتنجيزي قديم وهو تخصيص الشيء ببعض ما يجوز عليه على ما ثبت في علم الله. وذكروا قولاً ثالثاً تمريضاً هو التعلق التنجيزي الحادث وهو تخصيص الشيء بالفعل وقت وجوده على وفق التخصيص الأزلي. وقال الشمس الإنبابي في تقريراته على السنوسية: اختار الشيخ ثعيلب أنها تتعلق تعلقاً تنجيزياً حادثاً فقط مستدلاً بالآيات الكثيرة ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ (النحل: ٤٠) إلى غير ذلك، مستشكلاً القول بالتنجيزي القديم بأن معناه التخصيص، ولا تخصيص في الأزل... إلى آخر ما قال. وقال الباجوري في التحفة: والحق أن هذا ليس بتعلق وإنما هو إظهار للتعلق. أهـ.

وردَّه العلامة بخيت المطيعي في ((القول المفيد)) قائلاً بأنه "خلاف الحق لأنه يستلزم أزلية الممكن، فإنه لو تعلقت إرادته تعلقا تنجيزيا في الأزل بشيء من الممكنات لكان هذا الشيء أزليا، ولو لم يكن أزليا مع تعلقها به أزلا بالفعل تعلقا تنجيزيا، لزم تخلف المراد عن الإرادة، وهو محال في حقه تعالى، فيتعين ما قلنا فاعرف

والتدبير في حقه تعالى[1] إبرام الأمر على علم بعاقبته، وقد قال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ (السجدة: ٥) وقال عز وجل: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ (يونس: ٣) الآيات، وكلها بصيغة الفعل ولم يَرِد إطلاقُه[2] سنة ولا قرآنا، غير أن من يقول بأخذ الأسماء من الاشتقاق يقول به، ومن قال إنها توقيفية يقول لا، وهو المعول عليه. وكلام المصنف لا يدل لنفيٍ ولا إثبات[3] بمعنى الإسمية.

و«الكائنات» و«الحادثات» بمعنى واحد، وأتى بهما تفننا في العبارة ونفياً لشيئية[4] المعدوم وإشعاراً بعدم تعلقها[5] بواجب لذاته أو مستحيل، والله اعلم.

ثم قال ﷺ: **(فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير، صغير أو كبير، خير أو شر، نفع أو ضر، إيمان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسران، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته)**، يعني بقضاء الله: حكمه الغالب وأمره النافذ، وقدره: تقديره المبرز للأشياء، وحكمه: أمره الجاري بمراده، ومشيئته وإرادته بمعنى واحد، والإيمان التصديق بالله ورسوله وبما جاء عن الله ورسوله، والكفر التكذيب بالله ورسوله أو بما جاء عنهما أو ببعضه، والطاعة اتباع المطلوب شرعاً، والمعصية مخالفة أمر الله الواجب، والزيادة ارتفاع الشيء لما فوقه حسا أو معنى، والنقصان بتر[6] الحقيقة، والفوز الحصول على الفائدة والعائدة، والخسران الحصول على

الحق ولا تقلد في عقيدتك أحدا مهما علا كعبه في العلم والفضل وكن مع البرهان حيث كان ولا تلتفت لغير ما هنا وإن صدر ممن يشار إليه بأطراف البنان، فإن الحق أحق أن يتبع.

(١) زيادة من (أ).

(٢) أي إطلاق لفظ «المدبر» عليه سبحانه.

(٣) (أ): لنفي الإثبات.

(٤) في (ب): لتشبيه، و(أ): لشبيه، ولعلها: لمشيئة، مما أثبتناه يلوح لنا منه الصواب.

(٥) أي الإرادة.

(٦) كذا في (أ)، ساقط من (ب).

الخيبة والنجس[1]، والعرفان بمعنى العلم بل هو أخص منه ولذلك لا يسمى بـه الحـق سبحانه، والنُكْرُ مقابل العرفان، والنفع حصول الفوائد الحالية أو المآلية أو [كلاهمـا][2]، والضر حصول المؤلمات حالية كانت أو مآلية، والخير مـا فيـه منفعـة عاجلـة أو آجلـة، والشر ما فيه مضرة آجلة أو عاجلة، والصغير ما قل جِرْمُه في الحس أو قَدْرُه في المعنـى، والكبير عكسه فيهما، والقليل والكثير معلومان، وكذا جُل ما ذكر هنـا، وإنـما ذكرناهـا استئناسا وتتميما للفائدة.

والمُلْكُ عالمُ الحس والخيال، والملكوت عالم الغيب والمعـاني، وقـد تقـدم الكـلام عليهما، والمقصود من هذه الجملة إسناد الأمور للمشيئة، **(فما شـاء كـان ومـا لم يـشأ لم يكن)**.

قال الإمام الفخر ﷺ: مما يتمسك به في هذا الأصل، إجماع السلف الصالح قبل ظهور أهل الأهواء على كلمات متلقيات[3] غير معدودة من المجملات، وهـو قـولهم مـا شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقد قال تعـالى:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (الإنسان: ٣٠) وقال تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ (الأنعام: ٣٥) وقال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (الأنعام: ١١١) إلى غير ذلك مـن الـدلائل القرآنيـة والحديثيـة التـي لا يـصح العدول عن ظاهرها إلا بأمر خارج عن العقل.

قال الإمام: ولنا في العقل مسلكان: أحدهما البناء على خلق الأفعال، وقد بينـا أن كل خلق فالله باريه وخالقه، ثم يجـب مـن ذلـك أنـه مريـد لكـل حـادث أراد إيقاعـه واختراعه.

---

(١) كذا بالأصول ولعلها: النحس.

(٢) بالأصول: أو هما وأثبتنا لفظ: كلاهما، اجتهاداً.

(٣) في (ب) متلقات وهو تصحيف، وفي (جـ) كلمة متلقاة. وما أثبتناه أقرب للصواب بسياق ما بعده.

الثاني أن نقول: اتفق مثبتو الخالق على تعاليه وتقدسه عن سمات النقص ووصْفِ القصور، ثم اتفق أرباب الألباب على أن نفوذ المشيئة أصدق آيات السلطان [وأجود][1] وأحق دلالات الكمال، ونقيض ذلك دليل نقيضه[2].

قال: فإذا زعمت المعتزلة أن معظم ما يجري من العباد فالرب[3] كاره له وهو واقع على كراهته، فقد قضوا بالقصور، ثم ذكر كلاماً لهم لا حاجة لنا به.

قال المقترَح[4] ويقرب[5] هذا المسلك بما ذكر في دلالة التمانع، فإنه إذا أراد كلُّ واحدٍ منهما مراداً ونفذ مراد أحدهما دون الثاني أدى ذلك لتعجيز من لم تنفذ إرادته. انتهى، وهو واضح فتأمله.

ثم قال ﷺ: **(لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر)** يعني ولا أقل من ذلك، فالناظر إذا التفت فبإرادته، والخاطر إذا فَلَتَ لا يخرج عن مشيئته، وقد قال في

---

(١) زيادة من (أ).

(٢) أي أن عدم نفوذ المشيئة دليل عدم وجود السلطان وعدم حصول الكمال، وهذا دليل على امتناع كون الله تعالى ليس مريداً وخالقاً لأفعال العباد.

(٣) في (جـ): والرب.

(٤) بالبناء للمجهول، لقب غلب على الإمام تقي الدين المظفر بن عبد الله بن علي بن الحسين، لحفظه واشتغاله وشرحه لكتاب (المقترح في المصطلح) للشيخ أبي منصور محمد بن محمد البروي الشافعي المتوفى سنة ٥٦٧ هـ. ولد الشيخ المقترح سنة ٥٢٦ هـ ومات في شعبان سنة ٦١٢. انظر الطالع السعيد ص ٤٢٥ حاشية ٣. وقال في الأعلام: فقيه شافعي مصرى، برع في أصول الدين والخلاف، تفقه في الاسكندرية، وولي التدريس بها في مدرسة السلفي.وتوجه إلى مكة فأشيع أنه توفي وأخذت المدرسة، وعاد فأقام بجامع مصر يُقرئ إلى أن تُوفي... وقال حاجى خليفة:. ومن كتبه شرح الارشاد في أصول الدين وهو جد القاضى ابن دقيق العيد لامه. الأعلام: ٧/ ٢٥٦.

(٥) في (ب): ويقرر.

حكم ابن عطاء الله: «إلى المشيئة يستند كل شيء وليست تستند هي إلى شيء»، وقال أيضاً «سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار»، أي بل تدور معها حيثما دارت.

(بل هو المبدئ) للأشياء كلها **(المعيد)** لها، وتخصيصها أولاً وأخراً بالإبداء والإعادة بإرادته. وقد ظهر تخصيصها بخمسة أوجه: أولها بالوجود بدلاً من العدم جوهراً كانت أو عرضاً، الثاني بمكان دون غيره كالنجوم بالسماء والجبال بالأرض إلى غير ذلك، الثالث بالزمان الخاص به بدلا مما قبله وما بعده، الرابع بالصفات كالذهب بالصفرة بدلا من البياض في الفضة وبالعكس، الخامس: الجوهرية[1] كالفضة والذهب في الخفة والثقل واللين والصلابة وغير ذلك فافهم.

ثم قال ﷺ: **(الفعال لما يريد)**، يعني من غير حَجْرٍ ولا توقف، وقد أشار بهذه الجملة للدلالة المتقدمة في كلام الإمام[2] ونبه على مأخذها من كتاب الله تعالى وهو قوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (البروج: ١٤-١٥-١٦)، وقد مر الكلام عليها أول الكتاب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (هود: ١٠٧).

(لا راد لحكمه) لأنه لو كان لكان على حكمه[3]، **(ولا معقبَ لأمره)**، لأنه لو كان لكان أقوى منه. وقد ثبت أنه لا نظير له ولا ند ولا شريك، وأن تقديره[4] ينفي الإلهية، ونفيها عنه تعالى باطل محال وكفر وضلال، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (الرعد: ٤١).

---

(١) في (ب): الجوهر، والمقصود خواص كل شيء من الأشياء.

(٢) أي الإمام الفخر الرازي ﷺ.

(٣) جملة: «لكان على حكمه» جواب قوله: «لأنه لو كان» أي لو كان رادٌ لحكمه تعالى لكان تعالى تابعاً لحكم من يرد حكم الله تعالى، سبحان الله وتعالى عن ذلك.

(٤) أي تقدير وجود النظير والند والشريك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(ولا مهرب لعبد عن معصية إلا بتوفيقه ورحمته) إذ لو لم يرد [أن][1] يرحمه ما وفقه و[لو][2] لم يوفقه لما هَرَبَ[3].

(ولا قوةَ له على طاعته إلا بمحبته وإرادته)، إذ لو لم يُرِدْها منه ما وفقه إليها، ولو لم يحبه، ما اختصه بها. وقد ذكر الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله معنى المحبة منه تعالى ورَدَّها لإرادة إنعام مخصوص. ثم قال **(وإرادته)** سبحانه وتعالى صفة واحدة، فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة، وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة. انتهى باختصار منه وهو عجيب.

وما ذكره المصنف هو معنى «لا حول ولا قوة إلا بالله» إذ ورد فيه: «لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بإرادة الله»[4]، والكل راجع[5] لإرادته سبحانه **(فلو اجتمع الإنس)** أي بنو آدم من أولهم إلى آخرهم، **(والجن)** أي بنو إبليس كلهم، **(والملائكة)** المخلوقون من النور، المطهرون من العصيان، **(والشياطين)** الجنية والإنسية، أي الموصوفون بعكس ما وُصِفَ به الملائكة من الخيرية، **(على أن يحركوا في العالم ذرةً)** وهي أقل شيء فيه أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته **(لعجزوا عنه)**، أي عن مرادهم من التحريك والتسكين، فلا تتحرك ذرة إلا بإذنه فالكل مفتقرون إليه لثبوت عجزهم كما مر ويرحم الله القائل شعراً

فَوَصْفُ العجزِ عمَّ الكونَ طُرّاً ... فمفتقِرٌ لمفتقِرٍ ينادي

---

(١) ساقط من الأصلين وأثبتناه لتمام المعنى، وقد جاءت العبارة في (ب)، هكذا: إذ لو لم يرحمه...

(٢) زيادة من (جـ) ضرورية.

(٣) في (ب)، (جـ): لما هو له.

(٤) حديث شريف رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٨٣)، بلفظ ((لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله)).

(٥) (ب): واقع

ثم قال ﷺ **(وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته)**، يعني لا يصح نفيها ولا قيامها بغيره، لأن وصفَ الذات على حكمها في القدم وغيره، وما وُصِفتْ به لا يصح أن يكون قائماً بغيره.

ونفت المعتزلة الإرادة، وقال الجبائي منهم بإرادات حادثة غير قائمة بمحل ولا مرادة في أنفسها في تخبيط لهم ولا دليل عليه ولا برهان ولا حجة ولا بيان، والحق أنه تعالى موصوف بالإرادة **(لم يزل كذلك موصوفا بها في أزله مريداً لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها)** بكيفياتها فتتعلق إرادته بالجائزات قبل التخصيص تعلقاً صلاحيا وعنده[1] تعلقا تنجيزياً، **(فَوُجِدَتْ)** الأشياء التي خصصها بالوجود **(في أوقاتها كما أراده في أزله من غير تقدم)** عن زمانها **(ولا تأخر)** عن وقتها الذي خصت به، وكذا من غير زيادة ولا نقص في الكم ولا في الكيف، وتحقق بها انتفاء مقابلها[2]، وليس بشيء[3] قبل وجودها ولا بعده.

(بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير)، أي أن ما علم سبحانه أنه يكون، أراده، وما أراده علم أنه يكون، فلا يتخلف حكم العلم عن حكم الإرادة فيه، كما تقدم في القدرة أيضاً، واختُلِفَ فيما تعلَّق العلمُ بعدم حدوثِهِ من الممكنات كإيمان أبي لهب هل تتعلق به القدرة لإمكانه أو لا لتعلق العلم بعدم وقوعه؟[4]

---

(١) أي عند التخصيص.

(٢) الضمير قد يعود الزيادة ومشتملاتها فيكون المعنى: من غير زيادة يتحقق بها انتفاء مقابلها الذي هو القدر الذي أراده الله ﷻ. وقد يعود الضمير على الإرادة فيكون المعنى: من غير زيادة ولا نقص فتمت الأشياء وفق مراد الله وتحقق بهذا انتفاء مقابل الإرادة وهو انعدام الإرادة. وقد جاءت كلمة «تحقق» مسبوقة بواو العطف في (أ) وغير مسبوق بشيء في (ب).

(٣) (ب): شيء

(٤) قال شيخ الإسلام الباجوري في حاشيته على الجوهرة: والمراد بالممكن ما لا يجب وجوده ولا عدمه لذاته، ولو وجب وجوده أو عدمه لغيره، فالذي تعلق علمه تعالى بوجوده من الممكنات، فهو وإن كان ممكنا في ذاته لكن وجب وجوده لغيره [وهذا الغير هو علم الله تعالى بوقوعه. المحقق]، كإيمان من علم الله إيمانه.

وفي المقنع: لا يجوز أن يقال بأن الله محلٌّ لصفاته، لأن الحلول في اللغة هو السكون، واختلف هل يقال قائمة بذاته وهو مذهب الأكثر، أو إنما يقال موجودة بذاته، لما في لفظ القيام من الاشتراك، وهو قول الشيخ أبي الحسن، والخلاف في الإطلاق إذ ثبوتها للذات الكريمة لازم وبالله التوفيق.

(**دبّرَ الأمورَ لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان**)، لأن الفكر حادث، وعرَضُ الزمان قيدٌ لمن توقف عليه وعلى الفكر فيه والنظر إليه، قال تعالى:﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ (القمر: ٥٠) وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن

والذي تعلق علمه تعالى بعدم وجوده فهو وإن كان ممكنا في ذاته لكن وجب عدم وجوده لغيره، كإيمان من علم الله عدم إيمانه كأبي جهل.

لكن تعلق القدرة بالذي تعلق علم الله بعدم وجوده تعلق صلوحي لا تنجيزي، وإلا لانقلب العلم جهلاً وهو محال، وبذلك يجمع بين القولين، فالقول بأنه من متعلَّقات القدرة محمول على أنه من متعلقاتها باعتبار التعلق الصلوحي، والقول بأنه ليس من متعلقات القدرة محمول على أنه ليس من متعلقاتها باعتبار التعلق التنجيزي، وعُلِم من ذلك أن للقدرة تعلقين: تعلقا صلوحيا قديما وهو صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام فيما لا يزال، وتنجيزيا حادثا وهو الإيجاد والإعدام بها بالفعل، وهذا على سبيل الإجمال. انظر اتحاف المريد ط الكتب العلمية ص ٩٣-٩٤.

وقال الإمام القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ في ((اليواقيت والجواهر)) فإن قلت فما معنى قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (النور: ٤٥) فإنه تعالى أثبت الشيء الذي هو قدير عليه فما بقى لقدرته متعلق؟ فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الموفى تسعين من الفتوحات: المراد بالشيء الذي هو قدير عليه ما تعلق به علمه القديم فتتعلق به القدرة فتوجده في عالم الحس فهو قدير على كل شيء تعلقت به إرادته مما تضمنه علمه القديم، وإيضاح ذلك أن كل من علم استحالات الأعيان في الأعيان وتقلب الخلق في الأطوار علم أن الله على كل شيء قدير لا على ما ليس بشيء من علمه، فإن «لا شيء» لا يقبل الشيئية إذ لو قبلها ما كانت حقيقة «لا شيء»، ولا يخرج معلوم عن حقيقته أبداً فـ«لا شيء» محكوم عليه بأنه «لا شيء» بعده أبداً وما هو «شيء» محكوم عليه بأنه «شيء» أبداً انتهى.

فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٤٠) وقال عز وعلا: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٣) **(فلذلك لم يشغله شأن عن شأن)** أي أمرٌ عن أمرٍ قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩) قيل: يكشفُ كرباً ويغفر ذنباً ويبتلي قوماً ويعافي آخرين[1].

وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ كسليمان، ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ كبلقيس، ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ كآدم، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ (آل عمران: ٢٦) كإبليس. ولما لم يحتج إلى مدد ولا استمداد ولا عدة ولا استعداد لثبوت غناه ونفوذ حكمه لم يصح شغله بشيء عن شيء سبحانه لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

[السمع والبصر]

(السمع والبصر) يعني ذِكْرَ أحكامهما وإثباتهما وتنزيههما ومتعلقاتهما وهما صفتان واجبتان لكماله سبحانه جاء بهما الكتاب والسنة وصح معناهما عقلا وتقدم ما في ردهما للعلم.

قال ﷺ: **(وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى)** يعني كما يليق بذاته الكريمة وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١) وقال تعالى: ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (غافر: ٥٦) وقال تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (طه: ٤٦) قال القشيري ﷺ: فهما صفتان زائدتان على علمه خلافاً لقوم.

قال أبو حامد: لو كان الباري تعالى غير سميع ولا بصير لعكس السؤال على إبراهيم ﷺ: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ (مريم: ٤٢) ولبطل معنى قوله

---

(١) وهذا على سبيل المثال لا الحصر، وإلا فشئونه تعالى لا يحصيها إلا هو.

تعالى:﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ (الأنعام: ٨٣). ودليل الإثبات عقلاً أن الحي لا يخلو عن السمع وضِدِّه، وعن البصر وضده، وضِدُّ السمع والبصر آفتان، والآفات تستحيل على ربنا سبحانه وتعالى.

قال بعضهم: ولو كان سبحانه مئوفاً[١] لوجدنا في العباد من هو أكمل منه، ومهما وقع النقص في حق الرب والكمال في حق العبد فتلك إذاً قسمة ضيزى، وقد قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى: ١١).

(ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خَفِيَ) وبلغ الغاية في الخفاء، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (النمل: ٧٤)، **(ولا يغيب عن رؤيته مرئيٌ وإن دَقَّ)** وبلغ الغاية في الدقة والرقة، قال تعالى:﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (غافر: ١٩)، جاء في التفسير الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيسارقها النظر خوفا من أن **يُطَّلَعَ** عليه. وقيل لبعضهم بمَ يستعين العبد على حفظ بصره؟ قال: بعلمه أن نظر الله تعالى سابق نظره لما ينظر إليه.

(يَرى من غير حدقة وأجفان) لأنها من صفات الحادثات وكيفيات الأجسام وهو متعالٍ عن ذلك، **(ويَسْمَعُ من غير أَصْمِخَةٍ[٢] وآذان)**، لأن الآلة للاستعانة، والجارحة من صفات الأجسام والقلب كذلك، وحاصل ما يدور عليه كلام المصنف أنا نثبت له ما أثبت لنفسه، وننزهه عما لا يليق به في غير ما أثبتناه، ثم نفوض في موضع يتعذر فيه التأويل إجماعاً، ونتأوَّلُ أو نفوض في غيره حسب ما تقدم عند الكلام على الاستواء.

---

(١) أي تجري عليه الآفة – وهي النقص – وتقع به.

(٢) أصمخة جمع صِماخ وهو قناة الأذن التي تفضي إلى طبلته، ويقال: ضرب الله على صماخه: أنامه. المعجم الوسيط ٥٢٢.



وقد قال مالك: الإيمان به واجب، أي لتحققه نقلاً، والسؤال عنه بدعةٌ لأنه من تتبع المشكلات.

وقد ضرب عمر ﷺ صَبِيغاً لأنه كان يتتبع مشكل القرآن ويسأل عنه عمر[1].

وكان السلف ﷺ يقولون في كل ما ورد سمعاً: أَمِرُّوه كما جاء، أي مع إثبات التنزيه ونفي التشبيه، فهو الأصل المرجوع إليه أبداً، وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ (**إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق**) يعني أنَّ ما قاله من التنزيه في الصفات لازمٌ عن تنزيه الذات، فكما أن الذات الكريمة لا نقصَ ولا حدوثَ ولا تشبيه ولا تعطيل، كذلك الصفات المقدسة، ومدار ذلك كله على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١) فدلت الآية على تنزيه الصفات العُلَى بتنزيه الذات العلية. وقد مر من الكلام ما فيه كفاية وبالله التوفيق.

---

(١) روى الدارمي في سننه (١٥٠) قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنِى اللَّيْثُ أَخْبَرَنِى ابْنُ عَجْلاَنَ عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ : أَنَّ صَبِيغاً الْعِرَاقِىَّ جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ فِى أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَدِمَ مِصْرَ ، فَبَعَثَ بِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالْكِتَابِ فَقَرَأَهُ فَقَالَ : أَيْنَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: فِى الرَّحْلِ. قَالَ عُمَرُ : أَبْصِرْ أَيَكُونُ ذَهَبَ فَتُصِيبَكَ مِنِّى بِهِ الْعُقُوبَةُ الْمُوجِعَةُ. فَأَتَاهُ بِهِ فَقَالَ عُمَرُ: تَسْأَلُ مُحْدَثَةً. فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى رَطَائِبَ مِنْ جَرِيدٍ فَضَرَبَهُ بِهَا حَتَّى تَرَكَ ظَهْرَهُ دَبِرَةً، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، ثُمَّ عَادَ لَهُ ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ ، فَدَعَا بِهِ لِيَعُودَ لَهُ، قَالَ فَقَالَ صَبِيغٌ : إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِى فَاقْتُلْنِى قَتْلاً جَمِيلاً، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُدَاوِيَنِى فَقَدْ وَاللَّهِ بَرَأْتُ. فَأَذِنَ لَهُ إِلَى أَرْضِهِ وَكَتَبَ إِلَى أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ : أَنْ لاَ يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّجُلِ ، فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ : أَنْ قَدْ حَسُنَتْ هَيْئَتُهُ. فَكَتَبَ عُمَرُ أَنِ ائْذَنْ لِلنَّاسِ بِمُجَالَسَتِهِ.

وروى عبد الرزاق في المصنف (٢٠٩٠٧) قال: قال : خرجت الحرورية ، فقيل لصبيغ : إنه قد خرج قوم يقولون كذا وكذا ، قال : هيهات قد نفعني الله بموعظة الرجل الصالح ، قال وكان عمر ضربه حتى سالت الدماء على رجليه – أو قال : على عقبيه.

[الكلام]

(الكلام) يعني إثباته وتنزيهه وما يتعلق بذلك والكلام فيه، وهو أصل تسمية هذا الفن بعلم الكلام[1]، وقد قال شيخنا أبو زيد عبد الرحمن المجدولي المعروف بالتونسي أحد المتصدرين بجامع قزوين من مدينة فاس في علم الأصول في عصره وعنه أخذ أكثر أهلها في وقته: سمعت شيخنا أبا عبد الله الأبي ﷺ يقول: أكثر ضلالات المعتزلة أو عمدتها في ثلاث: الكلام والكسب والرؤية، قلت: فبحسب هذا فيتعين على المبتدئ أن يفر من التوسع في الكلام في هذه الثلاث خوفَ الزلل، وذلك بعد إثبات ما يجب فيها بوجه واضح، وذلك ما اقتصر عليه المصنف ﷺ فقال: **(وأنه تعالى متكلم آمِرٌ ناهٍ واعدٌ متوعِدٌ)**، يعني كما يليق بجلاله.

والدليل على ثبوت الكلام أن الحي لا يمنعه من الكلام إلا الآفة، والآفة مستحيلة عليه سبحانه، لاستحالة النقص في وصفه.

وقالت طائفة من العلماء: كُلُّ عالِمٍ هو يخبِرُ عن معلومِهِ كما عَلِمَه، والباري تعالى عالم بالمعلومات على حقائقها، فثبتَ أن له خبراً وهو كلامه، ويتعلق الأمر بالمعدوم تعلقاً معنوياً[2].

واختلف في الكلام في الأزل، هل يسمى خطاباً وهل يتنوع أم لا[3]؟ وقد ورد القرآن بالأمر والنهي والوعد والوعيد، فثبوت الكلام مما ثبتَ به القرآن، وللناس خبط

---

(١) أي أن الكلام في صفة الكلام الثابتة لله تعالى وما يتعلق بها من كون القرآن كلام الله القديم هو أصل تسمية علم التوحيد بعلم الكلام.

(٢) يتعلق الأمر بالمعدوم تعلقاً صلوحياً قديماً.

(٣) قال في تحفة المريد: وكلامه تعالى صفة واحدة لا تعدد فيها، لكن لها أقسام اعتبارية، فمن حيث تعلقه بطلب فعل الصلاة مثلاً: أمر، ومن حيث تعلقه بأن الطائع له الجنة: وعد، ومن حيث تعلقه بأن العاصي يدخل النار: وعيد، إلى غير ذلك. ص ٨٣

عظيم الحق منه الإثبات والتنزيه[1] ونتمسك به وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ (**بكلام قديم أزلي قائم بذاتِه**)، يعني ولا يصحُ قيامه بغيره كما مر في جميع صفاته، ولا حدوثه ولا حلوله في الغير ولا غير ذلك.

(**لا يشبه كلام الخلق**) لا في وجوده ولا في صفته، (**فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام**)، لأن الكلَّ حادثٌ، وما لا يعَرَى عن الحوادث يلزم حدوثُه فَبَطُلَ التشبيهُ في الكلام كغيره من صفاته تعالى، ومعنى انسلال الهواء إندفاعُه برفق من وراء حجاب النفسِ، والاصطكاكُ قربُ أحد الجِرْمَيْنِ إلى الآخر كاللسان مع اللهاة، والأجرامُ هي الذوات القائمة والأجسام المركبة جماد أو غيره.

(**ولا بحرف ينقطع بإطباق شَفَةٍ أو تحريك لسان**)، لأن الحروفَ متوقِفَةٌ على ذلك وهو يُلْزِمُهُ الحدوثَ، فلا يصِحُ وصفُ كلامِ الربَّ سبحانه بها، ولأن الحروفَ يسبِقُ بعضُها بعضاً وذلك دليلُ حدوثِها وربنا منزهٌ عن سمات الحدوث.

ثم قال ﷺ (**وأن القرآنَ والتوراةَ والزبورَ والإنجيلَ كتبُهُ المنزلةُ على رسله عليهم السلامُ**) يعني الذين جاوءا بها، فالقرآن لنبينا ﷺ وهو معجزته العظمى وآيته الكبرى لا يَخْلُقُ على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه[2]، وقد تولى تعالى حفظه من التبديل والتغيير، وغيره من الكتب حرفها الأحبار والرهبان، قال مجاهد: بالتأويل[3]، وإلا فلا يقدِرُ أحد أن يبدل من كلام الله حرفا، كذا ذكره البخاري.

---

(١) أي إثبات الكلام صفة للحق تعالى وتنزيه كلامه عن الحوادث من صوت وحرف والحدوث دفعة دفعة في الزمن وخلاف ذلك.

(٢) من لفظ الحديث الشريف رواه الترمذي (٢٨٣١)، وعبد الرازق في مصنفه (٦٠١٧)، والحاكم (١٩٩٨)، والبيهقي في الشعب (١٨٨١)، والدارمي (٣٣٧٨).

(٣) أي أن الرهبان والأحبار حرفوا هذه الكتب الإلهية بتأويلها التأويل المذموم الذي أخرج معناها عن مراد الحق بالكلية وبها يشيع العقائد الفاسدة المنحرفة. أما تأويل أهل السنة فليس من جنس هذا التأويل وليس بين تأويلنا وتأويل هؤلاء إلا الاشتراك في اللفظ.

والتوراة لموسى ﷺ والزبور لداود عليه الصلاة والسلام، والإنجيل كتاب عيسى صلوات الله وسلامه عليه، وقد نص القرآن على صحف موسى وألواحه، وصحف إبراهيم صلوات عليهم. وجاء في الخبر «أن الله تعالى أنزل مائة كتاب وأربعة كتب»[1] الحديث، وفي إسناده مقال، والمتواتر ما ذكر وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ **(وأن القرآن مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب)**، يعني باعتبار حقيقته ومعناه ومدلوله، وقد قال المقترَح في شرح الإرشاد: وذكر الإمامُ أن الأمة أطلقت أن كلام الله مكتوب في المصاحف، مقروء بالألسن، محفوظ في الصدور، مسموع منزل، قال: وأن الأمة مهما أطلقت شيئاً فإطلاقه متعين، ولكن لابد من حمل ذلك على محمل صحيح لا تأباه العقول، فكونه مقروءاً مكتوباً بمعنى دلالة الكتابة والقراءة عليه، ومعنى كونِهِ محفوظا في الصدور إشارة إلى تعلق العلم به، ولابد من نفي الحلول في ذلك وكونه مسموعاً يحتمل إسماع ما دل عليه من العبارات ويحتمل أن يسمى المفهوم من اللفظ مسموعاً لذلك، فيكون المراد بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: ٦) أي ما دل عليه.

(وهو) أي القرآن مع ذلك، أي مع كونه مقروءا مكتوبا محفوظاً، **(قديمٌ)**، لأنه صفة القديم فلا يصح حدوثه، **(قائمٌ بذات الله تعالى)**، كقيام سائر الصفات بها ولا يلزم من ذلك قِدَمُ التلاوةِ ونحوها، فيرحم الله تعالى الضرير حيث يقول شعرا

قــراءةُ الخَلْــقِ صــفاتٌ لَهُــمْ	فواجِــبٌ حُــدوثُها مِــثْلُهم
وقولُــه المقــروء مــن صــفاتِهِ	(فواجِــبٌ) قِدَمُــهُ كذاتِــهِ
وهــو الــذي سَــمِعَهُ الكلــيم	(وهُــو) كــلامُ ربِّنــا القــديمْ

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٦٢)، من حديث طويل من حديث سيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه وأرضاه. وهو عند البيهقي في السنن الكبرى (جـ٩ ص ١٨٨) وفي شعب الإيمان (٢٢٨٠) من كلام الحسن البصري ﷺ.

(**ولا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق**)، بل هو باق على حكمه من القدم في ذلك قال المقترَح: ومعنى كونِهِ مُنَزَّلاً، أي أنه نَزَلَ به المَلَكُ، وليس المعنى في نزول الملك أنه انتقل بانتقاله، لأنه محال، فإن الانتقال على المعاني كلها قديمها وحديثها محال، فلابد من إزالة هذا المَحْمَل المُحال، وإن تعينَ احتمالٌ حُمِلَ عليه، وإلا وَكَّلْنا ذلك إلى الله تعالى على ما تقدم.

قال: وشاهد هذه الإطلاقات المشار إليها ورود النص بها، نحوَ قولِه تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ (العنكبوت: ٤٩)، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٦)، وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ (الشعراء: ١٩٣) ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ (الدخان: ٣) وقوله ﷺ: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو»[1]، وورد أيضا منع الجنب من قراءة القرآن[2]. انتهى.

ولم يتعرض السلف للتلاوة والمتلو[3]، ولم يُعلَمْ لمالكٍ ﷺ ولا لمن قبله من التابعين شيءٌ في ذلك. ومَنَعَ الإمام أحمد الإطلاقَ بحدوث التلاوة حسماً للذريعة، وفَصَّلَ البخاري فقال بحدوث لفظ القارئ وهو التحقيق.

وقال في الحجاجية:

من قال إن هذه التلاوة قديمة فهو ذو غباوة [قديمة][4]

---

(١) اللفظ في مسلم وغيره «لا تسافروا بالقرآن فإني لا آمن أن يناله العدو» (٣٤٧٦)، ورواه أحمد في المسند بنحوه (٤٢٧٨)، وهو عند البيهقي في الشعب بلفظ الشارح (٢٥٥٠).

(٢) ومنه ما رواه الترمذي (١٢١) عنه ﷺ أنه قال: «لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن»، ورواه ابن ماجة بنحوه (٥٨٨). وروى أحمد في المسند عنه ﷺ قال: «أما الجنب فلا ولا آية» (٨٣٠).

(٣) أي للفارق بينهما من حيث إن تلاوة البشر للقرآن حادثة بينما المتلو وهو القرآن من حيث قيامه بالذات الإلهية قديم.

(٤) سقط من (ب) وفي (أ) أتت كلمة «قديمة» في أول الشطر الثاني.

لأنهـــا تبـــدأ ثـــم تُخـــتم	وذاك فيهـــا للحـــدوث عُلِـــم
ذا وهـــي حـــروف مـــا لهـــا بقـــاء	يعمهـــا الحـــدوث والفنـــاء
فيحـدث الحـرف [عقـب الحـرف][1]	كـــسائر الأعـــراض في الوصـــفِ
مـــن قـــال إن الـــصفة القديمـــة	تحلـــه فقـــد أتـــى عظيمـــة
لأنـــــه يُلزمـــــه[2] الإلحـــــاد	قـــولَ النـــصارى وهـــو الاتحـــاد
وقـــدم العـــالم والحلـــول	وشرح ذاك هنـــا يطـــول

قال الشيخ أبو علي ناصر الدين المشذالي[3] ﵀ إطلاق القول بأن القرآن مخلـوق محرمٌ بخلاف من قال لفظي بالقرآن مخلوق، فإنه لا بأس به. وقد قال بعـضهم إن جملـة ما يُعتقد في القرآن دائـر عـلى قولـه تعـالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الـشعراء: ١٩٢-١٩٣-١٩٤-١٩٥) فمن اعتقد ذلك ولم يعرج على غيره كفاه وسَلِمَ من الزيغ والاشتباه، وبـالله التوفيق.

ثم قال ﵁ **(وأن موسـى ﵇ سـمع كـلام الله بغـير صـوت ولا حـرف)**، يعنـي وبذلك عَرَفَ أنه كلامه، إذ لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، فلا يصح قولُ من قال: خَلَقَ فيه علماً ضرورياً عَلَّمَه به، لعدم الاشتباه فيه ولا إشكال إلا مع الاشتباه.

---

(١) سقط من (ب).

(٢) (أ): يكرهه.

(٣) أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوي المشذالي: الإمام الفذ الأوحـد العـالم المتقـن الحاف المجتهد الشيخ الفاضل من أهلا لشورى والفتوى في العلوم والنوازل. رحل صغيراً مع أبيـه للـشرق وأقام في رحلته نحواً من عشرين عاماً ولقي الأفاضل وأخذ عنهم منهم العز بن عبد السلام لازمه وانتفع به والشرف المرسي وروى عن ابن الحاجب وهو أول من أدخل مختصر شيخه المـذكور الفرعـي ببجايـة ومنهـا انتشر بسائر بلاد المغرب وعنه أخذ جماعة منهم أبو منصور الزواوي وابن مرزوق الجد وابن المسفر وأبو علي البجائي، وأبو العباس البجائي له شرح على الرسالة لم يكمـل. مولـده سـنة ٦٣١هــ وتـوفي سـنة ٧٣١هـ [١٣٣٠م] ومشذالة قبيلة من زواوة. شجرة النور الزكية ص٣١٢ ط الكتب العلمية.

وقد قال بعض العلماء اتفق أهل الحق أنه [سبحانه وتعالى][1] خلق في موسى ﷺ معنى[2] أدرك به كلامه بلا واسطة، وبه اختُصَّ سماعُه له، وأنه قادر على مثل ذلك في خلقه، لكنه يختص من يشاء منهم بما يشاء عنايةً وإكراماً وقد دل القاطع السمعي[3] على تشريف موسى ﷺ بالتكليم، فبطل قولُ المعتزلة إن المسموعَ غَيْرُ كلامه تعالى وإن إضافته له من جهة الخلق والاختراع، إذ لا مزية في ذلك، ولو صح إضافة الكلام لخالقه بمعنى أنه المتكلم، لصح إضافة الحركة لخالقها بأنه المتحرك، وذلك باطل.

قال علماؤنا: وأكد الله الخبر بالمصدر، فقال (**تكليماً**) ليرتفع المجاز عند السامع، فلا وجه للعدول[4].

[في رؤية المؤمنين له تعالى في الآخرة]

ثُمَّ سماعُ كلامه تعالى إنما هو بما يُسمعُ به الكلام، كما أن الرؤية بما يتم به الإبصار من غير كيف ولا حد ولا مقابلة فيها، ولهذا أشار المصنف رحمه الله تعالى ورضي عنه (**كما يرى الأبرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عَرَض**)، يعني فكما يُرى بلا كيف، كذلك يجوز أن يُسْمَعَ كلامُهُ بلا كيف، لأن الرؤية جائزةٌ عقلا، ثابتة شرعا في الدار الآخرة بالوعد الكريم، قال الله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣). وقال عليه الصلاة والسلام «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» الحديث وتقدم الكلام عليه[5].

---

(١) زيادة من (أ).

(٢) أي خاصية أو وصفاً

(٣) أي الدليل النقلي المسموع القاطع الذي أتى به الشرع، وليس الدليل العقلي المستنبط من قبل البشر.

(٤) أي فلا وجه للعدول عن الحقيقة إلى المجاز.

(٥) صفحة ٤٩ من هذا الكتاب

ودليل الجواز العقلي أن الموجودات تُرى، وهي مختلفة، واختلافها يرجع إلى أحوالها، والأحوال لا ترى، وذلك أن الأحوال لو أُدْرِكتْ للزم التسلسل.(١)

فكل(٢) موجود يجوز أن يُرى لوجوده، والباري تعالى موجود فجائز أن يرى، وإذا تقابل الجائزان(٣) فلابد من مخصِصٍ للوقوع، ووجدنا الشرع قد خصص أحدَهما بالوقوع في الآخرة وعدمه في الدنيا.

وقوله تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (الأنعام: ١٠٣) قيل: لا تحيط به، وقيل: أبصار الكفار، وقيل: في هذه الدار. قالوا: ومن الحكمة في أنه لا يرى في الدنيا أنه لو رآه الطائع لقال العاصي لو رأيته لعبدته ولو رآه العاصي لكان أفضل حالاً من المطيع، ولو رأياه معا لبطل سر التخصيص وكمال العبودية بالمعاينة.

---

(١) قوله: واختلافها يرجع إلى أحوالها أي إلى وجودها، إذ الوجود عند الشارح وعند السنوسي – كما هو عند القاضي الباقلاني وإمام الحرمين كذلك – غير الموجود، وهو حال والحال هو الواسطة بين الوجود والعدم، وهذا الوجود – لأنه حال والحال لا يرى لأنه ليس موجوداً في الخارج بحيث يمكن رؤيته – نفسه لا يرى، إذ لو رُئِي الوجود لصار ثابتاً في الخارج ولاكتسب حالاً تسمى بالوجود ومكان هذا الوجود الأخير كذلك متصفاً بحال تسمى الوجود وهكذا لأنه لا يصح التفرقة بين المتماثلين ولأن الوجود الأول لو كان مرئياً والآخر غير مرئي لكان هذا ترجيحاً بغير مرجح فيلزم من هذا التسلسل إلى ما لا نهاية وهو بال وما يتسلسل لم يتحصل. وانظر حاشية السباعي ص١٢٥ عند تعليقه على قول الإمام الدردير «ويقال أيضاً هي الحال إلخ» ثم عند تعليقه مرة أخرى في نفس الصفحة على قول العارف الدردير «هي الحال». وانظره مرة أخرى ص ١٢٧ عند تعليقه على قول نفس العارف «فيكون صفة زائدة إلخ» حيث قال: فعليه فالوجود مشترك اشتراكاً لفظياً كلفظ العين ونحوها من المشتركات اللفظية فعنده أي عند من يقول إنه صفة زائدة ليس هناك وجود مطلقاً مشتركاً ووجود خاص هو فرد له، بل ليس هناك إلا حقائق مختلفة يطلق على كل واحدة منها لفظ الوجود مشتركاً لفظياً.

(٢) في (ب): لكل.

(٣) الجائزان هنا رؤيته تعالى وعدم رؤيته تعالى، فهما جائزان في حقه تعالى، وقد خصصت الرؤية بالوقوع في الآخرة، فحدوث الرؤية توقف على هذا التخصيص بالآخرة وهو معنى قوله بعده: فلا بد من مخصص للوقوع.

وما قاله عز الدين من أن الملائكة لا تراه لم نقف على دليل محرر فيه، فالصواب الوقف، وبالله التوفيق.

تنبيه: قول من قال في علة ذلك إنه لا يُرى الباقي بالفاني يلزم عليه نفي سماع الكلام لاشتراك السمع والبصر في الحكم، فلا يصح كونه علة[1] وقد يستأنس به في السياق، وفيه نظر[2].

ثم قال ﷺ **(فإذا كانت له هذه الصفات)** يعني الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام كما يليق به **(كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما)**[3]، هذا مذهب أهل الحق وعصابة أهل السنة، وقد مَرَّ براهينها مع تفاصيلها،

---

(١) قوله: فلا يصح كونه علة أي كون رؤية الفاني للباقي غير ممكنة على زعم من قاله.

(٢) قوله: قد يستأنس... نظر، أي قد يساق الكلام المقصود وهو نفي الرؤية بزعم عدم إدراك الفاني للباقي ولكن فيه نظراً لأنه منقوض بما وقع من سماع سيدنا موسى ﷺ للحق تبارك وتعالى.

(٣) إشارةٌ من المصنف إلى الصفات المعنوية التي ذكرها في أوائل الكلام على صفاته تعالى ص ١٧ من هذا الكتاب. وقد بسَّط السيد محمد بن أحمد بن عمر الشاطري أمر الصفات المعنوية على وجه حسن فقال في كتابه ((دروس التوحيد)): الصفات المعنوية هي الصفات السبع الأخيرة من الصفات العشرين وسميت بالمعنوية نسبة إلى المعاني لملازمتها لها.

وهي على هذا القول صفات لا موجودة ولا معدومة بل إذا وجدت صفة من صفات المعاني وجدت معها صفة من صفات المعنوية فمتى وجدت القدرة وجدت بسببها صفة تسمى الكون قادراً ومتى وجدت الإرادة وجدت صفة تسمى الكون مريداً.

أما عن القول بنفيها: فهي عبارة عن قيام صفات المعاني بالذات ولا تزيد شيئاً ما على الذات فكونه قادراً نفس قيام القدرة بالذات وكونه مريداً كذلك وهكذا فالأول لا يكتفي بالمعاني عنها والثاني يقول: إنها تقوم مقامها فلا حاجة إلى عدها وذكرها إنما هو مجرد اعتبار وهو الحق.

ونبني هذا الخلاف على تقسيم الأشياء:

فأما صفات هذه المعاني، وهو أنه متصف (بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام) على أنها معان قائمةٌ بذاته يُتعقل أنها زائدة عليها[1] من غير مباينة[2] فهذا مذهب أهل السنة، خلافاً للمعتزلة الذين يثبتون الصفات المتقدمة وينفون أنها معان زائدة، ولهم أشار بقوله (لا بمجرد الذات) وقد برهنوا على ذلك بالعلم[3]، فقد عُرِفَ أن كونَ العالِم عالِماً مُعَلَّلٌ بالعلم فيقال عالم بعلم، قال الله تعالى:﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ (النساء: ١٦٦) وقال عز وجل:﴿ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات: ٥٨) وإثبات ذلك في وجهٍ لازمٌ فيما هو على حكمه[4].

فمن قسمها على أربعة أقسام:

١- موجودات وهي: ما له ثبوت ووجود بحيث تمكن مشاهدته كذات ربنا لو كشف الحجاب عنها.

٢- ومعدومات وهي: ما ليس له وجود أصلاً كالشريك لله.

٣- وأحوال وهي: الواسطة بين الموجود والمعدوم كالصفات المعنوية إذا قلنا بثبوتها.

٤- واعتبارات وهي: ما له شيء من الثبوت إلا أنه دون الأحوال كبحر من زئبق وكقيان السواد أو البياض يزيد.

ومن قسمها إلى هذه الأربعة أثبت المعنوية وجعلها من قبيل الأحوال.

ومن قسمها إلى ثلاثة أقسام فقط: موجودات ومعدومات واعتبارات نفي زيادة الصفات المعنوية، وجعلها من قبيل الاعتبارات واستغنى بالمعاني عنها وقال: لا شيء يسمى الحال بل الحال محال، وهذا هو المعتمد. ط دار الأصول ص٥٠-٥١

(١) أي زائدة على الذات المقدسة.

(٢) أي بلا أن تكون الصفات غير الذات، فمذهب أهل السنة ﷺ أن صفاته تعالى ليست عين ذاته وليست غير ذاته، فانتفاء العينية بما لا يبطل الصفات وانتفاء الغيرية بما لا يبطل تعلقها بالذات.

(٣) (ب): فالحكم.

(٤) أي إذا ثبت ذلك في أحد وجوه الكلام لزم ثبوته فيما يشاكله في الحُكم من كلام.

وأما الحقيقية[1] فمهما ثبتت حقيقة في مُحَقَّقٍ وجب طردُها[2] شاهداً أو غائباً[3]. وقد تقدم أن العالِـم من قام به العلم، إذ لو لم يقم به لما كان بإيجاب الحكم [لـه][4] أولى من إيجابه لغيره.

وقالت المعتزلة: بالذات[5]. والرد عليهم: قال في الحجاجية[6] شعرا:

لـو علـم الأشـياء بالـذات عـلى	مـا ركبـوه بدعـةً وزلـلا
لجـازَ أن يَعلَـمَ بـالكلامْ	وبـالإرادةِ وبالأجـسامْ
وذاكَ لانتفـاءِ حـالِ العلـم	عـن الجميـع فانتفـت في الحُكْـم

تنبيه: قد أَصَّلَ الشيوخ في هذا الباب طَرْدَ الشاهدِ غائبا في الإثبات والنفي، فقال بعض المحققين لا يصح ذلك إلا بشروط أربعة عقلية: الشرط والدليل والعلة والحقيقة، إذ ليس المعوَّل[7] في إثبات الحقائق على معقول الشاهد، ولو قيل بذلك لبطل التوحيد ولزم التعطيل فاعرف ذلك وتأمله وبالله التوفيق.

---

(١) أي كون الصفة ثابتة لله تعالى حقيقة لا مجازاً.

(٢) أي اطرادها وتكرارها

(٣) والمعنى في العبارة أنه متى ثبتت حقيقة أو وصفٌ فيمن تقوم به هذه الحقيقة توجب ثبوتها في غيره ممن تقوم به هذه الحقيقة، فإذا قلنا العالِـم من البشر من قام به العلم، وجب أن يكون الأمر هكذا في كل الموجودات التي توصف بالعلم، وهي تشمل ذاته تبارك وتعالى. وقوله: «الشاهد» أي ما هو مدرك بالحواس كالإنسان الذي يقوم به العلم ، و«الغائب» هو ما لا يدرك بالحواس، وأَخَصُّ ما يقصد به ربنا سبحانه وتعالى وتبارك وعز وجل. ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الصافات: ١٨٠-١٨١-١٨٢).

(٤) سقط من (ب)

(٥) أي أن الله تعالى عالم بذاته لا بصفة زائدة على ذاته هي العلم. وقد سبق أن أهل السنة يثبتون الصفات لا على معنى أنها غير الذات غيريةَ مباينة واستقلال، ولا هي عينُ الذات عينيةَ مطابقة وانتفاء وجود، فالصفات موجودة في الخارج لا في الاعتبار فحسب.

(٦) في (أ): الحاجبية.

(٧) (أ) المعقول.

[توحيد الأفعال]

(الأفعال): يعني ذكر ما يتعلق بها من نفي وإثبات وتنزيه.

قال ﷺ **(وأنه لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله)**، يعني لأنه الواجب الوجود لذاته، وغيره جائز الوجود بأصله، وحيث وجد فبإيجاده لا على وجه الاضطرار والإلجاء، بل على وجه الاختيار والعدل، إذ لو لم يوجِده، ما وُجِدَ، ولا يجب عليه إيجادُه، تعالى ربُّنا وجل.

وقد مَرَّ أن العالَـمَ جائزٌ وجودُه وجائزٌ عَدَمُه، وأنه بذلك مفتقرٌ للفاعل، فإن قال المخالف: بعضُ العالَـم فَعَلَ بعضَه، فنقول له: البعضُ الأولُ مَنْ فَعَلَه وصيَّره موجوداً حتى يكونَ فاعلاً للبعض الآخر؟ وأيضاً فإنه ليس أحد البعضين بأولى من الأخر بأن يفعله. وأيضاً فإن قال بالعلة وقال بقدمها لزمه قدم العالم وهو باطل، لثبوت حدوثه بدليل جوازه وإن قال: حادثة، لَزِم أن تفتقر إلى مُحْدِث ثَمَّ كذلك، فباطل أنَّ فاعل العالم علة أو طبيعة، لأن العلة والطبيعة من العالَم أيضا، وكذا القول في النجوم مع زيادة ما يعتريها من الألوان والمقادير والطلوع والغروبِ المشارِ إليه في البرهان الإبراهيمي حيث قال صلوات الله عليه وسلامه ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ (الأنعام: ٧٦).

قال بعض العارفين في وصف النجوم: لو دبَّرت أنفسها لم تغب، ولطلعَ الناقص منها كالكامل، فيجب أن يعتقد أن الحوادثَ لا يفعلُ بعضُها في بعضٍ شيئاً ولا يتولد شيءٌ[1] عن شيء.

وقد ورد الحديث بنفي العدوى[2] وبرهانه وغير ذلك فانظره وبالله التوفيق.

---

(١) في (ب): ولا يولد شيئاً، وهو تصحيف.

(٢) في (ب): العدا. والحديث مشهور وهو في البخاري بعدة روايات منها حديث سيدنا أنس ﷺ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ» (٥٣١٥).

[في بيان معنى «ليس في الإمكان أبدع مما كان» المنسوب للإمام الغزالي]

ثم قال ﷺ (على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها) يعني أن كل ما برز من القدرة وتخصيص الإرادة وأُتْقِنَ بالعلم الإلهي لا يصح أن يكون ناقصا في وجوده، لكمال الأوصاف التي وجد عنها، وهو أثرٌ من آثارها، إذ يلزم من وصفه بالنقص من حيث ذلك نقص الأوصاف المنسوب إليها بقصورها أو تقصيرها، ثم التقبيح والتحسين العقلي في محله والعادي في محله، والشرعي في محله، لا ينافي ما ذكر لأنه بحسب وضع الحكمة وظهور النِسَبِ بالنسبة إلينا، وعلى ما ذكر هنا يتخرج ما نسب إليه من قوله «ليس في الإمكان أبدع مما كان»، يريد أن كل ما كان ويكون إلى الأبد متى حصل في خبر[2] كان فلا أبدع منه، لأن العلم أتقنه ولا نقص في إتقانه، والإرادة[3] خصصته ولا نقص في تخصيصها، والقدرة أبرزته ولا نقص في إبرازها، فبروزه على أبدع الوجوه وأكملها، وبحسب هذا فلا تفاوت بالنسبة لباريه ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ (الملك: ٣) والتفصيل لحكمة من الله سبحانه. على هذا تُفْهَمُ هذه الكَلِمة[4]، وإن لم تُفهم عليه لزم القول بقصور القدرة وما معها من الأوصاف وذلك باطل لا يقوله أحمق فضلاً عن عاقل، وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ (وأنه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته) يعني أن كل ما صدر من أفعاله سبحانه فإنما يصدر بحكمة لا عبثاً ولا لعلة يلزم من وجودها وجوده، إذ يتعالى

---

(١) في (ب): العدا. والحديث مشهور وهو في البخاري بعدة روايات منها حديث سيدنا أنس ﷺ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ» (٥٣١٥).

(٢) في (ب): خير، و(أ): حيز، كلاهما تصحيف وما أثبتناه أقرب للصواب.

(٣) في (ب): الإرادة منه.

(٤) في (ب): إبداع، تصحيف.

ثم أقضيتهُ كلُّها عَدْلٌ وإن كانت ما كانت، إذ لا يليق به الظلم لكمال وصفه، بل هو محال عليه كما قال.

(ولا يُقاسُ عدلُه بعدل العباد)، لا في حكمه ولا [في][1] وجهه، **(إذ العبد يُتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره)**، فهو وإن عَدَلَ قابلٌ للظلم، والربُّ تعالى مستحيل عليه الظلم، لأن الظلمَ التصرفُ في مُلْكِ الغيرِ بغير حقٍ، **(والله لا يُصادِفُ لغيره مُلْكاً)** لأنَّ المُلكَ مِنْه وإليه، فهو لا يتصرفُ إلا في ملكه أبداً وليس لغيره معه مُلْكٌ **(حتى يكون تَصَرُّفُه فيه ظُلْماً)** وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٤٩) وقال [سبحانه][2] تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾ (يونس: ٤٤) وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٠).

ثم قال ﷺ **(فكل ما سواه)** سبحانه وتعالى **(من إنس)**، أي آدمي يؤنس أي يُرَى.

(وجن)، أي روحاني ناري مستتر عن العيون،

(وشيطانٍ) من الجن والإنس أي ذي شر لازم لهم،

(ومَلَكٍ)، أي روحاني نوراني محفوف بالعصمة،

(وسماء)، أي مرتفع علوي،

(وأرض)، أي منخفض سفلي والمتعارَف فيها لا يحتاج إلى بيان،

(وحيوان)، أي ما فيه النماء والحس والحركة،

---

(١) زيادة من (أ).

(٢) زيادة من (أ).

(ونبات)، أي ما فيه نماء دون حس ولا حركة،

(وجوهر) وهو ما أشغل فراغاً من مركب وهو الجسم، أو بسيط وهو الجوهر الفرد،

(وعَرَضٍ) وهو المعنى القائم بالجوهر من حركة وسكون ونحوهما،

(ومُدْرَكٍ) بالعقل أو بأحد الحواس الخمس،

(ومحسوس) ما يدرك بالحواس الخمس: الذوق والشم واللمس والسمع والبصر، كل ذلك حادث، لتغيره وتحقق جوازه.

(اخترعه)، أي أوجده، بلا مُعين ولا مثالٍ سابق، **(بعد العدم)**، أي بعد أن كان عدماً، لأنه إما جَوْهَرٌ أو عَرَضٌ، فالعرض طارئٌ بعد أن لم يكن ومعدوم بعد أن طرأ، والجوهر قابل للتأليف والتركيب والتحليل وذلك دليل سبقية العدم.

وقد مر حصر العالم في الجوهر والعرض وحدوثهما أول الكتاب، فانظره.

وقوله **(اختراعاً)** تأكيد لإثبات الاختراع، وأنشأه، أي ابتدأ وجوده وتركيبه وكمله إنشاءً تأكيدٌ أيضاً ولعله قصده لرفع المجاز(١)، وأشار بها ذكره لاسمه سبحانه وتعالى الفاطر والبديع، فانظر بيان ذلك.

ثم ذكر برهان ذلك فقال ﷺ **(إذْ كَانَ مَوجوداً وحده ولم يكنْ مَعَه غيره)**، يعني لقوله ﷺ: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان»(٢) أي لا شيء معه أبداً كما لا شيءَ معه أزلاً، وأشار بها ذكر لنفي قِدَم العالم.

---

(١) أي لرفع احتمال المجاز في قول الماتن: أنشأه.. إنشاءً.

(٢) زيادة ((وهو الآن على ما عليه كان)) ليست من الحديث بل هي معنى لبعض السادة الصوفية على ظنهم أن كان تفيد الزمان ، أي الكون في الماضي فتمموها بهذا القول، والمعنى فيه كالمعنى في مثل قوله تعالى:

وقد مر البرهان في حدوثِهِ ولو كان معه شيء في أزلـه، لكـان حُكْمُـه كحكمِـه[1] وذلك يؤدي إلى القول بإلهين، وهو باطل لدلالة التمانع، وقد مر ذكرها فانظره.

ثم قال ﷺ (**فأحدث الخلق بعد العدم إظهاراً لقدرته وتحقيقا لما سبق مـن إرادتـه ولِمَا حقَّ في الأزلِ من كلمتِهِ، لا لافتقاره إليه وحاجته**)، يعني لأنه الغني عـلى الإطـلاق الذي لا يجوز عليه الاحتياج ولا الافتقار بوجه ولا بحال، [فلو][2] جاز عليـه شيء مـن ذلك ما جاز أن يكون إلهاً.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٧)، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ٩٦) وغـير ذلـك. والحديث رواه النسائي في الكبرى (١١٢٤٠) وابـن حبـان في صـحيحه (٦٢٤٦) مـن حـديث عمـران بـن حصين والحاكم في المستدرك (٣٢٦٥) من حديث بريدة الأسلمي بلفظ ((كان الله ولا شيء غيره)). وعنـد ابن حبان من حديث ابن حصين كذلك برواية ((كان الله ولم يكن شيء قبله)).

ومراد السادة الصوفية – على عكس ما يشنع به عليهم – مراد صحيح، إذ إنهم لما لم ينـازعوا الله تعـالى في صفة الوجود لفنائهم في وجوده تعالى، ولما كان في إطلاق إثبات وجود المخلوق إشعارٌ بمشاركة المخلـوق للخالق في صفة الوجود، ذهبوا لنفي وجود المخلوق، والغرض في هذا صحيح وهو غـرض تربـوي يهـدف لفناء مراد العبد في مراد الله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٣٦)، فذهبوا للقول بالفناء الذاتي للعبـد تنبيهاً للمريد، لأن وجود المريد إذا فني في وجود الحق تعالى فمن باب أولى تفنـى إرادة المريـد في إرادة الحـق تعالى. أما كلامهم بغير هذا المعنى فينبغي حمله على محامل حسنة إذ أن غالب الأمة على أن القـائلين بالوحـدة هم من أولياء الله تعالى فيكون المصير للتأويل مترتباً على ما اتفقـت عليـه الأمـة مـن إحسان الظـن بهـؤلاء الصالحين. والحق في الأمر أن المخلوق منفي في الاعتبار فحسب. فمعنى الزيادة أن الله تعالى لم يزل وحـده في وجوده الذاتي وإن ثبت الوجود العطائي الاستمدادي للمخلوقات بإيجاده تعالى لها.

(١) أي لكان حكم الشيء المذكور كحكم الله وما يختص بالله يختص بالـشيء الآخـر، وهـو يـساوي القـول بوجود إلهين أزلاً.

(٢) سقط من (ب).

وقد ورد في الحديث «كنت كنزا مخفيا لم أُعْرَف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني»[1]، وقد قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦) قال ابن عباس: ليعرفون؛ هذا ما ظهر لنا من حكمة خلق الخلق وهو رحمة بهم كما قال تعالى:﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (هود: ١١٩) قيل للرحمة وقيل للاختلاف وقيل لهما، على أن الاختلافَ عَيْنُ الرحمة، ألا ترى إلى ما في الخبر:«اختلاف أمتي رحمة» قيل يعني اختلاف هممهم إذ لو اجتمعوا على مطلب واحد لضاعت المعايش والأسباب فافهمه.

ثم قال ﷺ **(وأنه متفضل بالخلق والاختراع لا عن وجوب، ومُتَطَوِّلٌ[2] بالإيجاد والإبداع لا عن لزوم)** يعني لأن علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه، وليت شعري لو قيل بالإيجاب والإلزام فمن الذي يُلْزِمُهُ ومن الذي يُوجِبُ عليه؟! وقد قال ابن عطاء الله في الحكم:«عنايته بك[3] لا لشيء منك وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته؟! لم يكن في أزله إخلاص أعمال ولا وجود أحوال، بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال وعظيم النوال».

---

(١) قال العجلوني في كشف الخفا:((كنت كنزا لا أعرف ، فأحببت أن أعرف ، فخلقت خلقا ، فعرفتهم بي فعرفوني)). وفي لفظ:((فتعرفت إليهم فبي عرفوني)). ثم نقل عن الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطي وغيرهم أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف. ثم نقل عن الملا علي القاري أنه معناه مع ذلك صحيح مستفاد من قوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦) أي ليعرفوني كما فسره ابن عباس ﷺ. والمشهور على الألسنة كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فبي عرفوني. وهو واقع كثيرا في كلام الصوفية، واعتمدوه وبنوا عليه أصولا لهم. جـ٢/ ١٣٢.

(٢) من الطَّوْل، بفتح الطاء، وهو الفضل والغنى واليسر، ومنه قوله تعالى:﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ (غافر: ٣) وقوله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ (النساء: ٢٥).

(٣) في (ب): فيك.

وقال الواسطي ﷺ: أقسامٌ قُسِّمَتْ ونعوتٌ أُجْرِيَتْ، كيف تُسْتَجْلَبُ بحركـاتٍ أو تنال بسعايات؟ فما تنفع الألوان المصفَّرة والأكمام المقصرة انتهى. وهو واضـح بكـل ما معه وبالله التوفيق.

(فله الفضل) في إيجادنا واختراعنا من العدم وإمدادنا بالنعم وتخصيصنا بالكرم، إذ لا نستحق شيئاً من ذلك عليه.

(والإحسان)، أي الإنعام الذي لا سببَ له ولا علة،

(والنعمة) بجميع أنواعها إيجاداً وإمداداً ودفعاً ونفعاً،

(والامتنان) وهو البداية بالنوال قبل السؤال،

وهذه الألفاظ الأربعة راجعة لأن الكل منه وإليه بلا علة ولا سـبب عـلى وجـه الإكرام والرحمة.

(إذ كان قادراً على أن يصبَّ على عبادِهِ أنواعَ العـذابِ ويبتلِـيَهُم بـضروب الآلام والأوصاب)[1] ولم يفعل شيئاً من ذلك رحمة بهـم وعنايـة وإكرامـاً، ومـن ابـتلاه مـنهم فللتخفيف عنه وإظهار عنايته له فيما مضى له من العافية، وغناه عنه حتى يكـون عارفـا به أو تقومُ الحجة عليه حسبما[2] اقتضته حكمته، وله إيلام البرئ وتكليف مـا لا يطـاق، والكل رحمة في العموم، وإن كان بلاءً في الخصوص. ويرحم الله ابن عطاء حيـث قـال: «من ظن انفكاكَ لُطْفِهِ عن قدرِهِ فذلك لقصور نظره».

وقد قال بعضهم: ما هناك إلا فضلُهُ، ولا نعيش إلا في سِتره، ولو كشف الغطـاء لكشف عن أمر عظيم[3].

---

(١) الأوصاب، جمع وَصَب، الوجه والمرض.

(٢) (ب): حيث ما

(٣) هو من كلام وكيع ابن الجراح كما رواه أبو نعيم في الحلية عن سليمان بن أحمد عن أبي زرعة الدمشقي عن أحمد بن أبي الحواري قال: كنت أسمع وكيع بنَ الجراح يبتدئ قبل أن يحدث فيقول: ما هناك إلا عفـوه، ولا نعيش إلا في ستره، ولو كشف الغطاء انكشف عن أمر عظيم.

وقال الشيخ أبو مدين ﷺ الحق تعالى مُسْتبِدٌ[1] والوجود مُستمِد، والمادة من عين الجود[2]، فلو انقطعت المادة لانهدم الوجود، انتهى.

(ولو فعل ذلك) أي صب البلاء على عباده، **(لكان منه عدلاً)**، لأنه متصرفٌ في مُلكِهِ، والمالكُ المطْلَقُ لا حِجْرَ عليه في تصرفه، **(ولم يكن قبيحًا)** لأنه جميل[3] الوصف، فكلُّ فعلٍ بالنسبة إليه جميل كما مر قريبا، **(ولا ظلماً)** لأنه المالك للكل، العدلُ في أحكامِهِ، الذي لا يصح الظلمُ في فعلِه.

وقد قال بعض السادة في بعض مخاطباته: ما شاء فَعَل، إلهٌ غفورٌ، شديدُ العقابِ.

قال بعض المتأخرين لله دَرُّهُ:[4] جُمِعَ المعتَقَدُ كلُّه في هذه الثلاث الكلمات، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (فاطر: ١٥-١٦-١٧) وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ (الأنعام: ١٣٣) الآية، فأشار في هذه الآية للحقيقة ببرهانها في وجود الخلق، فتأمل ذلك واعرف حَقَّهُ.

ثم قال ﷺ: **(وأنه يثيب عباده على الطاعة بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم)**، يعني ولو شاء لعاقبهم عليها كما يعاقبهم على المعصية، ولو شاء

---

(١) في (ب): مستند، لعلها بالفتح، تكررت بدلاً من «مستمد» التي تليها كذلك.

(٢) بالأصول: الوجود وهو تصحيف. وقال أبو العباس بن عجيبة ﷺ في الإيقاظ: والمراد بـ«الوجود» ظهور الحس، و«عين الجود» هو المعاني اللطيفة القديمة، يعني أن الحق تعالى مستبد أي قائم بنفسه، وظهور تجلياته مستمد من باطن صفاته، ومادة الأشياء كلها من عين الجود وهي نعمة الإيجاد والإمداد، فإذا انقطعت المادة- أي مادةُ المعنى- من الحس، اضمحل الحسُّ، واضمحلت الأكوان، فلو ظهرت صفاتُه اضمحلت مكوناتُه، ففاقتُك - أي افتقارُك- أيها الإنسان لك ذاتيةٌ، أي أصلية حقيقية، لكنها خفية، وورود الأسباب المحركة لظهور تلك الفاقة وهي الشدة والحيرة وكل ما يلجئك إلى مولاك مذكرةٌ لك ما خفي عنك منها. أهـ، وانظره في ((إيقاظ الهمم)) باعتناء الفقير ط جوامع الكلم ص: ٢٤٢- ٢٤٣.

(٣) (أ): الجميل.

(٤) قولهم لله دَرُّهُ: لفظ تعجب يفيد الاستحسان.

لأثابهم عليها لأنه لا حِجْرَ عليه، (**إذ لا يجبُ عليه فِعْلٌ**)، لا من مراعاة الأصلح ولا من غيره، لأن الكل لعلة وهو المتصرف بالمُلْك المطلق، (**ولا يتصور منه ظلمٌ**) لا وقوعاً ولا جوازاً، (**ولا يجب لأحد عليه حق**)، من هداية ولا غيرها، من أثابه فبفضله ومن عاقبه فبعدله ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٣). وخالفت المعتزلة في هذا كله فقالوا بوجوب مراعاة الأصلح وغيرها، ثم انْجَرَ بهم الحالُ إلى القول بأن العبدَ يخلُقُ أفعالَه، فجعلوا مع الله إلهاً آخر تعالى عما يقولون علوا كبيراً.

[مطلب في الكلام على خلق الأفعال]

تنبيه: اعلم أن الناس في خلق الأفعال على ثلاث طوائف: الأولى طائفة تُسمَى الجبرية ذهبوا إلى أن العبد لا يكتسب شيئاً من أعماله، فنسبوا الجور بالتعذيب وأبطلوا الشرائع والأحكام. والرد عليهم: عقلاً، بأن العاقل يفرق بين حركة الرعشة وحركة الاختيار، والتكليف بوجه الاختيار لا من وجه الاضطرار؛ ونقلاً، قوله تعالى:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة: ٢٨٦) وقوله تعالى:﴿ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ﴾ (البقرة: ٢٦٤) وقوله عز وجل:﴿ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ ﴾ (المائدة: ٣٤) إلى غير ذلك، وقد تقدم الفرق بين الكسب والاختراع في الكلام على القدر.

الثانية طائفة تسمى القدرية، يقولون إن العبد يخترع أفعال نفسه ويضلها ويهديها. قالوا: ويفعل العبدُ عشرةَ أشياء من صفاته: العلم والجهل والشك والظن والفكر والنية والاعتقاد والكلام والحركة والسكون.

ومذهبهم[1] في تلك العشرة متعلق [على][2] الأمر والنهي والثواب والعقاب، قالوا: ولا يكون ذلك إلا لفاعلٍ حقيقة، والرد عليهم عقلاً أن القدرة تتعلق بالوجود عندهم والوجود من حيث هو وجودٌ لا يختلف، وإنما تختلف الأشياء بالأحوال، فلو

---

(١) (أ): وذهب بعضهم بهم ، (ب) ذهب بهم، وما أثبتناه ترجيح من الناسخ في هامش (ب).

(٢) زيادة من (ب).

كان العبد خالقاً للأفعال للزم أن يكون خالقاً للأجسام والأعراض جميعها، واتصف بصفة الربوبية وهو باطل، وللزمهم إلهين- أشار [لذلك][1] الحديث بقوله «مجوس هذه الأمة القدرية»[2] نسأل الله العافية.

الثالثة: طائفة أهل السنة وعصابة الحق قالت إن العبد مجبورٌ في عينِ اختياره، بل إن له قدرةً تقترنُ بالمقدور ولا تؤثر فيه، فكيف تؤثر فيه وهي معه في الزمان الواحد لأنها صفة لا تبقى فمتى أثرت فيه؟

وكذلك هي معه في المحل الواحد فإن محلَّها العضوُ المتحرك[3]، فهي تتعلق بالمقدور ولا تؤثر فيه، وقد قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦) فجعل الثواب والعقاب من وجه الكسب لا من وجه الجبر.

وقد قال بعض المتأخرين من شيوخنا شعرا:

مذهبُنا أن لنا قدرةً ... حادثةً لسنا بها نقدرُ
خالقُنا أباحَ إطلاقَها ... في قوله من قبل أن تقدِروا

وقال بعضهم: لم يزل الخلاف في هذه المسألة من لدن آدم ﷺ إلى الآن، ولا يرتفع إلا أن ينكشف الغطاء في الدار الآخرة والله أعلم.

[النبوات وما يتعلق بها]

ثم قال ﷺ: (**وأن حقه في الطاعات وَجَبَ على الخلقِ بإيجابِهِ على لسانِ أنبيائِه**)، يعني حسب أمره لهم، فالحكْمُ خطابُه المتعلِقُ بفعلِ المكلَّف من حيث إنه مكلف، ومِنْ

---

(١) زيادة اقتضاها السياق

(٢) رواه أبو داود (٤٠٧١)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٣)، والطبراني (٣٦٧)، بلفظ ((القدرية مجوس هذه الأمة)) وبلفظ الشارح في (مسند الشاميين) (٢٣٨١).

(٣) وهي القدرة التي يخلقها الله في العبد عند مباشرته الفعل وهي تُخلق بالعضو المتحرك منه يداً كان أم رجلاً أم لساناً أم غير ذلك.

ثَـمَّ لا حكـمَ إلا لله، ولا حُكْـمَ إلا بالـشرع، لا بمجـرد العقـل، وإن كـان متـصرفا في الاستنباط فعلى أصل الشرع، وحَكَّمَتْ المعتزلة العقل بناءً على التحسين والتقبيح وهـو باطل، لأن قضايا الأحكام لا تُهدي إليها العقولُ مـن حيـث ذاتُهـا لجوازِهـا، والكـلام معهم مستوفىً في كتب أصول الدين وأصول الفقه فانظره.

وقد قال بعض الأئمة: إنما جُعِلَ العقلُ آلةً للعبودية، لا للإشراف[1] على الربوبيـة انتهى.

قال ﷺ: **(لكنه)**، يعني الله سبحانه، **(بعثَ الرسلَ)** لخلقه لإقامة الحجة وإيضاح المحجـة، وقـال تعـالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (النساء: ١٦٥) وقـال تعـالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٥) **(وأظهر صِدْقَهم بالمعجزات الظاهرة)** التي لا تخفى على أحد من العقلاء.

والمعجزات: جمع معجزة، وهو أمـر خـارق للعـادة مقـرونٌ بالتحـدي، موافـق للدعوى مع عدم المُعارِض والتحدي للدعوى، وذكر عياض ما يدل **(لأنه قـول النبـي لا يأتي به غيره)**[2] كما قال تعالى في شأن القرآن: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ (البقرة: ٢٣).

قال بعض العلماء: وكل ما جرى على يد النبي مـن الخـوارق قبـل ظهـور النبـوة فكرامةٌ وإرهاصٌ، وما كان بعـد النبـوة ولم يُتَحَـدَّ بـه فآيـةٌ ودليـلٌ، ومـا كـان مقرونـاً بالتحدي فمعجزة، وما لم يتحدَّ به يصح أن يكون كرامةً للمتبع[3]، واستدراجا للمبتدع،

---

(١) وإشراف العقل على الربوبية يكون بادعاء أحكامها لنفسه ومنها التحسين والتقبيح واستحسان الحكم بغير ما ورد به الشرع الشريف.

(٢) انتقل المصنف ههنا من الحديث عن عموم المعجزة إلى خصوصها وهي معجزة القرآن.

(٣) والتفصيل أن ما كان منها للولي فهو كرامة، وما كان منها لعامة المسلمين فهو توفيق.

فيفرق بينهما التوفيق في سلوك الطريق. لكن مجموع الآيات والكرامات في حق الأنبياء معجزة لانضمامه للمعجزة وكثرته، ولذلك أشار ﷺ: «ما من نبي إلا وأُعطيَ من الآيات ما آمن على مثله البشر وكان الذي أوتيته وحياً يوحى إليّ»[1] الحديث.

وقد أنكر قومٌ من الفلاسفة بَعثة الرسل وأوجبها المعتزلة[2]، وكلٌ باطل للجواز العقلي والتحقق[3] بالإعجاز. وقد رد الله على الفريقين بقوله الكريم: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٦٤) فرد الفلاسفةَ بذكر البعثة، ورد المعتزلة بذكر المنة، إذ لا تكون ممن وجبت عليه بما وجب عليه[4]، إنما تكون بما له تركه ثم فعله تفضلاً.

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٧٩٧٧).

(٢) أي أوجبوها على الله عز وجل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

(٣) في (أ): التحقيق، والمعنى أن إنكار الفلاسفة البعثة وقول المعتزلة بوجوبها على الله تعالى كلاهما باطل، لأن حكم النبوة الجواز، لا الاستحالة فيصدق قول الفلاسفة، ولا الوجوب فيصدق كلام المعتزلة، ثم ثبت بطلان كلام الفلاسفة خاصة بوجود المعجزات التي تثبت الرسالات والنبوات. وهذا على ما قاله الشارح ﷺ وإلا فما في تحفة المريد أن الفلاسفة شاركوا المعتزلة في القول بالوجوب، وقال: ذكر بعضهم الشيعة بدلاً من الفلاسفة، ولعله من قولهم بوجوب نصب الإمام على الله تعالى؛ أما القائلون بالاستحالة على ما في التحفة فهم السمنية والبراهمة.

وقال العلامة الأمير في حاشيته: عند قول الشارح: خلافاً لحكماء الفلاسفة [في قولهم بالوجوب] ما نصه: هم يقولون بالإيجاب الأشد من الوجوب أهـ. ثم حكى قول السمرقندي بقولهم بالاستحالة وقال: ولكن في المقاصد والمواقف وغيرما نحو ما للشارح، والظاهر أنه لا خلاف، فهم ينكرون البعثة على الوجه المقرر شرعاً، ويوجبونها على ما سولته لهم آراؤهم الفاسدة على ما يؤخذ من الأصفهاني على طوالع البيضاوي وغيره فلينظر. أهـ (٢١١).

(٤) أي لا تكون المنة ممن وجب عليه الفعل لأنه لا يكون منة في هذه الحالة. وقوله: بما وجب عليه، أي هداية الناس وتعريفهم ذاته سبحانه وتعالى.

وشروط المعجزة مسطرة في كل كتاب فلا نطول بها، نعم تُخرَق العادةُ للمَلَك والنبي والرسول والولي والشيطان والساحر، ولكل أحد في القيامة وعند الموت، هذه كلها بلا أسباب معتادة. وقد مر الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر أعلاه. ثم المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاتبعوه.

(فبلغوا أمره) وجوباً كان أو ندباً، **(ونهيَه)** تحريما كان أو تنزيهاً، **(ووعده)** وهو الإخبار عما أَعدَّ لمن كفر به وخالف أمره. وكذلك بلغوا ما أخبر به من أمر الدنيا والآخرة وغير ذلك، لكن مدار ذلك كله [على][1] الأمر والنهي؛ والوعد والوعيد باعثان على العمل والكف، والأخبار باعثة ومحققة فيما لها لهما[2] **(فوجب على الخلق تصديقُهم فيما جاءوا به)** من أمر الدنيا والآخرة لتحقق صدقهم بالمعجزة وبالله التوفيق.

خاتمة: مدار العقيدة على ثلاثة أصول: معرفة المرسِل ومعرفة المرسَل ومعرفة المرسَل به، كل بما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز في حقه، فالذي يجب للمرسِل وهو الله سبحانه وتعالى ثلاثة أشياء: الوجود المطلق والكمال المطلق والبقاء المطلق؛ والذي يستحيل عليه ثلاثة: هي العدم أو تقييد الوجود، والنقص أو تقييد الكمال، والفناء أو تقييد البقاء، والذي يجوز في حقه تعالى إيجاد المعدوم الجائز وإعدام الموجود الجائز وإيقاع الخارق للمعتاد إذ لا يعجزه شيء من ذلك.

والذي يجب للمُرسَل ثلاث:

الصدق

والأمانة[3]

---

(١) سقط من (أ).

(٢) (أ): فيما لها وعليها، وما أثبتناه من (ب)

(٣) تفصيل لازم في عصمة الأنبياء عليهم صلوات الله وتسليماته:

عرف شيخ الإسلام الباجوري الأمانة في حق الأنبياء بأنها: حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة أو خلاف الأولى، فهم محفوظون ظاهراً من الزنا وشرب الخمر والكذب وغير ذلك من منهيات الظاهر، ومحفوظون باطناً من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك من منهيات الباطن؛ والمراد: المنهي عنه، ولو صورة فيشمل ما قبل النبوة ولو في حال الصغر، ولا يقع منهم مكروه أو خلاف الأولى ولو مباح، بل ولا مباح، على وجه كونه مكروهاً أو خلاف الأولى أو مباحاً، وإذا وقع صورة ذلك فهو للتشريع فيصير واجباً أو مندوباً في حقهم، فأفعالهم عليهم الصلاة والسلام دائرة بين الواجب والمندوب، بل في الأولياء الذين هم أتباعهم من يصل لمقام تصير حركاته وسكناته طاعة بالنيات. وبهذا اندفع ما يقال: قد ثبت أنه ﷺ توضأ مرة مرة ومرتين مرتين، وبال قائماً، وشرب قائماً.

وأما المحرم فلم يقع منهم إجماعاً؛ وما أوهم المعصية فمؤول بأنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولا يجوز النطق به في غير مورده إلا في مقام البيان. وما وقع من آدم فهو معصية لا كالمعاصي، لأنه تأول الأمر لسر بينه وبين سيده وإن لم نعلمه... وكذا يقال فيما وقع لإخوة يوسف على القول بأنهم أنبياء.

ودليل وجوب الأمانة لهم عليهم الصلاة والسلام: أنهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى لكنا مأمورين به، لأن الله تعالى باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل، وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا بمكروه ولا خلاف الأولى، فلا تكون أفعالهم محرمة ولا مكروهة ولا خلاف الأولى، وهذا الدليل وإن كان على صورة الدليل العقلي هو في الحقيقة دليل شرعي، لأن دليل الملازمة شرعي. أهـ (ص ١٣٤-١٣٥).

قلت: وقوله بعدم جواز خلاف الأولى عليهم هو بالنسبة لخلاف الأولى لعامة المكلفين، أما خلاف الأولى اللائق بهم عليهم الصلاة والسلام فلا يدخل في المعنى على ما حققه العلامة أحمد الأجهوري في تقريراته على تحفة المريد. فخلاف الأولى اللائق بمقامهم صلوات الله وتسليماته عليهم حسنة في حق غيرهم.

ومن الفوائد المهمة قول العلامة الأمير ﵀ في حاشيته على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرة: ويوسف [على نبينا وعليه الصلاة والسلام] همَّ لولا أن رأى برهان ربه، فرؤية البرهان الجلالي مانعة من الهم، والمراد: همَّ بالتشديد في التخلص لولا أن رأى برهان الرأفة، فتخلص بلطف بها لضعف المرأة. ولا يليق ما يقال: الهمُّ بالمعصية لا يكتب. أهـ (ص ٢١٣)، أي لا يجوز أن يطلق الهمُّ بالمعصية في حق الأنبياء لأنه غير جائز في حقهم على ما تقدم من عصمتهم من الصغائر والكبائر والمكروه وخلاف الأولى قبل البعثة وبعدها.

وتبليغ الرسالة[1]

والذي يستحيل الكذب والخيانة وعدم تبليغ الرسالة[2]

والذي يجوز في حقه ثلاث: الأغراض إلا الفاسدة[3]، والأعراض إلا القادحة[4]، والأمراض إلا المُنقصة[5].

والذي يجب للمُرْسَل به ثلاث: صدقه وكماله وتحقق حكمه في أصله من قدم أو حدوث. والذي يستحيل عليه نقصُه وكذبه وحدوث قديمِه أو قِدَمُ حادثِهِ، فالقرآن قديمٌ وغيرُه حادثٌ. والذي يجوز في حقه احتواؤه على أقسام الكلام الثلاثة الأمر والنهي والخبر، وعوارض الكلام من النسخ والتخصيص وغير ذلك مما هو مسطر في كتب الأصول وغيرها، وبالله التوفيق.

---

(١) وزاد بعضهم الفطانة، كما في الجوهرة وشروحها، وهي التفطن والتيقظ لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم. وقيل هي للرسل دون غيرهم، والصواب ما رجحه الباجوري من ثبوت الفطانة للأنبياء وكمالها للرسل، وأنها عامة في الفريقين لا فيمن ورد فيهم النقل فحسب كسيدنا إبراهيم وسيدنا نوح على نبينا وعليهما الصلاة والسلام.

(٢) وحيث زادوا الفطانة فيما يجب للرسل، فقد زادوا امتناع ضدها وهو الغفلة وعدم الفطنة فيما يستحيل عليهم.

(٣) كالأكل والجماع بما يحل من طعام ونساء، والفاسد ما يحرم منها.

(٤) والأعراض غير القادحة مثل السهو في غير ما أمروا بتبليغه إلا للتشريع، مثل سهوه ﷺ، وسهوه ﷺ لم يكن عن غفلة عن ربه تعالى. وكذا النسيان فيما أمروا بتبليغه لا قبل تبليغه بل بعد تبليغه كما ذكره الباجوري في التحفة ص ١٣٩.

(٥) فصل المؤلف ههنا ما أجمله غيره إذ الأمراض من جملة الأعراض، وما يمتنع منه هو ما كان فيه منقصة كالجنون وغير ذلك من الأمور المنفرة، فلم يكن نبي قط أعمى وما كان بسيدنا يعقوب عليه السلام هو حجاب على العين من تواصل الدموع، وما كان بسيدنا يعقوب عليه السلام من مرض كان بين الجلد والعظم ولا التفات إلى الأخبار الباطلة عن خروج الدود من جسمه الشريف وحاشاه عليه السلام.

ثم اعلم أن كل ما مر من المعتقدات في كلام المؤلف إنما هو متعلَّق شهادة أن لا إله إلا الله فالتنزيه لنفي النقائص وما بعده لإثبات الكمالات، فهو إذاً معنى الكلمة الأولى من كلمتي الشهادتين كما أشار إليه، إذ قال رضي الله عنه وأرضاه: (**معنى الكلمة الثانية**) أي من الشهادتين الكريمتين التي لا يصح الإيمان إلا بهما (**وهي**) أي الكلمة الثانية (**الشهادة للرسول بالرسالة**) بأنه رسول الله ﷺ.

قال علماؤنا: وترتيبهما واجب عند الدخول في الإسلام فينبغي ذلك في الكلام عليهما، والله أعلم.

[في بعثة سيدنا محمد رسول الله ﷺ]

قال ﷺ: (**وأنه بعث النبي الأمي القرشي محمداً صلى الله عليه وسلم برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس**) يعني فجعله آخر المرسلين بشيراً لأهل الصلاح بالفلاح ونذيرا لأهل العار بالنار، فمن قال أنه لم يبعث فكافر، ومن قال ليس بأمي فكافر لأنه ثابت قرآناً، والأميُّ هو الذي لا يقرأ ولا يكتب فكأنه منسوب للحالة التي كان عليها عند أمه، والأمية كمال في حقه ﷺ بل هو من معجزاته، ويرحم الله البوصيري حيث قال في بردته:

كفاك بالعلمِ في الأميِّ معجزةً   في الجاهليةِ والتأديبِ في اليُتُمِ

ومن قال ليس بقرشي فكافر أيضا، كمن قال أسود أو ليس الذي كان بمكة، أو قال لم يكن في المدينة ولا تُوفي بها، لأن هذا كله جَحْدٌ له، وقد نص القاضي في الشفاء على التكفير به.

وأما كونه مبعوثا للكافة من العرب والعجم والإنس والجن فلقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ: ٢٨) وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ (الجن: ١) الآية ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ (الأحقاف: ٢٩) الآية.

وفي الصحيح: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نُصِرتُ بالرعب مسيرة شهر وأُحِلَتْ لي الغنائم ولم تحلَّ لأحد قبلي وبعثت للناس كافة وأوتيت جوامع الكلم وجُعِلتْ لي الأرض مسجداً وطهورا»[1] الحديث، فمن أنكر عموم دعوته ﷺ فهو كافر وإن أقر بنبوته، لأنه تكذيب له وهو مذهب جماعة من اليهود وغيرهم.

ثم قال ﷺ: **(فنسخ بشريعته الشرائع إلا ما قرره منها)**، يعني من أحكامها، فكل شرع قبله فمنسوخ بشريعته، وما قُرِرَ منها ثابتٌ بها لا بالشرع المتقدم. وفيما لم يرد فيه تقرير ولا نفي من شرع من قبلنا: هل هو شرع لنا؟ اختلافٌ بين الأصوليين، مذهب مالك إثباته، وله فيه مسائل. ولا نسخ في مقاصد الشريعة الذي هو طلب العبودية وإفرادُها له تعالى واعتقادُ ما يجب اعتقادُه في حقِّه وحقِّ رسلِه.

وقد قال ﷺ: «الأنبياء بنوا علات، أمهاتهم شتى وأبوهم واحد»[2] الحديث، أشار به لاتفاق المقصد واختلاف الوسائل، وفائدته تخصيص كل وقت بما يصلحه عموماً وخصوصاً. وأنكر اليهود لعنة الله عليهم النسخ، وللأئمة عليهم حجج قاطعة فانظرها.

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه: **(وفضلُه على سائر الأنبياء)** يعني بحكم منه تعالى لا بعلة تقتضي نقص غيره منهم، إذ ما من نبي إلا وأتى بما أُمِرَ به على التمام لم ينقص منه مثقال ذرة، والتفضيل بحكم من الله تعالى. ولذلك أشار ﷺ بقوله: «لا تخيروا بين الأنبياء»[3] أي بالخصائص لأن المزايا لا تقتضي التفضيل فهو لا يصح القدوم عليه إلا

---

(١) رواه البخاري بلفظ قريب (٣٢٣)، ومسلم (٨١٤)، والنسائي (٤٢٩)، وأحمد (٧٢٤)، وغيرهم.

(٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٢٤٤٢) بلفظ «إن الأنبياء أخوة بنو علات (١)، وأنا وعيسى أخوان لأنه بشر بي، وليس بيني وبينه نبي».

(٣) رواه البخاري (٢٢٣٥)، ومسلم (٤٣٧٨)، وأبو داود (٤٠٤٨)، وأحمد (٢٠٨٣٥) والطبراني في الأوسط (٢٦٥) وغيرهم.

بسمع، وقد قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: ٢٥٣) وهو موسى ﷺ ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ وهو محمد ﷺ على ما قيل ولو قال المصنف: وفضله على سائر المرسلين لكان أولى ليدخل الأنبياء بالأحروية[1]، والله أعلم.

ثم قال ﷺ: **(وجعله سيد البشر)**، يعني من آدم فمن دونه إلى آخر موجود منهم والسيد: من السؤدد أي الشرف الكامل، وقد قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[2] يعني: قلت ذلك ائتماراً لا افتخاراً، أي أنه أمر بتبليغ ذلك فبلغه على حسب ما أمر به لا لغرض من أغراض نفسه، وقد كان ﷺ معلوما بالسيادة نسبا وطبعا وخلقا وأدبا إلى غير ذلك من المكارم قبل ظهوره بالنبوة، يعرف ذلك من اعتنى بالسِيَر وتَعرَّفَ أحوالَه من الصغر إلى الكِبَر صلوات الله عليه وسلامه.

ثم قال ﷺ: **(ومنَعَ كمالَ الإيمان بشهادة التوحيد)** يعني مجردة **(وهي قولك لا إله إلا الله، ما لم تقترن بها الشهادة بالرسول ﷺ، وهو قولك محمد رسول الله)** فلا يكفي أحدهما عن الأخرى في الدخول في الإيمان.

قال علماؤنا: ويجب ترتيبهما وقولهما، وبالعربية للقادر، ولا يكفي قوله: الله إله، لأنه إثبات لا يتضمن نفي ضده، ولا قوله: محمد رسول، دون إضافته إلى الله لاحتمال المرسِل. وقد نص بعض الشافعية على ذلك. ولو قال: أشهد أن محمداً نبيٌّ لكفاه. ونص بعض النحاة أن تنوين هاء إله وتسكينها قادح لأنه يؤذن بانقطاع الاستثناء.

ومعنى الكلمة الأولى: لا مستحقّ للكمالات إلا الله، وعلى هذا التفسير يتنزل أن كل ما تقدم للمؤلف فهو معناها. وقيل: لا معبود بحق إلا الله، وهو راجع لما ذكر قبله، لكن الأولَ أمسُّ، و«محمد» مُفَعَّلٌ من الحمد، منقول من الصفة لكثرة محامده، فهو المحمود والحامد أحمدُ من حمد بفتح الحاء، وأحمد من حمد بضمها، وهو الحامد بجميع المحامد، داعي الجميع من الكثرة إلى الواحد.

---

(١) من قولهم هو بالأحرى كذا، والمعنى أنه ﷺ إذا فضل المرسلين فبالأحرى يفضل النبيين.

(٢) تقدم تخريجه.

وقد قيل لجده عبد المطلب حين سماه بذلك: لم عدلت عن أسماء آبائك؟ قال: ليكون محموداً في السماء والأرض، فكان كذلك والحمد لله رب العالمين.

والذي يلزم من الإقرار برسالته ﷺ لأمته، يلزم كلَّ أمة في حق نبيها، بل في حق كل نبي، إلا أنه داخل في ذلك بالضمن، فاكتُفِي به ولذلك كان التكذيب للواحد تكذيب للجميع، حتى قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٥) وكذا عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر إلى غير ذلك فافهم.

السمعيات

[البرزخ وعذاب القبر]

ثم قال ﷺ: **(وألزم الخلقَ تصديقَه في جميع ما أخبرَ عنه من أمور الدنيا والآخرة، وأنه لا يتقبلُ إيمانَ عبدٍ حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت)**، يعني من أمر البرزخ فما بعده، وكذا ما قبله من فناء الدنيا وانقراضها وانقراض كل من عليها، وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذنه تعالى، وأن على العباد حَفَظَةً، وأن الشهداء أحياءُ عند ربهم يرزقون، وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون، وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين، إلى غير ذلك من أمارات الساعة ودلائل القيامة وما يكون في القبر.

(وأوله سؤال منكر ونكير) بفتح كاف الأول ونون الثاني مع كسر الكاف.

وفي الترمذي: هما ملكان اسم أحدهما منكر والآخر نكير وقال حديث غريب[1]. وزاد في حلية أبي نعيم ثالث وهو ناكور.

وحكى العراقي عن بعضهم أن منكراً ونكيرا للمذنبين، ومبشراً وبشيراً للمطيعين، والجزم بذلك يحتاج إلى توقيف صحيح. فالواجب اعتقادُ سؤال الملكين

---

(١) رواه في سننه (٩٩١)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٥٤) وبغية الحارث (٧٢٨)، وعبد الرزاق في المصنف (٦٧٣٩)، والطبراني (٦٩٣).

وترك ما وراء ذلك لعلم الله تعالى إلا بما صح، **(وهما)** أي الملكان **(شخصان مهيبان هائلان)** كذا ورد في بعض الأحاديث. وقال بعضهم: لا يأتيان كذلك إلا للمذنبين، وأما غيرهم فيأتيانه في أحسن صورة وأونسها كذا سمعته من شيخنا القوري[1] ﷺ، وهو مناسب والله أعلم.

(يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد) كما يكون في الدنيا، وهذا الذي قاله المصنف عليه يدل ظاهر الأحاديث، وقاله الحليمي وغيره، وقال إمام الحرمين في الإرشاد: المرضيُّ عندنا أن السؤال يقع على أجزاء من القلب أو غيره يحييه الله تعالى، ونظر في ذلك بعض المتأخرين فالأول أولى.

ففي حكاية عمر ﷺ أنه قال «يا رسول الله أو نكون كما نحن الآن، قال: نعم، قال: إذن أكفيكهما»[2]. فَرُئِيَ في النوم بعد وفاته فأخبرَ بوقوع ما وعد وأنهما قالا له من ربك؟ قال فأنتما من ربكما؟ فانصرفا عنه.

---

(١) ترجم له السخاوي فقال: محمد بن القاسم بن أحمد أبو عبد الله اللخمي المكناسي المغربي ويعرف بالقوري نسبة للقور مفتي المغرب الأقصى، كان متقدماً في حفظ المتون وفقيها، وعلق على مختصر الشيخ خليل شيئاً لم ينتشر وانتفع به الطلبة. وممن أخذ عنه الفاضل أحمد بن أحمد زروق وقال لي إنه مات في أواخر ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وإنه سئل عن ابن عربي فقال الناس فيه مختلفون ما بين مكفر ومقطب فالأولى الوقف. الضوء اللامع (٤/ ٢٤٦).

(٢) الرواية في بغية الحارث (٢٧٨) قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق أهلك فقاسوا لك ثلاثة أذرع وشبر في ذراع وشبر ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليه التراب فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصرهما مثل البرق الخاطف فتلتلاك وثرثراك وهولاك فكيف بك عند ذلك يا عمر قال يا رسول الله ومعي عقلي قال نعم قال إذا أكفيكهما)). أما عن سؤال سيدنا عمر ﷺ للملكين فقال الفتني في تذكرة الموضوعات: حديث جواب عمر ﷺ تعالى في قبره بقوله ((أومثلي يسأل عن ربي وربوبيته أني لا أدعكما أو تقولان من ربكما)) مرسل صحيح.

(فيسألانه عن الإيمان والتوحيد) لأنها الأصل الذي يبنى عليه ما بعده في حق كل مكلف، وإنما يسألان من تلبس بذلك حقيقة أو رسماً، فقال ابن عبد البر: دلت الأحاديث الصحيحة على أن الكافر لا يُسأل بخلاف المنافق، وظاهرُ الأخبار سؤال الصغير كالكبير، ولم يَرِدْ في ذلك قاطعٌ يعتمد، **(فيقولان له)** أي للمسئول **(من ربك وما دينك ومن نبيك؟)** هذه صورة السؤال.

وفي رواية أبي داود بزيادة «وما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول المؤمن ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد، ويقول الكافر لا أدري في الثلاث»[1].وفي البخاري من حديث أسماء بنت أبي بكر ﷺ في خطبة إثر صلاة الكسوف «ما من شيء لم أكن أوريته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار فأُوحِيَ إليَّ أنكم تُفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من فتنة المسيخ الدجال قال الراوي لا أدري أي ذلك؟ قالت أسماء: يُقال ما علمك بهذا الرجل»[2] وفي المتفق عليه يقال:«ما كنت تقول في هذا الرجل»[3]، وفي بعض الطرق: في «هذا النبي محمد ﷺ»[4] فأما المؤمن أو الموقن قال الراوي: لا أدري أيهما قالت أسماء، فيقول هو محمد هو رسول الله جاءنا بالبينات فآمنا به واتبعناه وهو محمد ثلاثاً، فيقال له: نم صالحا قد علمنا أنك كنت لموقناً، وأما المنافق أو المرتاب قال الراوي لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء: فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته الحديث.

---

(١) رواه أبو داود (٤١٢٧)، وأحمد (١٧٨٠٣)، والطبري في تهذيب الآثار (١٧٢)، والبيهقي في الشعب (٤٢٣).

(٢) رواه مالك (٤٠١)، والبخاري (٨٤)، ومسلم (١٥٠٩)، وأحمد (٢٥٦٨٨)، والطبراني في الكبير (١٧٧٩٤)، وغيرهم.

(٣) التخريج السابق، وهو في البخاري (٨٤)، ومسلم (١٥٠٩)، كما مر.

(٤) لم أجد هذا العبارة كما أوردها الشارح، وما عند البخاري (١٢٥٢): ((في هذا الرجل محمد))، وكذا النسائي (٢٠٢٤)، وابن حبان (٣١٨٢)

قـال بعـض شـيوخنا: واخـتلاف الأحاديـث في وجـه الـسؤال لعلـه بحـسب الأشخاص، وقد يدل على ذلك ما فيه حكاية عمر بن الخطاب ﷺ حين أخـبر مـن رآه في النوم أن أحد الملكين قال للآخر إنه عمر، ثم قالا من ربـك فقـال أنـتما مـن ربكـما؟ فانصرفا وأحدهما يقول للآخر ألم أقل لك أنه عمر. ونحوه ما يحكى عن إمـام الحـرمين أنه ذكر لمن رآه في النوم أنه أجاب بقول: أتسألان عن علم قطعت فيـه عمـري سـبعين سنة؟!

(وهما) أي الملكان السائلان **(فتانا القبر)** أي المختبِرَيْنِ للعبد فيه مقدمة لافتتـاح كرامته أو إهانته ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ (إبراهيم: ٢٧). وقد ذكر الإمام أبو عبد الله بن محمد ابـن عـلي الترمـذي الحكـيم المـؤذن صاحب التصانيف وأحد أئمة رسالة القشيري من القدماء حديثاً يقتـضي أن الـشيطان يحضر إذ ذاك في زاوية من زوايا القبر، فكلما سُئِلَ العبد عـن الله ورسـوله أشـار لنفـسه ليفتنه، وهذا الحديث وإن لم يكن صحيحاً فإمكانه غير ممتنع، ولادافعَ له لأن الـشيطان مُمَكَّنٌ من خرق الأرض وعداوته للآدمي مُمْكِنَةٌ، وقد صح تعرضه لمثل هذا عند المـوت فلا بُعْدَ له[1] والله أعلم.

(وسؤالهما أول فتنة بعد الموت)، وبعد ذلك فِتَنٌ منها تطـاير الـصحف وسـجود الأمم عند المنادي، ومن كان يعبد شيئاً فليتبعـه، ومـا يكـون مـن الـزلازل والأهـوال والمواقف التي نرجو من الله أن يكون لنا فيها مما كان لأوليائه وأن يجعلنا مـن الـذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون آمين.

ثم قال ﷺ: **(وأن يؤمن بعذاب القبر)** يعني ونعيمه عَرْضاً وغيره، فقد قال تعالى في آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ (غافر: ٤٦) الآية، وقـال ﷺ: «مـا منكم من أحد إلا ويُعرضُ عليه مقعده من الغداة والعشي، فإن كـان مـن أهـل الجنـة،

---

(١) أي لا يستبعد هذا الأمر

فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النـار»[1]، والحـديث الـصحيح المتفـق عليه، مر ﷺ بقبرين فقال: إنهما يعذبان ومـا يعـذبان في كبـير»[2] الحـديث، وفي آخـره: «فأخذ جريدة فقسمها نصفين ثم غرز على كل قبر فقال: لعله يخفف عليه ما لم يَيْبَسا». وهذا يدل لوجوده في الحال وعدم شعورنا به كعدم شـعورنا بـما يتفـق للنـائم، ونحـن بإزائه وربما يظهر ذلك في بدنه ولا نرى الفعل ولا الفاعل.

وفي سنن ابن ماجة أنه قال ﷺ:«عامة عذاب القبر من البـول»[3]، وفي البخـاري وغيره أن عائشة رضي الله عنها قالت لها يهودية أعاذك الله من عذاب القـبر، فـسألت رسـول الله ﷺ فقال ﷺ عائذا بالله منه فقال إنه حق[4]. وإلى هذا أشار المصنف بقوله: **(وأنـه حـق وحكمة وعدل)** كسائر أفعال الحـق سـبحانه، إذ لا يـصح أن يكـون عبثـاً ولا بـاطلاً. وكونه **(على الروح والجسم)** معا هو مذهب أهل الحـق، لأن مـا ورد مـن الإطـلاق لا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٠٠١)، وأحمد في مسنده (٤٤٢٩) والنسائي في السنن الكـبرى (٢١٩٧)، والطبري في تهذيب الآثار (٣٢٣).

(٢) (ب) : كثير، تـصحيف. والحـديث رواه البخـاري في صـحيحه (٢٠٩)، ومـسلم (٤٣٩)، وأبـو داود (١٩)، والترمذي (٦٥)، والنسائي (٦٥)، وأحمد (١٨٧٧)، كلهم من حديث سيدنا ابـن عبـاس رضي الله عنهما. وهـو بلفظ كثير بدلاً من كبير عند الطبراني في الأوسط (٦٧٥٣) من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها. وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن منصور إلا عبيدة بن حميد ، تفرد به علي بن جعفر الأحمر.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٦١٤)، والطـبراني في الكبـير (١٠٩٤١)، والـدارقطني (٤٦٩) وابـن حميـد (٦٤٤)، من حديث ابن عباس. وهو عند ابن ماجة كما ذكره المصنف لا بلفظ (أكثر) بدلاً مـن (عامـة) مـن حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) بلفظ المصنف اختصار وتمامه كما في الموطأ والصحيحين وغيرها من حديث أم المـؤمنين الـسيدة عائـشة رضي الله عنها أن يَهُودِيَّةً جَاءَتْ تَسْأَلُهَا فَقَالَتْ أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُعَذَّبُ النَّاسُ فِي قُبُورِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِذًا بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ... الحديث. وهو في الموطأ برقم (٤٠٠) وصحيح البخاري (٩٩١) ومـسلم (١٥٠٦) والنـسائي (١٤٥٩) ومـسند أحمـد (٢٣١٣٣)، وغيرها.

يقتضي تخصيصاً، والعقل لا يأباه، بل يقويه، لأن الوعيدَ إنما يقعُ على محل الفعل، وفي الصحيح: صياح المنافق عند ضرب المَلَكِ له بمطرقته صيحة لو سمعها أحد لصعق[1]، وذلك يدل لما ذكر.

وقوله: (على ما يشاء) الله سبحانه، يحتمل أن يكون إشارة للسبب أو للوجه الذي يقع عليه الأمر والله أعلم.

ولا خلاف في بقاء الروح إلى الساعة، واختلف في فنائها بعدُ إلى البعث، فاختار الشيخ تقي الدين السبكي بقاءها أبدا، واختار غيرُه خلافَه. وفي عجب الذنَب[2]

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ في شيء من كتب الحديث وما في صحيح البخاري (١٢٥٢) عن أنس ﷺ عن سيدنا رسول الله ﷺ قَالَ ((الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ.))

(٢)عَجْب الذنب وردت فيه روايات صحيحة منها ما أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥٥٤) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ أَبَيْتُ قَالَ ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنْ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)). قال في فتح الباري: وَفِي حَدِيث أَبِي سَعِيد عِنْدَ الْحَاكِمِ وَأَبِي يَعْلَى "قِيلَ يَا رَسُول اللَّهَ مَا عَجْب الذَّنَب ؟ قَالَ : مِثْل حَبَّة خَرْدَل" وَالْعَجْب بِفَتْحِ الْمُهْمَلَة وَسُكُون الْجِيم بَعْدَهَا مُوَحَّدَة وَيُقَال لَهُ "عَجْم" بِالْمِيمِ أَيْضًا عِوَض الْبَاء . وَهُوَ عَظْم لَطِيف فِي أَصْل الصُّلْب ، وَهُوَ رَأْس الْعُصْعُص ، وَهُوَ مَكَان رَأْس الذَّنَب مِنْ ذَوَات الْأَرْبَع . وَفِي حَدِيث أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ عِنْدَ اِبْن أَبِي الدُّنْيَا وَأَبِي دَاوُدَ وَالْحَاكِم مَرْفُوعًا "إِنَّهُ مِثْل حَبَّة الْخَرْدَل" قَالَ اِبْن الْجَوْزِيّ قَالَ اِبْن عَقِيل : لِلَّهِ فِي هَذَا سِرّ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهَ ، لِأَنَّ مَنْ يُظْهِر الْوُجُود مِنْ الْعَدَم لَا يَحْتَاج إِلَى شَيْء يَبْنِي عَلَيْهِ . وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون ذَلِكَ جُعِلَ عَلَامَةً لِلْمَلَائِكَةِ عَلَى إِحْيَاء كُلّ إِنْسَان بِجَوْهَرِهِ ، وَلَا يَحْصُل الْعِلْم لِلْمَلَائِكَةِ بِذَلِكَ إِلَّا بِإِبْقَاءِ عَظْم

قولان: وقال المزني الصحيح أنه يبلى وتـأوَّل الحـديث. وهـل الـبِلَى تفريـقُ أجزائِهـا أو ذهابُها بالكلية قولان، وكل هذا مما لا ينبغي الخوض فيه للضعيف وبالله التوفيق.

[الإيمان بالميزان]

ثم قال ﷺ: **(ويؤمن بالميزان)** يعني بوزن الأعمال على الوجـه المعتـاد في العـرف فإن الميزان عُرْفاً **([ذي]**[1] **الكفتين واللسان)** وقد جاء بإطلاقه الشرع فوجب حملـه عـلى المتعارف إلا بدليل خلافا للمعتزلة. وفي الأربعين للمؤلف أنه شيء تعـرف بـه مقـادير الأعمال كميزان الشمس وذلك مضارع لقول المعتزلة وهو مردود لعدم نص ومساعدة القاعدة في المخاطب وعدم الاستحالة الموجب للتأويل، نعم قد روى صفته بذلك ابـن

كُلّ شَخص لِيُعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ إِعَادَة الْأَرْوَاح إِلَى تِلْكَ الْأَعْيَان الَّتِي هِيَ جُزْء مِنْهَـا ، وَلَـوْلَا إِبْقَـاء شَيْء مِنْهَا لَجَوَّزَتْ الْمَلَائِكَة أَنَّ الْإِعَادَة إِلَى أَمْثَال الْأَجْسَاد لَا إِلَى نَفْس الْأَجْسَاد . وَقَوْله فِي الْحَدِيث "وَيَبْلَى كُـلّ شَيْء مِنْ الْإِنْسَان" يَحْتَمِل أَنْ يُرِيد بِهِ يُفْنَى أَيْ تُعْدَم أَجْزَاؤُهُ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَيَحْتَمِل أَنْ يُرَاد بِهِ يَـسْتَحِيل فَتَـزُول صُـورَته الْمَعْهُودَة فَيَصِير عَلَى صِفَة جِسْم التُّرَاب، ثُمَّ يُعَاد إِذَا رُكِّبَتْ إِلَى مَا عُهِدَ. وَزَعَمَ بَعْض الشُّرَّاح أَنَّ الْمُـرَاد أَنَّـهُ لَا يَبْلَى أَيْ يَطُول بَقَاؤُهُ ، لَا أَنَّهُ لَا يَفْنَى أَصْلًا. وَالْحِكْمَة فِيهِ أَنَّهُ قَاعِدَة بَدْء الْإِنْسَان وَأُسّه الَّذِي يَنْبَنِي عَلَيْـهِ فَهُـوَ أَصْلَب مِنْ الْجَمِيع كَقَاعِدَةِ الْجِدَار، وَإِذَا كَانَ أَصْلَب كَانَ أَدْوَم بَقَاءً، وَهَذَا مَرْدُود لِأَنَّـهُ خِـلَاف الظَّـاهِر بِغَـيْرِ دَلِيل. وَقَالَ الْعُلَمَاء : هَذَا عَامّ يُخَصّ مِنْهُ الْأَنْبِيَاء، لِأَنَّ الْأَرْض لَا تَأْكُل أَجْسَادهمْ. وَأَلْحَقَ اِبْـن عَبْـد الْـبَرّ بِهِـمْ الشُّهَدَاء وَالْقُرْطُبِيّ الْمُؤَذِّن الْمُحْتَسِب. قَالَ عِيَاض فَتَأْوِيل الْخَبَر وَهُوَ كُلّ اِبْن آدَم يَأْكُلهُ التُّرَاب أَيْ كُلّ اِبْـن آدَم مِمَّا يَأْكُلهُ التُّرَاب وَإِنْ كَانَ التُّرَاب لَا يَأْكُل أَجْسَادًا كَثِيرَة كَالْأَنْبِيَاءِ .

قَوْله:(إِلَّا عَجْب ذَنَبه) أَخَذَ بِظَاهِرِهِ الْجُمْهُور فَقَالُوا : لَا يَبْلَى عَجْب الذَّنَب وَلَا يَأْكُلهُ التُّرَاب، وَخَالَفَ الْمُزَنِيُّ فَقَالَ "إِلَّا" هُنَا بِمَعْنَى الْوَاو، أَيْ وَعَجْب الذَّنَب أَيْضًا يَبْلَى. وَقَدْ أَثْبَتَ هَـذَا الْمَعْنَـى الْفَـرَّاء وَالْأَخْفَـش فَقَالُوا: تَرِد "إِلَّا" بِمَعْنَى الْوَاو. وَيَرُدّ مَا اِنْفَرَدَ بِهِ الْمُزَنِيُّ التَّصْرِيح بِأَنَّ الْأَرْض لَا تَأْكُلهُ أَبَدًا كَمَا ذَكَرْته مِنْ رِوَايَـة هَمَّام، وَقَوْله فِي رِوَايَة الْأَعْرَج "مِنْهُ خُلِقَ" يَقْتَضِي أَنَّهُ أَوَّل كُلّ شَيْء يُخْلَق مِنْ الْآدَمِيّ. انتهى من (فتح الباري).

(١) كلمة ذى في المتن مجرورة لأنها نعت لكلمة الميـزان المجـرورة، إلا أن موقعهـا في الـشرح يقتـضي نصبها، وفي المخطوط هي مجرورة فوضعنا المعقوفين تنبيهاً على ذلك.

ماجة قائلا ما معناه: وصفته (في العظم مثل) طباق[1] (السموات والأرض)[2]، وُضِعَ على ذلك ليَظهرَ أمرُه ويبينَ ما يُجعل فيه، وتعظيماً لما يوضع فيه، هذا ما بدا لنا من أمره، والله أعلم بسره.

(توزن فيه الأعمال بقدرة الله)، وهذا ما لا خلاف فيه بين الأمة لقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٠٢) الآية إلى غير ذلك، وأحال المؤلف على القدرة لأن الأعمال عَرَضٌ يَبْعُدُ على الذهن تكييفُها ذواتاً تخِفُّ وتثقلُ، وقد اختلف الناس في ذلك بما لا حاجة لنا به إذ الواجب في أمور الآخرة الإيمان دون التعرض للكيفيات إلا بما صح والله أعلم.

(والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل) لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة: ٧-٨) وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ (الأنبياء: ٤٧) وذلك لأن الذرة والخردلة لا يميل الميزان بهما لخفتهما وقلتهما، وإنما كان الأمر كذلك (تحقيقا لتمام العدل)- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٠) (فتطرحُ صحائفُ الحسناتِ في كِفة من النور) لأنه المناسب لها، وبه يظهر تمام التفضيل بها، ويتبينُ محلُّها (فيثقلُ بها الميزان) على ما هو معهود في الدنيا.

---

(١) (أ): أطباق والمثبت من (ب). واللفظ في (إحياء علوم الدين): طبقات.

(٢) لم أجده فيما لدي من المصادر. وقال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن المنذر واللالكائي عن عبد الملك بن أبي سليمان قال : ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان. وقال أيضاً: وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي في قوله: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ (الأعراف: ٨) قال: أخبرني أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: له لسان وكفتان يوزن ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ومنازلهم في الجنة بما كانوا بآياتنا يظلمون .أ هـ. جـ ٤ ص ١٩٣

وقيل ثقله بارتفاعها لأعلى عكس هذه الدار لئلا تكون السيئات زائدة في الصورة فوق الحسنات، وثِقَلُها (على قدر درجاتها عند الله) في القبول، وذلك بحسب [ما][1] وُهِبَ لصاحبها من التخليص والإخلاص وإكرامه به من المُجازاة، كما ورد في حديث السجلات التسعة والتسعين كل سجل على مد البصر ليس فيها خير، وإنما تقابل بسجل صغير قدر الأنملة فيه الشهادتان فيرجح بهن بفضل الله سبحانه، **(وتطرح صحائف السيئات في كفة الظلمة)** لأنها المناسبة لها أو هي ظلمة كلها **(فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى)**[2] فهما مظهران للعدل والفضل.

والظاهر من كلام المؤلف أن الصحائف هي الموزونة، وفي الحديث ما يدل لذلك وظاهر القرآن إنما هو الأعمال، وجمع بينهما بأن الموزون في الصحائف، والثِقَلُ والخفة بحسب الأعمال، فظاهر كلامه أيضا أنه ميزان واحد يتوارد عليه جميع الناس، وظاهر القرآن تعددها[3]، فقيل بحسب الأمم فلكل أمة ميزان، وقيل لكل رجل ميزان،

---

(١) سقط من (ب).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٦٣)، وابن ماجة (٤٢٩٠)، وأحمد (٦٦٩٩)، والحاكم (٩)، وغيرهم. وروايته عند الطبراني عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص ٢٥٦٣ - حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهَّ عَنْ لَيْثِ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَعَافِرِيِّ ثُمَّ الْحُبُلِيِّ قَال سَمِعْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللهَّ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ أَفَلَكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ فَقَالَ إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهَّ شَيْءٌ. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ عَامِرِ بْنِ يَحْيَى بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(٣) في (ب): أن تعددها.

وحكاها الشيخ ناصر الدين. وقال القاضي: لا يبعد تعدد نصب الموازين، ولو صح الخبر بميزان واحد جاز.

واختلف في الكفار هل توزن أعمالهم أم لا؟ فقال بعض الأئمة: ظواهر ما ورد من الأحاديث بوزن الأعمال يقتضي اختصاصه بالمؤمنين الذين معهم حسنات وسيئات، وأما الكفار فلا طاعة لواحد منهم يوازَنُ بها كفرُه. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾ (الكهف: ١٠٥) المراد به لا يوزن لهم شيء. وقيل لا يستقيم وزنهم عليه ففائدة الوزن وجود المجازاة بالأمر الزائد من العصيان والتخفيف ونحوه بغيره إذ لا محيص لهم عن النار بكفرهم فافهم.

[الإيمان بالصراط]

(وأن يؤمن بأن الصراط حق) أي ثابت كونه في الآخرة سنة وإجماعاً، **(وهو)** أي الصراط **(جسر)** أي قنطرة ومجاز **(ممدود)** منصوب على **(متن)** أي ظهر **(جهنم)** أي النار بجملتها، أعاذنا الله منها، **(أحدُّ من السيف)** بل مثل حد الموسى، كذا رواه الحاكم من حديث سلمان[1]، وقال صحيح على شرط مسلم، **(وأدق من الشعرة)** كذا في مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بلغني أنه أدق من الشعرة[2] وأحد من السيف[3]، قال البيهقي: لم أجد هذا في الأحاديث الصحيحة، وإنما يُروى عن بعض الصحابة[4].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٨ / ١٠٤)، والحاكم في المستدرك (٨٨٩١)، والطبراني في الكبير من حديث طويل من حديث سيدنا أبي أمامة ﷺ(٧٨١٢).

(٢) (أ) : الشعر، والمثبت موافق للفظ الحديث ولما في قواعد العقائد كما هو بالإحياء المطبوع.

(٣) رواه مسلم (٢٦٩).

(٤) ما في شعب الإيمان قول البيهقي - بعد أن ساق سنده إلى سيدنا أنس بن مالك ﷺ- وهذا إسناد ضعيف غير أن معنى ما روي فيه موجود في الأحاديث الصحيحة ، التي وردت في ذكر الصراط، وقد ذكرناها في كتاب البعث.انتهى. ثم قال في لفظ «وأحد من السيف»:وهذا اللفظ من الحديث لم أجده في الروايات الصحيحة. انتهى. ولم أره قال: وإنما يروى عن بعض الصحابة، كما ذكر الشارح أعلاه.

وذكر القرافي[1] في بعض كتبه: الصحيح أنه عريض وفيه طريقان يميناً وشِمالاً، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشِمال، وفيه طاقات كل طاقة تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم، وجهنم بين الخلائق وبين الجنة، والجسر على متنها منصوب، فلا يدخل أحد الجنة حتى يعبر على جهنم. قال: وهو معنى قوله تعالى:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (مريم: ٧١) الآية، وهذا الذي ذكر يحتاج إلى توقيف، ولعله حفظه فيسلم له، ولا يُعدَلُ عن الصحيح إليه.

والناس في جوازه متفاوتون فمن جائز كالبرق والريح وكأشد الرجال ومن يمشي مشياً ومن يمشي مرة ويخر أخرى وعليه كلاليب كشوك السعدان تخطف الناس بأعمالهم كذا في الصحيح قيل وهى صورة الشهوات ولعلها المحرمة والله اعلم .

(تزل عليه أقدام الكفار بحكم الله تعالى فتهوي بهم إلى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين)، ظاهرُه[2]: وإن كانوا من أهل إنفاذ الوعيد، والظاهر خلافه. وفي الرسالة لابن أبي زيد: «وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم»، فَعَمَمَ، وفي الصحيح أن الرسل عليهم السلام يكونون عند الصراط ودعاؤهم يومئذ رَبِّ سَلِّمْ رب سلم[3]. وفي البخاري يجوز المؤمنون الصراط فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى يتواهبوا الحقوق

---

(١) في (ب): العراقي، تصحيف.

(٢) قوله: ظاهره أي ظاهر كلام سيدنا حجة الإسلام الغزالي ﷺ؛ وقوله بعده: والظاهر خلافه، أي ظاهر الشرع الشريف.

(٣) رواه البخاري بلفظ ((اللهم سلم سلم)) (٧٦٤) وكذا مسلم (٢٦٧)، وأحمد في مسنده (٧٣٩٢)، وأبو شيبة (٨/ ١٠٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وعند الترمذي(٢٣٥٦) ((شعار المؤمن على الصراط رب سلم سلم)) وهو في مصنف أبي شيبة (٧/ ٧١٧) بنحوه، وكذا الحاكم في مستدركه (٣٣٧٩) ،من حديث سيدنا المغيرة بن شعبة ﷺ، ورواية أخرى عند الحاكم (٨٩٠١)من حديث سيدنا حذيفة بن اليمان وأبي هريرة ﷺ بلفظ ((ونبيكم قائم على الصراط رب سلم سلم)). ولفظ ابن أبي شيبة:((رب سلم رب سلم)) في مسند الإمام أحمد من حديث السيدة عائشة ﷺ (٢٣٦٤٩)، إلا أنه من قول الملائكة في تلك الرواية.



بينهم[1]، **(فيساقون إلى دار القرار)** وهي الجنة التي لا يخرج منها من دخلها أبداً، وكذا النار، لكن يخرج منها عصاة المؤمنين بعد إنفاذ الوعيد، فلا يبقى في جهنم إلا الكافرون وهي دار قرارهم أعاذنا الله منها أبدا بمنه وكرمه آمين.

كان شيخنا أبو عبد الله القوري ﷺ إذا ذكر حديث البخاري في حبس المؤمنين على القنطرة المذكورة يقول: الصراط في البخاري صراطان، وفي هذا نظر يطول ذكره.

[في الإيمان بحوض النبي ﷺ في الجنة]

ثم قال ﷺ **(وأن يؤمن بالحوض المورود)** يعني الذي تَرِدُهُ الأمةُ ويُذادُ عنه من بَدَّلَ وغَيَّرَ، فقد قال ﷺ: «ليردَنَّ على الحوض أقوام فأعرفهم فأقول ألا هلموا ألا هلموا فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا، فقالوا: يا رسول الله كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ فقال: أرأيتم لو أن لأحدكم خيل غرٌّ محجلة في خيل دُهم بهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى، فإن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء»[2] الحديث، وهذا الحوض هو **(حوض محمد ﷺ)** الخاص به، وقد قيل إنه الكوثر الذي أعطيه ﷺ، وهو ثابت سنة وإجماعا فوجب الإيمان، ثم **(هل لكل)** نبي حوض أو ليس إلا حوضه ﷺ أو لكل نبي حوض إلا صالح عليه الصلاة والسلام فإنه استعجل حوضه؟ أقوال، وفي الأخير حديث ضعيف عند الترمذي فانظره[3].

---

(١) هذه رواية بالمعنى لما في الصحيح (٦٠٥٤)، والمسند (١٠٦٧٣).

(٢) صحيح البخاري (٦٠٧٩) ومسلم بنحوه (٣٦٧)، وابن ماجة (٤٢٩٦) وأحمد في مسنده (٧٦٥٢)، والطبراني في الكبير (١٩١٥٠)، والأوسط (٨٩٥٧)، وغيرهم.

(٣) ما في الترمذي (٢٣٦٧) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نِيزَكَ الْبَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَقَدْ رَوَى الْأَشْعَثُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ سَمُرَةَ وَهُوَ أَصَحُّ. أهـ وعليه فقوله: وفي الأخير... فالضمير يعود على قوله بتعدد أحواض الأنبياء لا غير ولم أهتد إلى كلام في تعجل سيدنا صالح عليه السلام.

والحوض المذكور (**يشرب منه المؤمنون**) لا الكافرون (**قبل دخول الجنة**) إجماعاً، (**وبعد جواز الصراط**) عند المؤلف وكثير من العلماء، واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام: «**من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً**»[1]، ولو كان قبل الصراط لكان صاحبه مُعَرَّضاً لإنفاذ الوعيد وهو محل العطش، وقد يجاب بأنه يعذب بكل شيء إلا بالعطش بل قد ورد أنهم يموتون فيها إماتة، وأقوى من هذا دليلاً كونه من الكوثر، وهو[2] في الجنة وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

(**وعرضه مسيرة شهر**)، وفي الحديث ما يقتضي ثلاثة أشهر[3] وقد يجمع بينهما باعتبار أقطاره وأنها متفاوتة فإذا اعتبر من ناحية كان شهراً وإذا اعتبر من أخرى كان ثلاثة؛ (**أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل**)، وهذا تقريب بالشاهد، وإلا فلا مقاربة، إذ لا مجانسة وما عند الله خير وأعظمُ لذةً وأكملُ وجهاً. وقد روي نحو هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما: «وإن ما في الدنيا لا يُشْبِهُ شيئاً مما في الجنة إلا من حيث التسمية»[4] فانظر ذلك.

---

(١) أنظر تخريجه في الحاشية (٣) أدناه.

(٢) أي الحوض الشريف.

(٣) ما في البخاري من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (٦٠٩٣) موافق لما في المتن لا الشرح ولفظه عنه ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا». وفي مسند أحمد من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه بنحوه. وفي صحيح ابن حبان (٦٥٦٦) من حديث سيدنا أبي برزة رضي الله عنه «ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء مسيرة شهر ، عرضه كطوله ، فيها مزرابان ينثعبان من الجنة من ورق وذهب ، أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج ، فيه أباريق عدد نجوم السماء»، وهو موافق لوصف الماتن رحمه الله للحوض فيما يلي.

وفيه رواية أخرى عن حارثة بن وهب (٦١٠٣) أن الحوض مثل ما بين المدينة وصنعاء، وفي مسلم (٤٢٦٠) من حديث أنس بن مالك بنحوه. قال الباجوري: وذلك نحو شهرين. ولم أجد رواية تفيد كونه مسيرة ثلاثة أشهر والله تعالى أعلم.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في التفسير ١/ ٤٢٦، بلفظ «ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء».

(حوله أباريق عدد نجوم السماء)، كـذا ورد في الأحاديـث يحتمـل كـون العـدد مقـصوداً، ويحتمـلُ أن يكـون خـرج للمبالغـة في الكثـرة، والحقيقـة[1] أولى بـه. وفي رواية: «كيزاناً» والكوز ماله عروة بلا أنبوب، والإبريق ما له أنبوب، والكأس مـا خـلا عنهما والله أعلم.

والجمع بين الروايتين أن يكون كل من الكيزان والأباريق كذلك عليه وقد يكون تَجُوِّزَ بأحدهما عن الآخر وهو الظاهر والله أعلم.

(فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر) كذا ورد في الحديث وأن الكوثر نهر في الجنـة وقيل الكوثر: الخير الكثير، وبهذه الطرق استدل القائلون بأنه بعد الصراط أيضاً، وقـد ذكر صاحب إثمد العينين في مناقب الشيخين الميزميريين أن أهـل مـراكش اختلفـوا في ترجيح أحد القولين فطالت منازعته فركب رجل إلى أغمات ليقف على ما عنـد الـشيخ أبي عبد الله الميزميري، وكان معروفا بالولاية موسوما بالقطبانية، وكان لـه مجلـس بعـد العصر يتكلم فيه على القلوب، فيقول: أما صاحب كذا فيصنع كذا، وأما صاحب كـذا فجوابه كذا، من غير أن يسألَه أحدٌ أو يخـبرَه عـن شيءٍ، فـدخل الرجـلُ وهـو في هـذا المجلس، فجلس من وراء الناس، فتكلم الشيخُ على عادتِه حتى انتهى إليه، فقـال: أمـا صاحب الحوض والصراط، فالجنة الميزان والحوض الصراط[2] وأخذ يكررهـا، فرجـع الرجلُ إلى مراكش وبينـهما أكثـر مـن مـسافة يـومين، فوجـدهما باقيـان عـلى نـزاعهما، فأخبرهما الخبر، فقام شيخهم وقال ليس الخبر كالعيان.

قلت: وإن كان هذا لا يثبت به الحكم لعـدم الوثـوق بالإلهـام، فـالترجيح بـه لا يمنع، وقد قيل: هما صراطان الحوض بينهما[3]. قلت: ذلك جائز، لكن لم يرد به توقيف،

---

(١) أي حقيقة العدد لا أنه مجاز سيق للمبالغة.

(٢) بالعبارة بعض اضطراب في (ب) والمثبت من (أ).

(٣) عزى الباجوري هذا القول للقرطبي.

ولعل شيخنا القوري كان يشير لذلك في ما ذكرناه عنه. والحق أن الإيمان بالحوض لازم على ما ورد، وتأخره وتقدمه لا قاطع عليه ويتُوقف فيه. وفي عقيدة الشيخ أبي عبد الله العكبري ﷺ: والإيمان بالحوض مقدَّمٌ[1] يكون على الصراط أو يتأخر انتهى بمعناه وبالله التوفيق.

تنبيه قوله في الحكاية: ليس الخبر كالعيان هو أصل الحقيقة في ذلك، كما قال الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ: الأنبياء يطَّلَعون بحقائق الأشياء، والأولياء يطالعون بمثلها لكن ذلك المثال غير كاذب للحفظ[2]، والحقيقة صحيحة للعصمة فافهم.

[الإيمان بالحساب]

ثم قال ﷺ: ([وأن][3] **يؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مُناقَشٍ في الحساب ومسامَحٍ فيه، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب**)، يعني لما دلت عليه الأحاديث الصحيحة والآيات الصريحة من ذلك فقد قال رسول الله ﷺ «مَنْ حُوسِب عذب فقالت عائشة ﷺ أليس يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ (الانشقاق: ٨) فقال عليه الصلاة والسلام: إنما ذلك العَرْضُ ولكن من نوقش الحساب يهلك» رواه البخاري[4].

---

(١) كذا بالأصول والمعنى: الإيمان بالحوض واجب بقطع النظر عن تقدمه على الصراط أو تأخره.

(٢) أي بسبب حفظ الله تعالى لأوليائه، فإنه لو تشابهت الأمور على الأولياء ولم يكن كشفهم محفوظاً لبطلت خصوصيتهم وقد نص الكتاب الكريم عليها بقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس: ٦٢) ولا شك أن اضطراب معارفهم هي مما يحزنهم، فكانوا بهذا محفوظين في كشوفهم التي هي كذلك فراسة المؤمن الناظر بنور الله ﷻ كما ورد في الحديث. وقوله: والحقيقة صحيحة للعصمة أي الحقائق التي يطالعها الأنبياء صحيحة لعصمتهم عليهم الصلاة والسلام.

(٣) مكانها مطموس في (ب)، وبلفظ ونؤمن في (أ) والمثبت من الإحياء.

(٤) صحيح البخاري (١٠٠)، ومسلم (٥١٢٢)، وأبو داود (٢٦٨٩)، وأحمد في المسند (٢٣٠٦٩) من حديث السيدة عائشة ﷺ، والترمذي (٣٢٦١) من حديث سيدنا أنس بن مالك ﷺ، وغيرهم.

وفي حديث النجوى: «يدنو العبد من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه ثـم يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لـك اليـوم»[1] الحـديث، وقـال عليـه الـصلاة والسلام: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حـساب وهـم الـذين لا يَرْقُـون ولا يَسْتَرْقُونَ ولا يتطيرون»[2] الحديث، وفي[3] تكرار هذا العدد مع كل واحـد روايـة، وهـو صحيح.

قال المؤلف: **(وهم المقربون)**، أخذ ذلك من كرامتهم بذلك ولا شك في أنهم مقربون، لا أن كل المقربين لهم ذلك. فقد ذكر القاضي أبو نصر عبد الرحيم بن الأستاذ أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى في إشارة اسم الله تعالى الحسيب، أنه الذي يحاسب كل أحد بما يليق به، فالكفار يجعلهم حسيبي أنفسهم فيحكمون عليها بالنار فيدخلونها، وأهل الكمال يتتبع عليهم أعمالهم لأنها تصلح للعرض، أي فتكون حجة على غيرهم[4]، ومباهاة للملائكة؛ وسائر المؤمنين من أهل الستر يضع عليهم كنفه كما في الحديث.

---

(١) صـحيح البخـاري (٢٢٦١) ومـسلم (٤٩٧٢)، ومـسند أحمـد (٥١٧٩)، والـسنن الكـبرى للنـسائي (١١٢٤٢).

(٤) صحيح البخاري (٥٢٧٠)، مسلم (٣٢٠)، سنن الترمذي (٢٣٧٠)، مسند أحمد (٢٣٢١)، ومـصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٤٥٢)، وغيرهم.

(٣) بالأصول: فيه، نحسبه تصحيفاً وما أثبتناه موافـق للـسياق. والروايـة التـي يـشير إليهـا المـصنف ﷺ أخرجها الترمذي (٢٣٦١) من حديث أبي أمامة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقـول: وَعَـدَنِي رَبِّي أَنْ يُـدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِـهِ. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وكذا ابن ماجة (٤٢٧٦)، وأحمـد في المـسند (٢١١٣٥)، وابـن أبي شيبة (٧/ ٤٢٧)، وغيرهم.

(٤) أي يكون العرض على غيرهم من المخلوقات لاسيما الملائكة.

قلت وما ذكره في أهل الكمال فقد يُعارَض بحديث السبعين ألفا[1]، وقد يعضد بحكاية عمر ﷺ في قوله لمن رآه في النوم بعد سبع سنين: الآن فرغت من الحساب، وإن كانت الرؤيا لا تثبت شيئاً، فانظر ذلك فإنه مشكل، فنسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق.

فيسأل **(من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين)**. لقوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأعراف: ٦)، وقال عز وجل: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾ (المائدة: ١٠٩) الآيات وقال عز وجل في حق الكفار: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ (الصافات: ٢٤) إلى غير ذلك.

وفي الصحيح: أن نوحا عليه الصلاة والسلام يُسأل يوم القيامة فيقال له هل بَلَّغْتَ؟ فيقول: نعم يا رب، فيقال من يشهد لك: فيقول محمد وأمته فيؤتى بهم، فما من أحد منهم إلا ويقرأ سورة نوح فيشهدون له بذلك[2]، الحديث.

(ويسأل المبتدعة عن السنة) أي لم خالفوها؟، **(ويسأل المسلمين عن الأعمال)** يعني عاصيهم وطائعهم حتى المبتدعة الذين لا يَكفرون، ولذلك أتى بلفظ «المسلمين» بدلا من أهل السنة، وفيه إشارة للخلاف الواقع في تكفير أهل البدع الاعتقادية، ومقتضى الأحاديث الوقف، وللناس فيه تفصيل واختلاف عريض طويل فانظره إن شئت. وما ذكره المؤلف لم يرد نصاً في الحديث بل ورد ضمنا، وقد جاء في الخبر عنه

---

(١) لعل وجه المعارضة أن السبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وكلام الأستاذ القشيري يشير إلى عكسه؛ وحكاية سيدنا عمر تعضد كلام القشيري لكون سيدنا عمر ﷺ من أهل الكمال بداهة وهو مع ذلك لم يفرغ من الحساب إلا بعد سبع سنوات، والحكاية قد يَرِدُ عليها التأويل.

(٢) الحديث في صحيح البخاري (٦٨٠٣) وليس فيه قراءة سورة نوح بل فيه أن الرسول ﷺ يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة: ١٤٣). وكذلك رواه الترمذي (٢٨٨٧)، وابن ماجة (٤٢٧٤)، وأحمد في مسنده (١٠٨٥٣)، والبيهقي في الشعب (٢٦٢)، ومسند ابن حميد (٩١٦).

ﷺ «والذي نفسي بيده لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع كلمات عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه»[1] الحديث.

[الإيمان بخروج الموحدين من النار]

ثم قال ﷺ **(ويؤمن بإخراج الموحدين من النار)** يعني من قضى الرب سبحانه بإنفاذ الوعيد فيه من أهل الكبائر منهم **(بعد الانتقام)** بما شاء الله منه، وقد صح أنهم يموتون فيها إماتةً فقيل بمعنى أنهم لا يحسون الألم وقيل غير ذلك.

وفي الصحيح: «فيخرجون من النار قد امتحشوا...» وحرم الله على النار أن تأكل أعضاء السجود- فدل ذلك على تأثيرها في غيرها- «... فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الجنة في حميل السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»[2] الحديث رواه البخاري وغيره وفيه «فيخرج منها من قال لا إله إلا الله مرة في عمره ولم يعمل خيراً قط» **(حتى لا يبقى في جهنم موحد)**، وإن عَمِلَ ما عمل، إذ لا يَكْفُرُ أحدٌ بذنب، ولا يخرج من الإسلام بعمل، وكل ما دون الكفر معروضٌ للمغفرة مانعٌ من الخلود في النار.

---

(١) سنن الترمذي (٢٣٤١)، ومصنف ابن أبي شيبة (٨/ ١٨٥)، وكبير الطبراني (١١٠١٤)، والأوسط له (٢٢٨١) وغيرهم وفي الروايات بعض الاختلافات منها ما في معجمي الطبراني (وعن حبنا/ حب أهل البيت).

(٢) قوله : فدل ذلك على تأثيرها في غيرها، ليس من الحديث بل هو استنباط من المؤلف ﷺ. والحديث رواه البخاري في صحيحه (٧٦٤)، ومسلم (٢٦٧)، وأحمد في مسنده (١٥١)، وشعب البيهقي (٣٠)، وغيرهم. وامتحشوا بمعنى احترق جلدهم وتقشر، فيقال مَحَشَ الجلدَ محشاً: قَشَرَه عن اللحم، ومحشت النار جلده: أحرقته؛ ومحش السيل ما مر به: اقتلعه. ويقال أيضاً: أمحش الحرُّ أو النار جلده: أحرقه، ويقال هذه سنة أمحشت كل شيء: إذا كانت جَدْبَةً. والـمُحاش، المحترِق، يقال خبز محاش وشواء محاش. المعجم الوسيط (٨٨٩-٨٩٠).

وفي كلام المؤلف أولاً عمومُ دخول الموحدين[1]، وهو مع ذكر الانتقام لا يصح، ومع عدمه قد قيل إنه معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (مريم: ٧١) الآية.

قال العلماء: وحكمة ذلك ليتم نعيم أهل الجنة برؤية العدو في العذاب وحصول النجاة، ويتحققَ الإيمانُ في العَيانِ بأن النار لا تحرِقُ بطبعها، ويعاينوا ما وقع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام من كونها صارت عليه برداً وسلاماً، ولينتفي توهم الكفار من أنهم لو دخلوها معهم لأصابهم مثل ما هم فيه فتأمل ذلك.

[الإيمان بالشفاعة]

ثم قال ﷺ: (**ويؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كلٌّ على حسب جاهه ومنزلته عند الله**)، يعني وأعظمهم جاها نبينا ﷺ فلذلك أُعْطِيَ الشفاعة في كافة الخلق لإراحتهم من الموقف وذلك ثابت سنة وإجماعا، والذي في الحديث أنهم يأتون أكابر الرسل للاستشفاع في ذلك فيقيم كل واحد عذرا لنفسه حتى ينتهي الأمر له ﷺ، وأنَّ كل واحد يدل على من بعده من الأنبياء لإظهار فضيلته ﷺ.

وشفاعته عليه الصلاة والسلام في كبائر المذنبين من أمته ثابت أيضاً، وكذا كل ما وُعِدَ فيه بها كقوله «من جاءني زائراً كنت له شفيعا»[2] و«من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها»[3]، «ومن قال مثل ما يقول المؤذن ثم يسأل الوسيلة له ﷺ حلت له الشفاعة»[4] إلى غير ذلك، وزاد بعض العلماء شفاعته في ثقل ميزان

---

(١) لعله يقصد قول صاحب المتن في الصراط: وتثبت عليه أقدام المؤمنين فيساقون إلى دار القرار.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٢٩٧١)، والأوسط (٤٧٠٤).

(٣) سنن الترمذي (٣٨٥٢)، مسند أحمد (٥٥٥٥)، مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٥٠)، وسنن النسائي الكبرى (٤٢٨٥)، والمعجم الكبير (٢٠٢٠٥)، وشعب الإيمان للبيهقي (٤٠٢٣)، وغيرهم.

(٤) صحيح مسلم (٥٧٧)، سنن أبي داود (٤٣٩)، وسنن الترمذي (٣٥٤٧)، وسنن النسائي (٦٧١)، وغيرهم.

أقوام وفي التخفيف عن أقوام من العذاب، وفي زيادة الدرجات لأقوام، وكل هذه خاص به ﷺ كما ذكر الشمني وغيره إلا في الخروج من النار، فقال النووي ﷺ من الشافعية وابن أبي زيد من المالكية باختصاصها به ﷺ، وذهب[1] الأكثر لوجودها ممن ذكر المؤلف، ففي الحديث يقول الله تعالى: «شفع الأنبياء شفع آل كذا شفع آل كذا وذكر مراتب الشفعاء ثم يقول وبقي أرحم الراحمين أنا المؤمن وهم المؤمنون، أخرجوا من النار من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»[2].

وإلى هذا الأخير أشار المؤلف بقوله **(ومن بقي من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أُخرِجَ بفضل الله سبحانه)** دون واسطة **(فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان)**، كذا في الصحيحين، وفي بعض روايات مسلم: من في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان، وهناك روايات فانظرها إن شئت[3].

---

(١) (أ): وذكر

(٢) لم أجده بهذا اللفظ والأقرب إليه ما أخرجه الطبراني في الأوسط (٤١٢٣) والصغير (٨٧٦): حدثنا محمد بن عبدوس بن جرير الصوري بمدينة صور، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا طريف أبو سفيان السعدي، عن عبد الله بن الحارث، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، ثم يقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ثم يقول: وعزتي وجلالي: لا أجعل من آمن بي ساعة من ليل أو نهار كمن لا يؤمن بي». قال الطبراني: لم يروه عن عبد الله بن الحارث بن نوفل إلا أبو سفيان، تفرد به مروان بن معاوية.

(٣) هو من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه وعنا به: صحيح البخاري (٦٨٨٦)، وبلفظ قريب من حديث سيدنا أنس بن مالك ﷺ في حديث الشفاعة (٦٩٥٦)، وفي مسلم من حديث سيدنا أبي هريرة ﷺ بلفظ قريب، وسنن الترمذي (٢٥٢٣)، وابن ماجة من حديث برواية أطول (٥٩)، ومسند أحمد (١١٤٦٣)، وبلفظ قريب في حديث الشفاعة من حديث سيدنا ابن عباس ﷺ (٢٥٦٠)، مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ١٠٤)، مصنف عبد الرزاق (٢٠٨٥٧)، وغيرهم.

[في ترتيب الفضل بين الصحابة رضوان الله عليهم]

ثم قال ﷺ: (**ويعتقد فضل الصحابة على ترتيبهم**)، يعني على المعول، ومذهب الأكثر جواز التفضيل بينهم، قاله المازني. وقيل بالوقف، وعلى الأول فأفضل الصحابة أهل الحديبية وهم أهل بيعة الرضوان، وأفضل هؤلاء أهل بدر، وأفضل البدريين العشرة، وأفضل العشرة الأربعة، ولا خلاف في أفضليتهم بعد وفاته ﷺ[1]، والجمهور على ترتيب الخلافة كما قال المؤلف ﷺ.

(**وأن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق**) عبد الله بن عثمان صاحبه عليه الصلاة والسلام في الغار ومُلازِمُه في هذه الدار وفي تلك الدار، قال السمعاني: والإجماع على أفضليته على سائر الصحابة، ولا يُعْتَدُّ بخلاف الروافض ومن قال بقولهم، وهذا مذهب أكثر أهل العلم[2].

وقد سئل رسول الله ﷺ عن أحب الناس إليه، فقال: عائشة، فقيل من الرجال، قال أبوها[3] رواه البخاري وغيره، واستدل لأفضليته بقوله تعالى:﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ﴾ (الحديد: ١٠) الآية.

---

(١) لم يفسر المصنف تقييده لأفضلية الأربعة الخلفاء بأنه بعد وفاته ﷺ، ولعله على قول من قال بأفضلية من توفي في حياة النبي ﷺ.

(٢) قوله: وهذا مذهب أكثر أهل العلم، إن قَصد به تفضيل سيدنا الصديق عليه الرضوان، فهو يناقض ما قاله السمعاني بوجود الإجماع، وإن كان معناه أن مذهب أكثر أهل العلم وجود الإجماع على فضل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه، فلا يناقض كلام السمعاني، فلينتبه إلى ذلك.

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه (٣٣٨٩) من حديث سيدنا عمرو بن العاص ﷺ قال بعثه النبي ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ عَائِشَةُ فَقُلْتُ مِنْ الرِّجَالِ فَقَالَ أَبُوهَا قُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَعَدَّ رِجَالًا. ورواه مسلم (٤٣٩٦)، والترمذي (٣٨٢٠) من غير ذكر سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وبنحوه ابن ماجة (٩٨)، أحمد في المسند بمثل رواية الصحيح (١٧١٤٣)، وغيرهم.

(ثم عمر بن الخطاب) أول من تسمى بأمير المؤمنين، وأول من فرق جمع المشركين، ومُقَدَّم من أقام عماد الدين بسيفه بعد سيد المرسلين، ولا خلاف في أن رتبته بعد أبي بكر عند الموافق والمخالف. وقول الطرطوشي: لو كان قائلٌ بتقديمه لقلت به، لا يلزم منه القول ولا الترجيح.

وفي «المدونة» سئل مالك رحمه الله: من خير الناس بعد رسول الله، فقال: أبو بكر ثم عمر، قال: أوَ في ذلك شك، فقيل: فعلي وعثمان، قال: ما أدركت أحداً يُعْتَدُّ به يفضل أحدَهما على صاحبه، ويرَى الكف عن ذلك.

(ثم عثمان بن عفان) أمير المؤمنين ذي النورين وصاحب البيعتين وهذا الذي جزم به من أن عثمان بعد عمر في المرتبة كالخلافة - وقيل علي - هو الذي عليه الجمهور، قال ابن رشد: وروي عن مالك، وروي عنه الوقف، وما في المدونة ثابت.

(ثم علي بن أبي طالب)، بعده في الفضل، وقال العراقي: أهل الكوفة يفضلونه على عثمان. وعن مالك تعارضت الظنون في عثمان وعلى. وقيل: ولذلك امتُحِنَ رحمة الله عليه؛ وعنه: أدركت بعض أهل العلم ببلدنا لا يفضلون أحداً من الصحابة على أحد ويقولون الكل فضلاء.

والصحيح ما هنا وأن تفضيلهم على ترتيبهم في الخلافة **(رضي الله عنهم أجمعين)**: الخلفاءَ وغيرَهم، إذْ مات ﷺ وهم منه بعين الرضا ولم يفارقوا ذلك حتى لَقَوْا اللهَ تعالى.

واختلف في هذا التفضيل هل هو قطعي؟ ومال إليه الأشعريون، أو ظني؟ وقاله القاضي، وهل هو في الظاهر والباطن معا أو في الظاهر فقط: قولان.

تنبيه: كان شيخنا أبو عبد الله القوري رحمه الله يقول: قولهم الأفضل بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ينخرمُ بعيسى عليه السلام إن قصد الزمان، لأنه بعده، وبجميع الأنبياء إن

قصدت المزية. فالصواب أن يقال أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر لأن أمة محمد ﷺ أفضل الأمم وهو أفضلها، فتأمل ذلك[1].

[في إحسان الظن بصحابة سيدنا رسول الله والإمساك عن ذكرهم بسوء]

ثم قال ﵁: **(ويُحْسِن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما أثنى الله عليهم)**، يعني في غير ما آية من كتابه، ومن أعظم ذلك وأجمعه قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ (الفتح: ٢٩) الآية، والصحيح عند المحدثين أن الصحابي من اجتمع بمحمد ﷺ مؤمنا به. وفيمن وافق زمانه مؤمناً ولم يره كأويس وأحنف بن قيس وكعب الأحبار ثلاثة أقوال: صحابي، تابعي، مخضرم وهو المعول.

وقال أبو زرعة ﵀: مات رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألف كلهم رآه أو روى عنه وقد ذكر في الخطبة تاريخاً فانظره.

وأشار المؤلف بقوله: **(ويثني عليهم)** للرد على الروافض. قال أبو القاسم الحكيم: ﵀: إن الروافض أنجس من اليهود والنصارى، إذ لو قيل لليهودي من خير الناس بعد موسى عليه الصلاة والسلام؟ لقال نقباؤه، ولو قيل للنصارى من خير الناس بعد عيسى عليه الصلاة والسلام؟ لقال حواريوه، ولو قيل للرافضي من شر الناس؟ لقال مقالته الملعونة، فهم أنجس من اليهود والنصارى فعلاً وإن قيل بإسلامهم. وقد قال عليه الصلاة والسلام «اللهَ اللهَ في أصحابي فمن آذاهم فقد آذاني

---

(١) هذا توجيه لطيف ولكن فيه نظراً لأن إطلاق أفضلية سيدنا أبي بكر إنما يقصد به من آمن بالنبي ﷺ من غير الأنبياء وسيدنا عيسى وإن نزل وحكم بشريعة الإسلام لا يزول وصف النبوة، فلا مشاحة أصلاً أفضليته على سيدنا الصديق ﵁، وإنما الكلام في من كان اتباعه لشريعة النبي ﷺ ابتداءً، وهذا لسيدنا أبو بكر ﵁ لا لسيدنا عيسى ﵇.

ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشكُ أن يأخذه»[1]. وقال مولانا جلت قدرته: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٥٧-٥٨) الآية.

ولا خلاف في تكفير من رمى عائشة ﵂ مما برأها الله تعالى منه لتكذيبه القرآن.

وفي الخبر عنه ﷺ «إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[2] فيجب الإمساك عما شجر بينهم، وأن لا يُبْدَى لعاميٍّ، ولا يُكْثَرَ الخوضُ فيه. ومن أراد نظره من عالم ونحوه لنفسه فليجزم عنده أن ذلك لا يضرهم، وأن كلاً منهم على اجتهاد صحيح، والقاتل والمقتول في الجنة، فإنهم أحق الناس أن يُلتمسَ لهم أحسن المخارج ويُظنَّ بهم أحسنَ المذاهب.

وقد ظهر بتلك النازلة فوائد كثيرة، منها صحة دعوة الإسلام، إذ لو كانت كما يقول الكافر من التواطؤ سياسةً لترامَوا بها عند الفتنة ولارتدَّ الجمهور، ولم يقع شيء من ذلك والحمد لله، بل كانوا يقبلون الخيرَ من مخالفهم ولو في عين خلافهم، كما وقع في حديث عمَّار أنه تقتله الفئة الباغية فقتلوه وليس بمتواتر وإنْ تأولوه، وكانوا لا

---

(١) وتمام لفظه: الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا (١) من بعدي، من أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم (٢) فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن أخذه سنن الترمذي (٣٧٩٧)، ومسند أحمد (١٩٦٤١)، وشعب الإيمان للبيهقي (١٤٨٣)، وصحيح ابن حبان (٧٣٧٩).

(٢) بغية الحارث (٧٤١) من حديث سيدنا ابن مسعود وليس فيه ذكر النجوم، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٢٦٣). وفي مسلم (٤٦١٠) لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ. وفي الباب روايات أخرى عند ابن ماجة وأحمد وغيرهما.

يتبعون فاراً ولا يجهزون على جريح، وذلك دليل صحة القصد منهم في الاجتهاد والوقوف مع الحق واعتبار حرمة المسلمين.

وقد قال العلماء: إذا سلمنا حمل ما وقع لهم على ما يتُوهم فهو في جنب ما أتَوا به من الفضل والفضائل كنقطة وقعت في بحر، أتراها تؤثر فيه أو تضره شيئاً؟ والتحقيق لكلٍ أجرٌ بما شَجَرَ[1] والله أعلم.

ثم قال ﷺ: **(فكل ذلك مما وردت به الأخبار)** يعني الأحاديث النبوية متواترُها وآحادُها، وكلها حجة عند المحققين إلا الضعيف فما دونه، وفي العمل به في الفضائل إن لم يكن موضوعا أي مكذوبا خلافٌ[2]، والإشارة بذلك لما ذكر من أمور الآخرة ونحوها من السمعيات، فهو الذي يُحتاج فيه للتوقيف، وقد صحت فيه الأحاديث النبوية، **(وشهدت به الآثار)** المروية عن السلف موقوفةً فما دونها، لأن كل ما لم يُضَفْ للنبي[3] ﷺ مما جاء عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم سُمِّيَ أثراً، والله أعلم.

(فمن اعتقد جميع ذلك) أي رَبَطَ عِقْدَ قلبه على جميع ما ذكر من أول العقيدة إلى آخر ما ذكر موقنا به غيرَ متردد، لثبوته عنده ببرهان ونحوه بحيث لم يضطرب فيه فإن اليقين مأخوذ من يَقَنَ الماء إذا أخمد من حركته، إلا أن أهل اليقين يتفاوتون فيه كما ذكر

---

(١) (ب): أحد مما سحر، والمثبت من (أ).

(٢) والجمهور على جوازه، بل نقل الإمام النووي في الأذكار عن العلماء والمحدثين من الفقهاء وغيرهم استحباب العمل به في الفضائل والترغيب والترهيب. وفي كتاب الأجوبة الفاضلة عن الأسئلة العشرة الكاملة للإمام اللكنوي بتعليقات العلامة عبد الفتاح أبو غدة تفصيل عظيم لهذه المسألة وبيان أن الراجح فيها جواز العمل بالضعيف في الفضائل بشروط ثلاث: (١) أن لا يكون شديد الضعف فيخرج منه ما انفرد به الكذابون والمتهمون ومن فحش غلطه؛ (٢) أن يكون مندرجاً تحت أصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلاً؛ (٣) أن لا يعتقد عند العمل به ثبوت الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لئلا ينسب للنبي ما لم يقله. والله تعالى أعلم. انظر المبحث بطوله وفوائده ص ٣٦-٦٥.

(٣) في (ب): يصف النبي، تصحيف.

في غير هذا المحل، ومقصِدُهُ هنا أن من أيقن بها ذكر (كان من أهل الحق)، لا من أهل الباطل، فبَرَئَ من الكفر والهوى المؤدِّي إليه، فانتظم في سِلك أهل الإيمان عموماً (وعصابة أهل السنة) خصوصا، (وفارَقَ رهط الضلال)، أي جماعة الكفر حالاً ومآلاً، (وحزبَ البدعة) أي أهلها المتعصبون لها المقيمون عليها.

وقد قال بعض المشايخ: أكثر البدع والأهواء إنما تقع من تعرض الشبه[1] والتعرض للكيفيات، فمن تجنب ذلك واعتقد الأمر كما جاء نفي المحال والمخالف لكل وجه سلم في اعتقاده والله أعلم.

[الكلام في إيمان المقلد]

تنبيه: ظاهر كلام المؤلف أن التقليد كاف في العقائد الدينية وبه قال جماعة من الأئمة واحتجوا بقبوله عليه الصلاة والسلام إسلام أجلاف العرب ونحوهم ولأنه كما يكفر المقلد في كفره يصح إيمان المؤمن بتقليده ثم ادعى[2] قوم من هذه الطائفة الإجماع على قبوله، وقال قوم بوجوب النظر وأنه أول الواجبات وادعوا الإجماع على ذلك ولا خلاف بين الفريقين في أنه أكمل.

وقال ابن أبي جمرة[3] نقل الباجي عن شيخه السمناني أن القول بأن أول الواجبات النظر والاستدلال مسألة[4] من الاعتزال بقيت في المذهب، على من اعتقدها.

---

(١) بالهامش، نسخة: من رفض السنة، والغالب عل الظن أن تكون هكذا: من تتبع الشبه أو تعرض الشبه كما هو في المتن.

(٢) في (ب): دعا، تصحيف ظاهر.

(٣) (ب) و(أ): حمزة، تصحيف

(٤) في (ب): قولها، تصحيف، وأثبتناها بالتذكير اجتهاداً وهو ظاهر في العبارة بلا تعسف، إلا أن يكون الضمير عائداً على عبارة «العقائد الدينية».

قال ابن السبكي: اختلف في التقليد في أصول الدين وقيل النظر فيه حرام. وعن الأشعري لا يصح إيمان المقلد.

وقال القشيري: مكذوب عليه، والتحقيق: إن كان أخذاً بقول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم فلا يكفي، وإن كان جزما فيكفي، وقيل الواجب أولاً: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، والأمر بها يتضمن ما قبلها من النظر والعلم والإيمان بأمر واحد كالأمر بالصلاة فإنه أمرٌ بشروطها، يريد والله أعلم، أن ذلك واجب لتحصيل معنى الكلمة المباركة لا لتوصيلها والله أعلم.

خاتمة: قال ابن رشد لا يلزم النظر على طريق المتكلمين إجماعاً بل بأي وجه حصل كفى. قال: ولا يعتقد هذا إلا جاهل لأنه لم يكن من شأن السلف، فَيُكْتَفَى بدلالة وجود المخلوقات وحدوثها على وجود خالقها.

وقد قال الأصمعي لبعض الأعراب بمَ عرفت ربك؟ فقال الأعرابي: البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام يدل على المسير، فسماءٌ ذات أبراج وأرض ذات أفجاج ألا تدل على العزيز القدير. ويستدل على صحة قول مدعي الرسالة بوجود المعجزة.

وقد نبه الله تعالى على صحة ذلك في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ (البقرة: ٢١-٢٢) الآية وهذه في جانب الربوبية جزما وبرهانا، ثم قال تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ (البقرة: ٢٣) الآية، وهذه في جانب النبوة برهانا وتحقيقا فهي كافية.

وقال الفِهري: لا نزاع بين المتكلمين في عدم وجوب المعرفة للدليل التفصيلي على الأعيان[1] وإنما هو واجب على الكفاية، وقال الشيخ ابن عرفة: ظاهر قول ابن رشد في

---

(١) أي ليس بفرض عين.

نوازله إنه بالدليل التفصيلي مندوب إليه لا واجب. والكلام في هذه المسألة عريض طويل في جميع العقيدة وقد أتينا منه على ما فيه كفاية لمن أراد الاكتفاء والحصول على شرح الصدر مجرداً عن التوسع والتوغل، وعلى الله المعتمد في عموم النفع به وأن يجعله رحمة لعباده وبركة في أرضه وبلاده وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثم ختم ﷺ: بدعاء مناسب فقال: **(فنسأل الله كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين)**. قلت: وأنا أسأل الله مثل سؤاله وأرغب إليه نحو رغبته مع زيادة عموم النفع به لمن قصده وشرح صدر من حاوله واعتمده، إنه ولي ذلك والقادر عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مسألة: وتتميماً للفائدة: ذكر الإمامُ إِثْرَ العقيدةِ فصلاً نافعاً في كيفية العمل فيها وما يراد منها وبها، فقال رضي الله عنه وأرضاه:

(فصل في وجه التدريج إلى الإرشاد في ترتيب درجات الاعتقاد)، هذا الفصل من أهم ما ينبغي أن يعرف بعد تحقيق الاعتقاد لأنه مُنبهٌ على وجه كماله وطريق تكميله.

قال ﷺ **(اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه)**، يعني لأن قلبه خال عن الأدغال والاشتغال، وخير القلوب أوعاها للخير وأرجى القلوبِ للخير ما لم يسبق الشر إليه، وتعليم الشيءِ في الصغر كالنقش في الحجر، ويرحم الله القائلَ في معنى ذلك شعراً:

عَلِّمْ بنيكَ صِغاراً قَبْلَ كِبَرِهِم	**فليس ينفعُ بعد الكُبْرَةِ الأدبُ**
إن الغصونَ إذا قومتَها اعتدلتْ	**ولن تلين إذا قومتَها الخَشَبُ**
لا تحزنن على الصبيان إن ضُربوا	**فالضرب يفنى ويبقى العلم والأدب**
فالحفظ ينفعهم والعلم يرفعهم	**لولا المخافة ما قرأوا وما كتبوا**[1]

(نعم والمريد في أول إقباله كالصبي في أول نشئته) لأنه خال عن سوى ما توجه إليه، وباطنه كالشمع يقبل كل نقش، وأول شيء يثبت فيه يُرجَى عمارته به، يقدم له مثل هذه العقيدة تجديداً لإيمانه إن كان سالم الاعتقاد وعارفاً بما يلزم من العقائد جملة وإلا فهي واجبةٌ عليه لتصحيح معتقدِه[2]، بخلاف العالم بالعقائد العارف بأصول الدين فإن ما عنده يكفيه، والله أعلم.

---

(١) جاء في هامش (جـ): لولا المعلم كان الناس كلهم مثل البهائم لا علم ولا أدب

(٢) لينتبه السادة أهل التربية والإرشاد في معاهد العلم وصفوف السادة الصوفية إلى قول المصنف ﷺ بضرورة تنشئة المريد والصبي على هذه العقيدة وتقريرها عليه ليتجدد بها إيمانه. وما فشت البدعة، لا سيما

ثم ذكر الوجه الذي يقدم له فقال ﷺ: **(ليحفظه حفظا)**، يعني مجرداً عن التفهيم وغيره ليثبت في خياله تصوراً لفظياً، فيطلب معناه طلباً ضرورياً، فتبدو له صور معانيه إما بشعور ذهني أو بتصوير من معلم يقربه، فيطلب ما وراء ذلك من معانيه فتبدو له بحسب قواه العقلية والفهمية والفكرية، **(ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا)** كلما ذكره أو تذكره، وتُعِينُه عليه شواهدُ الوجود ووقائِعُهُ المنوطةُ بالدلائل العلمية، **(فابتداؤه الحفظ ثم الفهم)** تصوراً وإدراكاً لمقاصد المعاني، **(ثم الاعتقاد)** الجازم الذي لا يكاد يقبل التغير، ولا يمكن دخول الريب عليه، وهذا هو الواجب أولاً في حق المكلَّف جملة لا تفصيلاً فيكون ترتيبه الاعتقاد أولاً جملة ثم التفصيل تصفحاً، ثم، حفظه، ثم تفهمه، ثم تأييدُ ذلك بالبرهان وتشييده بالتحقيق، **(والإيقان والتصديق به)** على وجه لا يقبل النقيض بوجه، إذْ ظَنُّهُ يصيرُ عن علم لا عن اعتقاد مجرد.

ثم قال ﷺ: **(وذلك)** يعني اليقين والتصديق وما قبلهما، **(مما يحصل في الصِّبَا بغير برهان)**، وفي الكِبَر بالدليل والبرهان، لأن قلب الصبي خَلِيٌّ عن الأشغال والأدغال فلا حركة فيه ولا مقال، بخلاف قلب الكبير فإن الأشياء تجذبه فيحتاج للاستيصان مما يدخله حتى لا يتغلب[1] ودفع ما يعارض حتى لا يخطر، **(فمن فضل الله سبحانه على**

بدعة التشيع، في بعض أدعياء الانتساب إلى طريق الصوفية، طريق الإمام أبي القاسم الجنيد ﷺ، والطريق الحق منهم براء ، إلا بجهل أدعياء المشيخة قبل مريديهم. فيا أيها السادة مشايخ السادة الصوفية، يا أهل البشرى الدنيوية والسعادة الأخروية، بُثُّوا هذه العقائد النقية في صدور مريديكم وطالبوهم بتدارستها وأخذها بقوة والعض عليها بالنواجذ يستقِمْ لكم مسمى التصوف وتصيروا له لا عليه، سلمنا الله جميعاً من اعتقاد ما لا يرضي الله تعالى ورسوله ﷺ.

(١) في (ب): خيالا بتقلب، وأثبتنا العبارة أعلاه اجتهاداً.

قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوئه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان) وذلك لأنه في أصل الفطرة مطبوعٌ عليه وسرُّه مودعٌ فيه من يوم الميثاق بوجه لا يصح زواله ولا تحوله.

فقد قال ﷺ: «ما من مولود يولد إلا وهو على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1] الحديث، **(وكيف يُنْكَرُ ذلك وجميعُ عقائِدِ العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض)**، يعني ثُمَّ تصير ضرورية لا تقبل التغيُّر ولا يمكن في الجزم تحقيقُها للتوقف، بل كل ما رأوا أمراً اندفعوا[2] بما يقتضيه من المعاني الدالة عليه كالتسبيح في التعجب والتهليل في المستغرب إلى غير ذلك. نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غيرَ خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو أُلقيَ إليه، فكلما طالت عليه[3] الأيام اعتضدته شواهد التصريف ودلائل الصنع ووجوه الحكمة البالغة فزاد قوة حتى يتم، ولذلك قال علي ﷺ: ما يسرني أن لو كنت طفلا ولا أعرف الله تعالى، كذا نقله في المنهاج فانظره.

ثم قال ﷺ: **(ولابد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي)**، يعني بما[4] يصح ثبوته به من دلائل الصنع العامة وشواهد الحق الواضحة في المعرفة والتصريف وذكر المعجزات والآيات وما في معنى ذلك بوجه تقريبي، **(حتى يرسخ)**، أي يثبت ثباتا لا يتغير معه ولا يتحول، **(ولا يتزلزل)** ولا يقبل التزلزل لتمكنه.

---

(١) صحيح البخاري (١٢٧٠)، مسند أحمد (٦٨٨٤)، وسنن البيهقي (٦/ ٢٠٣)، وهو دون لفظ «يمجسانه» في الموطأ (٥٠٧)، ومسلم (٤٨٠٣)، وسنن أبي داود (٤٠٩١)، وبلفظ «يُشَرِّكانِه» بدل يمجسانه في مسلم (٤٨٠٥) في سنن الترمذي (٢٠٦٤)

(٢) الضمير يعود على العوامن فكل ما رأوا أمراً يتعلق بالعقيدة يتطلب منهم قولاً اندفعوا إليه بما يقتضيه من المعاني التي ذكر بعضها.

(٣) الضمير هنا وفيما يلي يعود على الاعتقاد الحاصل بالتقليد لا على نقيضه.

(٤) في (ب): لما، نحسبه تصحيفاً.

وهذه أدنى درجات المعرفة التي لا يبالي[1] العبد ما ناله [معها][2] في جناب الله تعالى ويكون إيمانه قريباً من عيانه كما وقع للسحرة حين توعدهم عدو الله إذ ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ (طه: ٧٢) الآية فافهم.

(**وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يُعلَّمَ صنعةَ الجدلِ والكلام**)، لأنه انتقال من حقيقة لصناعة، ومن تقليد إلى تقليد، ومن سكون إلى تشويش، ومن سلامة إلى شبهة، فهو ضرر كلُّهُ على أهل البدايات، وإن كان علماً يحتاج إليه في الرد على أهل الغواية. نعم، لابد من معرفة الأصول والقواعد التي يدور عليها الكلام فيه[3] في حق من له قوة على النظر والاستدلال وإلا ضلَّ وأضلَّ، ويسألُ العاميُّ عما يحتاج إليه منه، فهو إذن ضروريٌّ بوجه، مُضِرٌّ[4] بآخر، وعلى ذلك مشى المؤلف في الاقتصاد وغيره.

(**بل يشتغل بقراءة القرآن**) تلاوةً لينشرحَ صدره ويتنورَ باطنُه، (**وتفسيرِه**)، ليهتدي إلى معانيه من غير توسع [و] يجتنب ما يُخاف منه في ذلك ككتاب الزمخشري وبعض مواضع من كلام ابن عطية ونحوذلك. (**وقراءة الحديث**) دراية لا روايةً فقط، فينظر [بها][5] تفسيره (**ومعانِيَهُ**) على الشرط المذكور في التفسير فوقه.

(**ويشتغل بوظائف العبادات**) ليتنور قلبه فيرث ما لم يعلم لعمله[6] بما علم كما في الحديث، (**فلا يزالُ اعتقادُه**) إن فعل ذلك (**يزدادُ رسوخاً**) أي ثبوتا (**بما يقرعُ سمعَه من**

---

(١) في (ب): ينال، تصحيف.

(٢) سقط من (أ).

(٣) أي في علم الكلام.

(٤) راعى الشارح ﷺ ههنا الجناس في كلمتي ضروري ومضر، وهو لطيف.

(٥) سقط من (أ) والضمير يعود على الدراية.

(٦) في (ب): لعلمه، تصحيف بدلالة إشارته للحديث بعده.

أدلة القرآن وحججه) القائمة الظاهرة من آيِهِ الكريمة **(وبها يَرِدُ عليه من شواهد الأحاديث وفوائدِها، وبها يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها)**، فقد قيل: إن العبد إذا عمل بما علم أكسبه نوراً، فعادت عبادته نوراً في قلبه.

وقد قال أبو سليمان الداراني ﷺ: إذا اعتادت[1] النفوس ترك الآثام جالت في الملكوت ورجعت إلى صاحبها بطرائق الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالمٌ عِلْماً[2] **(وبها يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم)**، لأن المؤمن مرآة أخيه، وما كان في الوجه انطبع في المرآة، وهم أهل اليقين، ومن تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها، والمرء على دين خليله، ولذلك قال الشاذلي ﷺ: أوصاني خليلي، فقال: لا تنقل قدميك[3] إلا حيث ترجو ثواب الله تعالى، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبا من معصية الله تعالى، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله تعالى، ولا تَصْطَفِ لنفسِكِ إلا من تزداد به يقينا وقليل ما هم، وقال أيضاً: اصحب أيضاً من إذا ذُكِرَ ذُكِرَ اللهُ فَاللهُ يُغنِي به إذا شُهِدَ، وينوب عنه إذا فُقِد، ذكره نورٌ للقلوب، ومشاهدتُه مفاتيحُ الغيوب.

وقال ابن عطاء الله في الحكم: «لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله»، إلى غير ذلك فمجالسة الصالحين ورؤية ما هم عليه وسيماهم وهيئاتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له يزيد في الإيمان واليقين لأن أصله[4] ثابت بالعقل وكماله مطلوب بالحقيقة محبوبٌ بالطبع، فإذا خولِطَ من هو ظاهرٌ عليه

---

(١) في (ب): اعتقدت، تصحيف ظاهر.

(٢) في (ب): عالماً، تصحيف ظاهر.

(٣) في (ب): قدمتك.

(٤) الضمير في قوله: «أصله» وما بعده يعود على الإيمان واليقين.

مالت النفس إليه فاسترق[1] القلب من حيث لا يشعر ولذلك أشار القائل: علم القلوب هو الأصول، يستفاد[2] من الصحبة فتأمل ذلك.

قال ﷺ (**فيكون أول التلقين كإلقاء بذر في الصدر، وتكون هذه الأسباب كلها كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة**)، يعني في القلب (**أصلها ثابت**) فيه: لا يتزلزل ولا يتزحزح، (**وفرعها في السماء**): لا تناله أيدي الشكوك ولا تلحقه آفات الأوهام، (**تؤتي أكلها كل حين**) بوجود الطاعة لله والرضا به (**بإذن ربها**) لا بحول غارسها ولا بقوته، بل بمنة مولاه ورحمته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ (الحجرات: ٧) الآية.

(**ثم الصبي إذا وقع نُشوؤه على هذه العقيدة فإن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها**)، أي غير ما ظهر له من معناها أولاً، وإلا فلا يظهر لغيره سواها، غير أنه يتسع النظر فيها والفتحُ للمتوجهين بها لا يخطر على البال ولا يشاهدُ[3] بحال، فاعرف هذا فقد غلط فيه خلق كثير ظنوا أنه ثَمَّ شيءٌ زائدٌ على ما ذكر ليس من معانيها فزَلَّتْ أقدامُهم والعياذُ بالله[4]، (**إلا أنه**) أي الصبي الذي لم يعرف إلا ما ذكر (**يَسْلَمُ في الآخرة باعتقاد الحق**) من النار، ويفوز بدخول الجنة فيكون من أصحاب اليمين لا مَنْ دُونَهم، (**إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقيدة**)، يعني مجملة من حيث مقاصدها ومعانيها لا من حيث عباراتها ومبانيها، إذ لم يكن شيء من ذلك إذ ذاك.

---

(١) أي ترقق وتَرَهَّف.

(٢) بالأصل: يصطاد، نحسبه تصحيفاً.

(٣) (ب): شاهد.

(٤) مراد الشارح ﷺ هنا أن الكشف يطابق ما ورد به الشرع وهو هذه العقيدة الشريفة وأنه لا يؤدي إلى ثمة زيادة تخالفها، والله تعالى أعلم. وهو نفس ما ذهب إليه مجدد الألف الثاني الشيخ القطب أحمد الفاروقي السرهندي المتوفى سنة ١٠٣٤ كما يطالع من مكتوباته الشريفة.

وبهذا الذي ذكر استدل على صحة إيمان المقلد وفي استدلاله نظرٌ وقد مر [الكلام][1] فيه، **(وأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يُكلَّفوا ذلك أصلا)**، أما على الوجه المعتاد عند المتكلمين فإجماعاً، وعلى غيره من طرق التعريف فللناس فيه كلام يطول فانظره وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ **(وإن أراد)**، يعني الصبي الحافظ للعقيدة، **(أن يكون من سالكي طريق الآخرة)** على وجه الزهادة والعبادة والإرادة ونحوها من طرق الحق والتحقيق، **(وساعده التوفيق)** فيما أراد **(حتى اشتغل بالعمل)** في عموم أوقاته دون فترة ولا تقصير، **(ولازم التقوى)** من غير شبهة ولا تأويل، **(ونهى النفس عن الهوى)** من غير ترخص ولا محاولة، **(واشتغل بالرياضة)** التي هي تذليل النفس حتى تنطبع للحق فتنطبع به ولا يمكن انفكاكها عنه، **(والمجاهدة)** التي هي دفع ما يعارض الحق والحقيقة من وجوده ظاهراً وباطناً في جميع أحواله، فإذا هو لازم التقوى والتزم العمل بالسنة وراض نفسه وجاهد نفسه **(عن هواها)** وشهوتها **(انفتحت له أبوابٌ من الهداية)**، يكون له بها فرقانٌ يعرف به الحق والباطل دون دليل ولا برهان، فتلك الأبواب **(تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يُقذف في قلبه)**، يستغنى به عن المواد في شأنه، كما قال الشاذلي ﷺ إخباراً عن نفسه: إنا لننظر إلى الله ببصر الإيمان والإيقان، فأغنانا ذلك عن إقامة الدليل والبرهان؛ وقال مولانا جلت قدرته ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (الزمر: ٢٢) وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ (الأنعام: ١٢٢). وقال مالك ﷺ: ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذفه الله في قلب من شاء من عباده انتهى.

---

(١) ما بينهما لتمام المعنى. وفي (أ) مر منه.



وبالجملة فما ثم غير العقيدة الإسلامية وزيادة النور يزيدها وضوحا، وذلك بسبب المجاهدة (تحقيقا لوعده عز وجل إذ قال ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩)) وذلك دائر على التزام التقوى بالتحفظ، والسنة بالأدب[١] دون ابتداع، وإفراد القلب له تعالى بلا التفات لغيره، فإذا صحت هذه أتاك فتح هو من الله تعالى وبالله، يكون في محل العَيان لا في محل البيان، وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ: (وهو) - يعني النورالمذكور أول الأبواب المتقدمة- أو[٢] الكشف الموضح - (الجوهر النفيس) الرفيع العظيم المتعال (الذي هو غاية إيمان الصديقين والمقربين)، وإن كانوا يتفاوتون فيه على قدر مراتبهم، فالمعتقِد مجردا عن البرهان كالناظر للشيء في ليل مظلم إلا أنه لا يشك فيه ذاتا ولا وصفا، والمبرهِن كالناظر له مع ذلك في غبش الصبح، والمكاشَف كالناظر له في الشمس الضاحية، فالكل في انتفاء الشك والتوهم واحد، وإنما اختلفت وجوه المشاهدة فافهم.

ثم قال ﷺ: (وإليه الإشارة بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق حيث فضلَ به الخلقَ)، يعني حتى قال: لو كُشِفَ الغِطَاءُ ما ازدتُ يقيناً[٣]، وكذلك قال حارثة

(١) (ب): والأدب

(٢) (ب): أول

(٣) اشتهر هذا القول عن عدد من السلف أشهرهم سيدنا علي ﷺ، ونسبه إليه الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عربي، وغيره وهو المشهور. ورأيت ابن مفلح نسبه في الآداب الشرعية إلى سيدنا الصديق ﷺ كما هو هنا، وينسب لغيرهما من السلف من غير الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ثم رأيت العلامة الأمير ذكر النسبة لسيدنا أبي بكر ﷺ نقلاً عن سيدي علي وفا قدس الله سره ونقل عنه أن معناه: لو كشف الغطاء للناس كشفاً عاماً ما ازددت يقيناً لأني كشف لي الغطاء لي كشفاً خاصاً.أهـ. ثم

ﷺ حين قال له عليه الصلاة والسلام: «ما حقيقة إيمانك؟ قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها وكأني بعرش ربي بارز قد نصب وكأني بأهل الجنة في الجنة الحديث فقال عليه الصلاة والسلام عرفت فالزم، عبد نَوَّرَ الله قلبه».

ثم قال ﷺ **(وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات)** يعني لا تتناهى جلياتها تتفاوت **(بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين)** فكلما كان الباطن أصفى كانت المعرفة والنور أتم وأوفى. قال في الحكم: «ورود الإمداد بحسب الاستعداد، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار».

ثم قال ﷺ: **(وذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة)**، يعني وكذا كل علم، فقد قيل: الآت العلم أربعة: شيخ فتاح وعقل رجاح وكتب صحاح ومداومة وإلحاح. انتهى.

(وكما لا تنحصر تلك الدرجات) أي الصناعية والتعليمية مع أنها رسمية **(فكذلك هذه)** بطريق الأَحروية، لأن ما عند الله خير وأبقى، والفتح الرباني لا غاية له لأنه من خزائن لا تنفد. وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ: قف بباب واحدٍ لا لتفتح لك الأبواب، تُفتحْ لك الأبواب، واخضع لملك واحد لا لتخضع لك الرقاب، تخضعْ لك الرقاب، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ (الحجر: ٢١) انتهى.

ذكر العلامة الأمير الاختلاف في نسبة القول إلى الصديق وباب مدينة العلم ﷺ وقال: ويمكن الوقوع من كل وأنه وراثة مما سبق في خرق عادة المعاينة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلينظر. أهـ (١٠٢)

وبانتهائه انتهى ما تيسر من شرح عقيدة الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الأشعري الطوسي ﷺ، واللهُ المسئول في أن ينفع به الخاص والعام وأن يُعمي عنه أبصار الحاسدين والجاحدين من الجهلة المتحاملين، ويجعلَه مقبولاً نافعاً ورحمةً للعباد وبركة في البلاد، وعليه المعتمد في ذلك كله، وهو حسبنا ونعم الوكيل[1]، [لا رب غيره، ولا خير إلا خيرُه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[2] في كل وقت وحين].

تم في يوم الثلاث لعله الخامس عشر من شهر ربيع الأخر من ص ١٢٣٢ الألف والمائتين والاثنين والثلاثين من هجرته ﷺ بقلم الذليل الفاني، تراب أقدام الطلبة عبده محمد بن الحاج خضر بن الحاج حسن بن محمد الشافعي البصري المكي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولمن دعا لهم بالمغفرة، آمين آمين آمين.

[والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم].

---

(١) هنا ينتهي المخطوط ج: وجاء بعد الحسبلة: والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، سبحانك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك. وكان الفراغ [لذلك ؟؟] ضحى يوم الاثنين رابع وعشرين محرم الحرام مفتتح عام إحدى وتسعين وتسعمائة (٩٩١ هـ) بتقديم التاء الفوقية فيهما. نسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة والنفع به والعمل بما فيه إنه قادر على ذلك [...] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. انتهى. ثم أسفل ذلك جاء: وصلى الله على أشرف خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه والنبيين والتابعين والملائكة أجمعين وسلم. الحمد لله وحده. كان في نوبة العبد الفقير إليه تعالى محمد محمد المالكي المراغي الجرجاوي سنة ١٣١٢ هـ.

(٢) وجاء في ختام النسخة (ب): وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة سلخ شوال سنة ١٠٩٤ على يد الفقير بفضل الله القدير عمر بن سعيد بن عمر بلسد غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين آمين آمين.

يلوح الخط في القرطاس دهرا	وكاتبه رميم في التراب
يا قارئ الخط بالعينين تنظره	لا تنس كاتبه بالخير تذكره